موسم المعرفة

*

في كل فصل لنا موسم ، بل مواسم ، والخريف،عندنا موسم المعرفة ... لانه والمدرسة على ميعاد ، في هذه البلاد ، مهد المعارف ، ومهبط الوحي ، ومدرج الحضارة !

والمدرسة ، هي قوام التربية بل اداتها . والتربية هي سبيل العلم . والعلم هو عماد المعرفة . والمعرفة هي لب الثقافة . والثقافة هي زاد الاحياء ، جميع الاحياء في هذه الدنيا . انها زادهم للحياة المسؤولة العاملة . والعمل انتاج مفيد واشعاع مستفيض .

فمرحبا بالخريف اذن ، يدنينا من موسم المعرفة ، وييسر لنا سبيل الاستعداد للحياة ، وييسرنا ، ييسر اجيالنا الطالعة ، للانشاء والاشعاع ، في عالم تطغى عليه روح الخراب والظلام .

وما اعرف انسانا اظلم لنفسه واشقى ، من طالب لا يغتنم هذه الفرصة المتاحة ... والتي لن تعود – فيضيع اوقاته لهوا وعبثا ، او يهدر طاقات شبابه انحرافا ومجونا .

ونحن اذ نشكر الله على ان امثال هذا المجرم الابله ... بين طلابنا ، قليل قليل ، فلكي نعلن ان هؤلاء هم ، في الغالب وفي الواقع ، اما ابناء « ذوات » مترفون ، واما غرباء مفتونون،اعوزهم سلطان الارادة الخيرة ، بعد ان فقدوا سلطة المربي الرادعة . كما نشكر لامهاتنا – لنساء هذه البلاد المعطاء الجميلة – سهرهن الدائب على زرع تلك البذور ، ورعايتها في نفوس الابناء والبنات ، على حد سواء . فلولا « الام » المربية الاولى – لما كانت لنا مدرسة ولا كان عندنا طالب ! بل لما كان لنا شعب يدرك قيمة المعرفة فيقبل عليها ، في مواسمها ، اقبال الجياع على المآدب الدسمة ، طالبا وعاملا وفلاحا .

ولئن كنا نأسف على شيء ، فلما يأسف له الاباء والامهات في كل سنة ، من رسوب الطلاب والطالبات او نجاحهم ، في الفحوص ، رسوبا يفوق القدر المعقول ، ونجاحا ينحط عن القدر المأمول .

ونحن نعرف المسؤولين عن ذلك كله ، لاننا نعرفهم جميعا ، بعد ان خبرناهم طويلا ! نعرفهم لانهم ليسوا هم الطلاب مثلا او الطالبات . فأبناء بلادنا وبناتها ذكاء وقاد ، وقدرة على الاستيعاب ، ورغبة في المعرفة لا تحدها حدود .

وليس المسؤولون هم المنهج ... مثلا اخر . ولا هم الوزارة المختصة ، ولا هم المدرسة او الكتاب وما اليها ! !

فالمنهج دستور لا يفترض فيه ان يكون تفصيلا مملا للاشياء كلها ... والوزارة ليست لتؤثر في صميم الموضوع ، وهي تشرف شكليا على العمل ، وتنظمه اليا ... على صورة – يشهد الله انها لا غبار عليها .

والمدرسة ، في وطننا العريق ، لم تبرح توفر للطلاب الوقت اللازم والجو الملائم .

وكذلك قل في الكتاب الذي نهض مؤلفوه به ، خلال ربع قرن مضى ، نهضة ملموسة .

فمن يبقى اذن من المسؤولين عن ذلك الضعف الكياني ، في عقل الطالب وذوقه وقدرته على الفهم والتمييز والخلق والانشاء ؟

الجواب ، في رأيي ، لم يعد لغزا ، يحتاج الى حل ، ولكنه صار مشكلة تحتاج الى جراة ، في الوصف والمعالجة . والمعلم، منذ كانت المدرسة ، هو نظامها ، وهو الحجر الاساسي في بناء هذا الهرم العظيم الذي ندعوه تربية !

فهاتوا المعلم الكفء ، وخذوا المنهج ، والوزارة ، والمدرسة، والكتاب ، وكل شيء اخر سواهم . ان المعلم ... هو كل شيء في التربية ، ومتمم كل نقص في المدرسة ، والجهاز ، والكتاب وسواه .

وقديما عرف اليونان لهذا الرب الصغير قيمته ، فدعوا ارسطو ، اعظم حكمائهم ، « بالمعلم » .

وكذلك عرف الكتاب المقدس ، لهذا الانسان العظيم ، قدره ، فلقب السيد المسيح بالمعلم ايضا !

وفي القرآن الكريم ، وصف النبي محمد بقوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » لانه كان في الواقع مصلحا ، كان مبشرا ونذيرا ، كان معلما !

ولا ادري .. كيف يكون احد الناس معلما ، وان استقصى علوم الاولين والاخرين ، وهو دون اخلاق ، بل دون خلق عظيم! من هنا جاء النور ، ومن هنا سيجيء . فهل من سميع؟ وهل من بصير ؟

رشاد دارغوث

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي مكارم

ماجستير في الادب العربي

ooo

الشعر في لبنان في القرن التاسع عشر

تبلورت النهضة الادبية في لبنان منذ عهد الامير بشير الشهابي الثاني ١٧٨٩ – ١٨٤٠ . فلقد شجع هذا الامير الادب والادباء وقرب اليه الشعراء وفتح بلاطه لهم يتناظرون بين يديه ويشيدون بفضله .

وقد اشتهر من شعراء الامير ثلاثة شعراء هم نقولا الترك ١٧٦٣ – ١٨٣٨ وبطرس كرامه ١٧٧٤ – ١٨٥١ وناصيف اليازجي ١٨٠٠ – ١٨٧١ . واذا نحن اضفنا الى هذه الشلة اولئك الذين وضعوا اسس النهضة في لبنان امثال المطران جرمانوس فرحات ١٦٧٠ – ١٧٣٢ ، اول شاعر مسيحي في لبنان باللغة العربية ، وتلميذه الخوري نيقولاوس الصايغ ١٦٩٢ – ١٧٥٦ ، واذا نحن اضفنا الى اولئك ايضا احمد فارس الشدياق ١٨٠٤ – ١٨٨٧ زعيم المجددين في ذلك العصر والشيخين ابراهيم الاحدب ١٨٢٦ – ١٨٩١ ويوسف الاسير ١٨١٥ – ١٨٨٩ وعمر الانسي ١٨٢٢ – ١٨٧٦ ومن هم على غرارهم ممن ساروا في ركب النهضة في القرن التاسع عشر امثال بطرس البستاني ١٨١٩ – ١٨٨٣ وسليمان البستاني ١٨٥٦ – ١٩٢٥ وابراهيم اليازجي ١٨٤٧ – ١٩٠٦ وغيرهم لتمت لنا صورة هذه الحركة الادبية التي ازدهرت في القرن الماضي في لبنان وكانت اساسا لهذه النهضة التي نجني ثمارها اليوم .

ولقد كان لاتصال لبنان بالغرب منذ القدم وانتشار المبشرين والمرسلين في ربوعه ، واهتمام الرهبان في نشر التعليم وفتح المدارس كمدرسة عين ورقة التي انشئت عام ١٧٨٩ ، كما كان لشغف امراء لبنان وحكامه بالادب وتقريب العلماء والادباء الى قصورهم ان جعل لبنان ينهض بالادب العربي هذه النهضة المباركة .

ولم يكن لبنان يوما منذ الفتح العربي غريبا عن الادب والشعر حتى اقتم عصور الانحطاط . وكانت العربية هي لغة الادب في اكثر انحائه بخلاف ما زعم صلاح لبكي بأن السريانية كانت لغة اللبنانيين واننا لا نعرف قبل قرن ونصف شعرا عربيا للبنان (١) ، ولقد حدثنا صالح بن يحيى (٢) ، نقلا عن المؤرخ اللبناني ابن سباط المتوفي سنة ١٥٢٠ ، عن شاعر من لبنان عاش في القرن الرابع عشر هو الامير سيف الدين يحيى التنوخي (٣) وذكر له طائفة من شعره تنم عن مقدرة فائقة وشاعرية .

كل هذه العوامل اتحدت وتفاعلت حتى اذا ما جاء الامير بشير تفتحت بيت الدين عن شعراء ثلاثة ، هم نقولا الترك وبطرس كرامة وناصيف اليازجي ، كانوا خلاصة هذه العوامل التي ذكرنا كما كانوا اساس هذا الشعر العربي الذي نجده في لبنان .

حكم الامير بشير لبنان وراى ان لا بد له من اناس يعملون على تأييده والاشادة بفضله . ومن له في ذلك غير الشعراء يؤيدونه باقلامهم وينصرونه بالسنتهم ، فاذا به يقربهم اليه ويغدق عليهم نعمه فيغدقون عليه قصائدهم .

نقولا الترك

واذا بنقولا الترك احد اولئك الشعراء يقف نفسه على سيده يمدحه في كل مناسبة ويطريه في كل سانحة . وان لم يكن هنالك مناسبة اقترح الامير ، فلبى الترك ونظم وكان هذا الشاعر خفيف الظل ، سريع النكتة فأخذ الامير يزيد في تقريبه والاغداق عليه . وقد اتبع هذا الشاعر القدماء ولكن على قسط من الركاكة وفير . فلنسمعه يقول من ارجوزة له في ماهية الطاعون وكيفية الاحتجاب عنه

يا طالبا حقيقة الانبـاء   والحكـم في ماهية الوبـاء

الى ان يقول :

ان حل طاعون بارض فارحل   او فاحتجب من خلف باب مقفل
وبعد قفل الباب قصد الاختبا   احرص وكن محتفظا محتسبا

الى ان يقول :

واحذر دخول الزهر بالاجمـال   اذ ما لجنس الزهر من ادخـال
واحذر من الفيران واخش الهرا   لا تقبلنـه ان آتى مـن برا (٤)

ومن شعره موشح في وصف دمشق يحتذي به شعراء الاندلس ويكثر فيه من الصناعة اللفظية التي يظهر عليها التكلف السمج فضلا عن اضطراب الوزن في غير بيت ، قال :

يا نسيمات الصبا حيي الحمـى   وربوع العـالـم المؤتنـس
ثم حيي حي صحبـي الكـرمـا   خيـر قـوم فـديـوا بالانفس
مغنمي مغنى بـه لـذ الغنـا   من مغن أغيد غـان أغـن
حيث ما احبابي بيـمن امنـا   جل من في ذا المنى والفضل من

---

(١) صلاح لبكي : لبنان الشاعر ، ص ٥٠ – (٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، ص ٢٤١ – (٣) راجع ايضا : مجلة اسرار العالم الجزء السادس عشر ، ص ٥٠–٥٣ وكتاب علماء من شيوخ بني معروف لعارف ابو شقرا – (٤) راجع ديوان نقولا الترك .

فهم في رغد عيش وهنـــا   وهنا مغنى هـواهم في وهن

يهرق الدمـع دمـا منسجما   من جفون ترعى نجم الغلس

يشتهي طيب لقاهم مثلما   يشتهي زورة بيت القدس

وله موشح اخر من هذا الطراز في وصف طرابلس قال فيه :

بابي عهد تدان وصفـا   زمـن مـر بطرابلس

يا هنـا عيش رغيد سلفا   لي بذاك المعلم المؤتنس

حبـذا الفيحاء أهنى كل ناد   والحمى المعمور والركن الحصين

كتب السعد عليها يا عباد   ادخلوهـا بسلام آمنين

ويظل يردد ما جاء به في موشحه عن دمشق فيقول :

يا لصحب في الحمى عاهدتهم   في البها والحسن اقمار غرر

ويح قلبي كنت ان شاهدتهم   لمحة ينفى عن القلب الكدر

بل وكم كنت اذا ناشدتهم   شنفوا سمعي بالفاظ درر

نعم خلان بهم كان الصفا   لي مضيا كشعاع القبس

نفخت ريح التنائي فانطفـا   نور صفوي وسروري المؤنس

ومن قوله في قصيدة يمدح بها الامير :

سواك الى المعالي ليس يدعى   لان الله احسن فيك بدعـا

وزانك بالمزايا يا حميـدا   بـه الدهر ارتقى واختار قنعا

الى ان يقول :

بشير خول الدنياء بشرا   به طاب الورى قلبا وسمعا

شهاب اوعب الافاق نـورا   وعن نور الثريا فاق سطعا

اذا اعددته يوما بفـرد   من الافراد كنت تراه سبعا

وليس صعبا على القارىء ان يلاحظ من الامثلة السابقة من شعره ركاكة العبارة وضعف التركيب وسقم المعنى .

ولم يكتف نقولا الترك بهذا القدر من تقليد القدامى هذا التقليد الممسوخ ، بل تطاول ايضا الى النثر فادركه ، ولكن بلغة ضعيفة كلغة شعره ، فدبج المقامات ، محتذيا الحريري .

ولكن مهما يكن من امر هذا الضعف وهذه الركاكة وهذا الابتذال ، فقد ابانت اثار هذا الشاعر عن شخصيته الخاصة ، كما صورت بيئته احسن تصوير . ومن يتصفح ديوانه يعبر عن حالة البلاد في ذلك الوقت احسن تعبير ويبين عن شخصية الشاعر على اتم ما يكون .

اما الشاعر الاخر في ذلك الوقت فهو المعلم بطرس كرامه .

بطرس كرامه

كان هذا الشاعر امتن عبارة ، او على الاصح ، أقل ركاكة من نقولا الترك ، وقد وقف نفسه كصاحبه الترك على مدح الامير بشير .

وكان الامير في كثير من الاحيان يقترح ، وينبري بطرس كرامه للنظم ، « فكأن قريحة شاعرنا » ـ كما يقول مارون عبود ـ « عداد (تاكسي) لا يقف ابدا . لو سعل المير سعلة رنانة او تجشأ بعد عشاء ثقيل شمته شاعره بالمنظوم ، فيطيب الخاطر العاطر . » (٥) اصيب الامير مرة بداء الحصبة، فاذا ببطرس كرامة ينتهز الفرصة ويقول:

قالوا حبيبك محصوب فقلت لهم   لا لا فقولكم زور وبهتان

وانما جسمه مذ راق جوهره   الصافي فنقطه بالحسن مرجان

الامير يتألم والشاعر يتغزل .

وكم عمد الشاعر الى قصائد قيلت من قبل اعجبته او اعجبت الامير ، فانبرى يخمسها او يشطرها او يعارضها . وديوانه يزخر بذلك . وكان الشاعر يسير في شعره على طريق الاقدمين فيستهل قصيدته بالغزل وينتقل منه الى ضروب اخرى حتى يصل في النهاية الى المقصود منهـا وهي المدح . فيقول مثلا مادحا الامير الشهابي :

الا حيي بكاسك واستنيري   شهاب النصر من وجه البشير

وزيدي الكاس واسقيني الحميا   على ضاهي محياك المنير

مدام لاح منها البدر مزجا   وشمس ان تكن صرف العصير

وقد حبك الضياء لها حبابا   فهل لك ان تديري بالكبير

سلافا ليس يدركها زجاج   لها كاس من العقل البصير

الا اسقيني مع الجوزاء كأسا   وعاطيني على زهر الغدير

الى ان يقول :

مشعشعة تلوح بكف ساق   هتكت بحبه حجب الستور

طلاء فاق طعم طلاء فيه   على ما في يديه من الخمور

ولما ذاق خمر التيه عجبا   فناداناً هلموا للسرور

الى ان يقول متخلصا الى مدح الامير اخيرا :

واشرقت الصبابة للندامى   كاشراق النجوم من البدور

بروض مالت الاغصان فيه   كما ملنا الى وصف الامير

امير بني المكارم والمعالي   بشير النصر والكرم الوفير

فان جادت يداه يوم جود   تخلها المزن او فيض البحور

وهكذا الى اخر القصيدة .

وكم راجت الصناعة الشعرية في ذلك الوقت . كان الامير بشير يقترح على شاعريه الترك وكرامة فيمتثلان لامره وينظمان ما شاء . فاذا استحسن الامير ذلك يأمر بالتخميس او التشطير او المعارضة فيذعن الشاعران . وربما أمر بتخميس التخميس او تشطير التشطير .

قدم الامير يوما باقة زهر لبطرس كرامة فقال في ذلك:

وباقة زهر من مليك منحتها   معطرة الارواح مثل ثنائه

فابيضها يحكي جميع خصاله   واصفرها يحكي نضار عطائه

وازرقها عين تشاهد فضله   واحمرها يحكي دماء عدائه

فاذا بنقولا الترك يخمس تلك الابيات ويشطرهـا ويعارضها فيأمر الامير بتخميس ابيات الترك وتشطيرها فيمتثل بطرس كرامه للامر فيقول من جملة ما يقول :

رعى الله اوصافا بفضلك شمتها   وايات مجد من علاك عهدتها

بروحي افدي نعمة منك حزتها   وباقة زهر من اقاح منحتها

من البطل المشهور في عظم فعله

وكم راج التاريخ الشعري في ذلك العصر ، فهـو عندهم ذروة الشعر ومنتهى الفن . اما الشاعر الذي ينظمه

---

(٥) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، ص ٥٦ ـ (٦) بطرس كرامة : سجع الحمامة .

فهو الشاعر الفحل . وكان بطرس كرامة يؤرخ ما طاب له التأريخ ، فاذا اطلق الامير عذاره ينبري الشاعر ليقول في هذا الحادث الجلل :

ان البشير الذي جاد الزمان به   قد ساد بالمجد والافضال واللطف
بدا عذار البها في سعد طلعته   يحكي اساطير بسم الله في الصحف
الله عظمه قدرا وجمله   ارخ وزينه في حلية الشرف

ويبني الامير دارا في بتدين فيقول فيها بدل التأريخ اربعة منها :

سمت ببشيرها دار   بشهب السعد مقرونة
غدا تاريخها زاهي   بحفظ الله مامونه

او يقول :

دارا بناها الشهابي   فاشرقت بسعوده
دامت ودام بشير   أرخت ضاءت بجوده

ويبني الامير جسرا على نهر الدامور فيقول فيه الشاعر تاريخين اولهما :

انشاه منشي العدل ذوالشرف الذي   هو مطلع المجد المنيف وبدره
اعني سليمان الزمان ومن سما   بسما السعادة والوزارة قدره
اجرى من الصدقات كل عظيمة   اضحى بها ارخ عظيما اجره

اما التاريخ الثاني فهو الذي رقم على الجسر المذكور وهو :

بناه سليمان الزمان الذي سما   بعدل وبذل فاستعز حصينا
وزير لشهرين استتم بناءه   فقلد نصرا بالثواب مبينا
ينادي به الاجر العظيم مؤرخا   ألا فادخلوا بالسلم رحبا امينا

وجر الامير المياه من نهر الصفا الى قصره فانشد المعلم بطرس موشحا طويلا محتذيا فيه لسان الدين بن الخطيب . فيقول ولكن على قسط من الركاكة وفير :

صاح قد وافى الصفا يروي الظما   بشراب كوثري اللعس
وافاض الشهد في روض الحمى   لحلا الفم وبرء الانفس
حبذا الفوار منه حين راق   فارانا ماؤه ذوب اللجين
نزه القلب من الهم وراق ،   بسنى صافي صفاه ، كل عين
نثر الدر بفيض واندفاق   وسقى الوارد أهنى الاطيبين
قد جرى عذبا فاغنى الندما   بزلال عن رحيق الاكؤس
وعلى الاغصان أبقى النعما   فزهت مثل ندامى العرس

وهكذا دواليك

ولكن ما لبث ان خبا ضوء الامير فاذا هو في مالطه يعاني مرارة النفي ، واذا بشاعرنا يتحول عن سيده ليمدح وزراء بني عثمان ، ولا يعود الشاعر الى سيده الا وقد عاد هذا الى التراب فيقول مؤرخا :

قد كان صاحب هذا اللحد ذا شرف   مدى الزمان رفيع غير منخفض
لاقى المنية في التسعين متشحا   بر الفضائل في عمد وفي عرض
اولت ولايته لبنان طيب ثنا   وشاد بالعدل فيه كل منتقض
فهو الامير الشهابي البشير ومن   غير العلى لم يكن يرتاد من غرض
قضى فاظلمت الدنيا مؤرخة   اما البشير شهاب بالجناب يضي

كانت الصناعة في الشعر مشكلة ذلك العصر ، فلقد كان امتدادا لعصور الانحطاط ، ولم تكن قد نضجت بعد عوامل النهضة في رؤوس الادباء ، ولذا فقد تلهى ادباء ذلك العصر ، كما تلهى اسلافهم في عصور الانحطاط بالصناعة والبديع ، وانصرفوا عن الابتداع ، الذي لم يكونوا بعد قد قووا عليه ، الى تقليد القدامى والنسج على نولهم البالي الركيك . فاذا بهم يأتمون بصفي الدين الحلي ومن جاء بعده من شعراء عصر الانحطاط ، فيكثر في اشعارهم البديع ، ويتضح التقليد ، وتسود الصناعة ، ويظهر التكلف ، وينعدم الابتكار والابتداع . واذا بشعرهم صورة مشوهة عن القديم ، قد بان فيه التقليد الممسوخ .

وليس لنا ان نلوم اولئك الشعراء ولا ان نسخر من شعرهم ذاك ، فما كاد الشعر بعد يفيق من سبات عميق استبد به ، بل من اغماءة قد دامت عدة قرون . ولم تكن النهضة العلمية ، مع ما كانت تبديه من نشاط ، الا حديثة العهد ، طرية العود ، فلم تستطع ان تبدد ذلك الظلام الذي قد تراكم على الناس وتكاثف . كان حسب الانسان ان تنقاد له القافية ويستقيم له الوزن او يكاد ، حتى يدعى بالشاعر الفحل والاديب العظيم ، ولا بأس عليه، اذا اتفق له ذلك ان يكون شعره كلاما مصفوفا ، خلوا من المعنى ، فارغا الا من اللفظ الرنان . اما اذا استطاع الناظم ان يأتي بشيء من البديع فقد بلغ الذروة وطبقت شهرته الافاق .

وكان ذلك ما حدث لبطرس كرامه ، فانه ما كاد يفرغ من نظم قصيدته « الخالية » التي مطلعها :

أمن خدها الوردي افتنك الخال   فسح من الاجفان مدمعك الخال

وهي قصيدة مؤلفة من خمسة وعشرين بيتا ينتهي كل بيت منها بلفظة « خال » ، حتى اثارت ضجت عمت جميع اقطار الضاد ، فيعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة مطلعها :

الى الروم اصبو كلما اومض الخال   فاسكب دمعا دون تسكابه الخال

ويخمسها الشيخ ابراهيم آل يحيي العاملي الشامي فيقول من جملة ما يقول :

اخالك ذا عزم هو الصارم الخال   وحلم وان طاش الحليم هو الخال
علام الاسى ما الخال انت ولا الخال   أمن خدها الوردي افتنك الخال
فسح من الاجفان مدمعك الخال

كما يخمسها الشيخ موسى المشهدي بقصيدة مطلعها :

اراك بوجد لا ينوء به الخال   وفرط هوى أي والهوى بالحشا خال
فما أنت من سلمى به الدنف الخال   أمن خدها الوردي افتنك الخال
فسح من الاجفان مدمعك الخال

وسمع بها عبد الحميد الشهير بابن الصباغ احد اعلام بغداد فقال مادحا ناظمها :

تبسم الزهر عن انفاسكم فسرى   من الطيب ذكركم نشرا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركم   والاذن تعشق قبل العين احيانا

ومن جملة ما قاله ايضا : « فيا لها من خالية اضحت خالية من التقصير حالية كالجيد باللؤلؤ الفريد :

قد فهمنا منها المعاني فهمنا   بكلام حاز النهى والكمالا
عمنا حسنها بوجه جميل   حين لاحت في وجنة الحسن خالا

ولم يكتف بذلك بل نظم تسعة ابيات اخرى جاعلا اول مصراع من صدورها على الترتيب حرفا من احرف اسم

مراحل الرغبة

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي

اخصائي في علم النفس

O

هناك رغبات حقيقية تدفع الشخص الى تلبية حاجات حيوية للجسم ، وهناك رغبات كاذبة تخلقها النفس لتوهم الشخص باللذة والراحة . واغلب الناس الذين لا يفحصون رغباتهم يقعون في سلوك معقد ويصرفون كل طاقتهم وكل وقتهم وكل مكسبهم في ارضاء رغبات كاذبة تؤدي بهم الى عدم الاكتفاء والى الامراض المستعصية والى خسارة الحياة كلها ، ولولا الرغبات الكاذبة وما تبعها من ضلال وشقاء لما جاءت الاديان لتخلص الناس من عذابهم والامهم النفسية والجسمية .

فاذا استعرضنا حياة الانسان والفوارق الملاحظة بين الوان حياته وجدنا اساسا هاما يؤثر تأثيرا مباشرا في احداث التغيير الكبير في الشعور بالتعب والراحة وفي الوصول الى الشقاء والسعادة والتعرض للفشل والنجاح . هناك الرغبات الضرورية التي تظهر في كل مرحلة من مراحل الحياة وتفرض رغبة معينة في مرحلة معينة من تطور الانسان في نموه من الطفولة الى النضج — فالطفل يرغب في الاكل ليكبر ، ويميل الى العطف ليربط شخصه بالمجتمع ويميل الى الحركة لينشط الدورة الدموية ويزيد من التنفس ونخطىء خطأ فاحشا مع الحياة ونخالف اساسا هاما من اسسها عندما نعارض رغبة الطفل في الغذاء المنظم او عندما نسمح له بالاسراف في اكل الحلويات التي تعوقه عن تناول وجبته الكاملة ، ونؤذي جسمه عندما نمنع رغبة الجري عنده . كما ان بعض الاباء الذين يخشون التعبير عن العطف نحو اولادهم يعرضونهم الى الانطواء والانفصال عن الناس وعدم القدرة على التكيف . يجب ان نبحث عن الرغبة المفيدة للطفل لنحافظ عليها ونشجعها دون تعريضها الى الاسراف حتى لا يعود الطفل ينفر منها ويهملها . ان الاسراف في الاكل يتعب الجهاز الهضمي ويوقع الطفل في الامتناع عن الاكل ويحدث هذا الامتناع آفات جسمية وعصبية خطيرة بالنسبة لما يلحق البالغ عندما يمتنع عن الاكل .

وهناك رغبات العناد التي يثبت الطفل بها شخصيته فيعارض ويرفض طلبات الاخرين . فلا يجوز استعمال القسوة وارغام الطفل على الخضوع بالقوة . ولنعلم ان القوة لا تؤثر فيه ولا تغير موقفه ولكنها تقضي على شخصيته وتخلق منه شخصا ثائرا او ذليلا . واغلب الاباء والامهات الذين يندفعون تحت تيار انفعالاتهم لا يعطون اهمية لهذه الرغبة الهامة ويعرضون اولادهم الى اضطرابات نفسية تلازمهم طول الحياة .

ولا ننس رغبة الاستطلاع وهي اساس العلم فانها تظهر في ميل الطفل الى البحث والتنقيب والوقوف على الاشياء الملفوفة والوصول الى الاسرار المكتومة . فبدلا من ان نساعده على اشباع هذه الرغبة بحكمة واعتدال فاننا نتطرف اما بالاخفاء التام والتكتم الصارم واما بالتساهل واطلاق العنان بلا قيد ولا تحفظ . وفي كلتا الحالتين يحدث الفساد . وهذه الرغبة تجري ايضا على مراحل يحسن بالمربي تتبعها ورعايتها بصبر لتسير في طريقها الطبيعي فيزود الشخص في بلوغه برغبة المعرفة التي لا تنتهي

ناظم الخالية وفي الحرف الثاني ايضا منها على الترتيب اسم ناظم الابيات عبد الحميد وملتزما ايضا في كل مصرع من الصدور والاعجاز تاريخا مسيحيا هو سنة ١٨٤٤ سوى المصراع الاخير منها الذي التزم فيه تاريخا هجريا والابيات هي التالية :

بعثنا اليكم بنت رمز من الفكر	دهاها جوىاعطت به خالص الشعر
طبعنا عليها خاتما من دلالة	ادلتها راحت عن الشمس والبدر
رداح اتتكم من بعيد فقيرة	ووافت اليكم في سقيط من الفخر
سأتحفكم اشعارنا عن سبيكة	دنانيرها فاقت على منطق التبر
كليلة لحظ عنكم صح قلبها	بها كامن وجد كخنساء في صخر
رحاب الفضا لم تحو اول علمكم	الى ان يضيق البر سردا مع البحر
امنتم صروف الدهرمن قيد حادث	الى غاية الدنيا الى اوحد الدهر
هديتم بنور الرب بابا فارخوا	هو الله لا ما زال من مشرق الفجر

ويجيبه عليها بطرس البستاني ملتزما نفس البحر والقافية ومؤلفا في هذه المرة من الحرف الاول من كل بيت اسم عبد الحميد ومن الحرف الثاني من كل بيت اسمه هو ، ويضمن العجز الاخير من البيت التاسع التاريخ الهجري فيقول :

عبير لنا عبد الحميد بدا الزهر	وعته فيحيي عرفه خامل الذكر
بطلعة حسنا قد ادامت جمالها	افانين اداب رقت منهل الدر
دراري معانيها سمت فبدائعا	وعشقا دعونا في الجنان وفي الفكر
اسير لمنشيها امرء القيسوهي في	دلال على هامي المعارف والشعر
لك الفضل يا عبد الحميد ممهد	بحلى ذكاء والبيان من السحر
حري بان تسمو نعم كل بارع	اطار وما رسم الزجاجة كالبدر
مآل ذوي الاداب رد لعلمكم	شهيد فم بالسبق في السر والجهر
يمدك بالاشواق مداحا مع الثنا	اسير هواكم ما سلا مدة العمر
دها حبك المشتاق عهد من النوى	يسد وان لم ابد واجبكم عذري

وهكذا تستطيع هذه « الخالية » التي هي اقرب الى الاحاجي منها الى الشعر ان تملأ الدنيا في ذلك الوقت وتشغل الناس .

وسنتكلم في العدد المقبل على بقية شعراء القرن الماضي تمهيدا للكلام على الشعر اللبناني الحديث .

سامي مكارم

والتي تزود الشخص بقوة العلم وقدرة التغلب على مشكلات الناس وصعوبات الطبيعة بالتنبؤ العلمي . والناس في هلاك لاندفاعهم نحو رغبات معينة تدور حول الاكل والجنس ولا تتعداها نحو العلم والمعرفة . ان انعدام رغبة الاطلاع على الجديد من المعلومات واسرار الكون هو الذي اوقع الناس في الفراغ ودفعهم الى البحث عن وسائل التسلية والرجوع الى مرحلة الرغبات الطفلية . وهذه الكارثة النفسية سبب الكوارث الصحية والاقتصادية والسياسية اذ مكن الانسان البعض من استغلال هذه الرغبات الطفلية باغرائها . فانك ترى اليوم المجلات والكتب التي كان المطلوب منها ترقية الانسان وتنمية عقله تنزل الى مستواه باستعمال الالوان الجذابة والصور المثيرة للنفس

وهنا نتحدث عن مراحل الرغبة الجنسية هذه الرغبة التي تعرضت الى تناقضات غريبة وحار الناس في امرها فتارة يحاربونها حربا عنيفة وتارة يثيرونها اثارة قبيحة . اننا نخفي امرها عن الاطفال بطريقة تنبههم الى البحث عن اسرارها . ويبحثون وحدهم عن هذا السر وكل منا يصل اليه بالصدفة المؤلمة . فلا نزال ضعافا بمحاولة اخفاء ما لا يخفى وتحكى للاطفال حكايات سخيفة لنبعدهم عن الحقيقة . وهنا اذكر قصة الطفل الذي تبجح امام طفل اخر اصغر منه قائلا انا اعرف ماذا يفعل الاهل لكي يأتي طفل جديد فرد عليه الاخر انا اعرف ماذا يفعلون ليمنعوه من ان يأتي ... وكلنا نتحدث عن ازمة المراهقة ولكنا لا نتحرك لننقذ الشبان من هذه الازمة الخطيرة التي تصادف الشاب في اعز اوقات تكوينه الجسمي والذهني . تقوم القيامة ان اختفى نوع من الاكل او الخضار وتتدخل الحكومة لترضي الجمهور الثائر ، وتقوم الضجة لان سياسيا مات او خسر ما خسره خصمه بالامس ولكنا لا نتحرك ولا نبالي بما يعانيه الشباب من صراع في الخفاء . وكل ذلك لاننا لم نحدد موقفنا من مراحل الرغبة الجنسية ولم نعلم الشاب اهم شيء في الحياة يتعلق بصحته ونومه وذهنه ومركزه ومستقبله . يعلمه الزميل الاكبر في خفايا الظلام متأثرا بشهواته المكبوتة ، يعلمه الخوف من الكبت المتضارب مع الخوف من الامراض السرية ، يقع في نهاية الامر في الحيرة المهلكة للاستقرار ، القاضية على الشعور بالجمال . ويقع في الشعور بالذنب الذي يجعله يحكم على نفسه بالذل ويرضى بالقليل وتموت في نفسه دوافع الطموح

وقام بعض الصحفيين في مصر باستفتاء خاص عن موضوع البغاء والح علي الصحفيون في السؤال حول هذا الموضوع لاقول رأيي بصراحة ورفضت الاجابة على اساس ان السؤال خاطيء . فالحل لا يكون باخفاء المشكلة . فلن الشخص الذي يبدأ يفقد بصره ويطفيء النور لايمكنه ان يسترجع بصره بالعلاج والوقوف على سبب مرضه ، ان المشكلة ترجع الى اجيال قديمة وهي تحتاج الى شجاعة في البحث وصراحة في القول وجرأة في الفعل .

ان الرغبة الجنسية موجودة بوجود الانسان وتتطور معه حسب مراحل معينة خاصة بها . فيجب ان نحترمها ونتيح لها سبل النمو في الحدود المعقولة ولا نعرض الشباب الى الوقوع في زيادة شدتها والا فقد السيطرة ووقع في الصراع المهلك او الاسراف المفسد ، ان الرغبة الجنسية مرتبطة بالغذاء فان زاد زادت بصفة تلقائية وان نقص نزلت حدتها . فالاب الذي يغذي ابنه باسراف يعرضه الى الوقوع في اقوى مرحلة من مراحل الرغبة الجنسية ويجعلها مشرفة على النهاية وتطلب اتصالا جنسيا سريعا ومن هنا تأتي الافعال الخطيرة . ويظهر الشذوذ الغريب . فانك لا ترى شخصا زائد السمنة ومتوفر الغذاء بلا قيد ولا شرط الا وتحكم انه معرض الى شدة وطأة الجنس وانه يعاني صراعا ان كان متدينا او يتعرض الى حلول خاصة به ولا يمنع مرض السكر ظهور الرغبة رغم اضعافه القدرة على القيام بالفعل قياما طبيعيا يحدث الارضاء . وهذه المشكلة الجسمية النفسية تنقلب الى مشكلة اجتماعية اذ كثيرا ما يهجر الشخص المريض بالسكر زوجته لشعوره بالضعف في المراحل الاخيرة من الرغبة الجنسية وكثيرا ما يحدث ذلك اصابته بداء الغيرة الحادة والشك في اصدقائه وسلوك زوجته .

واعتقد ان دراسة مراحل الرغبة الجنسية وصلتها بمراحل رغبة الغذاء يفتح امامنا بابا واسعا للاصلاح وانقاذ نفوس عديدة من العذاب المر الذي يعانيه بعض الناس في الخفاء . ويمكننا بلا شك ان نصل يوما الى احداث الغيرة وخلق الانسان المتزن المسيطر على اعصابه بتنظيم الرغبات وعدم محاربتها من ناحية واثارتها من ناحية اخرى . ان المسؤولين لا يقبلون تعذيب الناس ولا شك ان نيتهم سليمة ولكن كيف يمكنهم ان يعلموا ان تشجيع الغذاء بصفة زائدة عن الحد يتلف رغبة الاكل الطبيعية الحارسة على صحة الجسم ويعرض رغبة الجنس الى الفوران بشدة ، ويفسدها في مرحلتها الاخيرة وفي علاقة الزوج بزوجته اذ يصبح الفعل الجنسي سريعا ويوقع الزوج في شعور بالنقص امام زوجته ويعرض الزوجة الى عذاب عصبي نفسي .

هذه حقائق علمية يحتاج اليها الناس في حياتهم اليومية ويحتاج اليها الحاكم في اعماله التشريعية وتساعد المربي على توجيه النشء الاتجاه المؤدي الى تقدير الجمال بحرية والاقبال على الحياة في كل مظاهرها دون الوقوع فريسة لمظهر واحد من مظاهرها المتكاملة . اني لا امنع اي شخص من اي رغبة فعلية شرط ان يعرف كيف يحافظ على التوازن بها لكي يكون هادئا مكتفيا غير مندفع بشدة الى ناحية ثانية تبعده عن الاتصال بالجمال المطلق في الطبيعة كلها وما تقدير جمال الانسان في المرأة والرجل الا مرحلة من مراحل النمو للوصول الى اجواء عليا من الجمال . ان كل الرغبات التي تبدأ بالمحافظة على الحياة وعلى الصحة تنفع لتحقيق الشعور بجمال كامل تتداخل فيه الاشكال السمعية والبصرية واللمسية وغيرها . وأرى ان اكبر لذة في الحياة حقا هي عندما يعثر الشخص على شخص اخر يشاركه انواع الجمال وتكون النعمة العظمى عندما يصادف الرجل المرأة التي تخضع لمراحل الرغبات تصل بها الى الاحساس الخالد بالجمال الذي ينتقل من شكل الى شكل ويستمر من لحظة الى اخرى .

القاهرة — **ابو مدين الشافعي**

ليلة الجبل

٥

صعدتُ بكِ الجبل لانّه كبير مثلك
فيه من « قريتكِ » لون ، ومن حبّكِ الف لونٍ ولونْ
هيكلٌ قدّستْهُ أنفاسُ الطبيعة
معبدٌ مضمّخٌ بالبخور والايمانْ ...

* * *

وكنتِ الى جانبي تختنقين في الحنجرة الكلماتْ
وتموتُ الابتسامة ، هزيلةً على شفتيكِ ...
وكنتِ تتألمين ...
للالم لغة اروعُ حروفها الصمت
وكنتِ في الحروف أروعَ ما في الحروف!...

* * *

وكنتُ بقربكِ ... « بعيداً بعداً؟ ... »
ألا ما اقربَ هذا البعد البعيد ! ...
وكيف لا يقتربُ البعيد ويتلاشى في ملاوي الجبل
وكنتُ الهمسة في شفتيك ، والرقّة في عينيك !
والخفقة النابضة يرتعشُ بها فؤادكِ !
ولتقمْ بيني وبينكِ تلالٌ من الجبال ...

* * *

هدّكِ المرض ! وأنتِ اقوى من المرض ? ...
شُلّت يداه .. بأي عين ، وبأي قلب ?
ولتسلم العين والقلب :
عينٌ يتسلسل منها الضياءُ حبّاً ...
وقلبٌ يغفو الربيعُ في حبّاته ...

موسى سليمان

في القـوميـة

بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج

١ – في المجتمعية

ان اول ما يبرز لنا (1) ، في نظرنا الى الانسان ، هو انه كائن مجتمعي . قلت مجتمعي ولم اقل اجتماعي لان الفرق بينهما كبير . الاجتماعية صفة مزاجية يتحلى بها البعض من الناس ، ولا يتحلى بها البعض الاخر . وهي تقوم على الاستئناس والمؤانسة ... الاستئناس بالغير ومؤانسة الغير . الانسان الاجتماعي هو الذي يرحب دائما بالاخرين، وعلى شفتيه كلام التأهيل والتسهيل ... هو الذي يرغب الناس في ان يروه بين ظهرانيهم ، ويرغب هو ايضا في ان يراهم معه ... هو الذي يميل دائما الى مجاورة الغير ، فيتردد على المجالس ، ويتداول فيها الاحاديث مع الاخرين. هو الذي يمقت الانزواء ، ويكره السكوت ، ويحب ربط العلاقات الطيبة مع سواه ... هو الذي ينشرح صدره لمرأى الجار ، ويهش ، ويبش ، فتنبسط سرائر وجهه ، ويبسم ثغره ، ويعذب حديثه، وتحلو ضيافته. الاجتماعية حالة خلقية ، وهي عكس الانفرادية . فمن الناس من يحن بشدة الى ملاقات الغير ، لهذا يستروح الاجتماعات . ومن الناس من ينفر بشدة ، من ملاقاة الغير ، الا في الوقت الواجب ، لهذا يبتعد عن الاجتماعات ... الانسان الاجتماعي انسان انيس . انسان يحب كثيرا جلاس الاندية والحلقات . انسان يرغب جدا في ان يزور وان يزار . وبكلمة واحدة هو غير المتوحش .

الانسان المجتمعي اغور فحوى من الانسان الاجتماعي. المجتمعية "بعد" كينوني ، لا صفة مزاجية او حالة خلقية ، لانها تتناول جميع الناس دون تمييز او استثناء . هي كائنة في قرارة كل واحد من البشر ، اجتماعيا كان ام متوحشا ، بسبب كونها محضا من المحاض البديهية في نفس الانسان. وهي تقوم على ان الانسان مفلوق الوجدان اصلا ... ثنائية ... اي ان فيه انسانا حاملا وانسانا محمولا . ان كلمة انسان هي مثنى انس . وانس لفظة مفردة مثناها انسان . في كل انسان (بمعنى المفرد) انسان (بمعنى المثنى . لا انسان بانسين ... انس مخاطِب وانس مخاطَب ... انس فاعل وانس مفعول . وهذا يعني ان الانسان المجتمعي – سواء كان في عزلة عن الناس ، او بين ظهرانيهم – هو دائما حيال الغير ... هو دائما ذو انسين ، انس يتحدث وانس يصغي . هذا الغير قد يكون في الخارج (ذلك هو المجتمع البراني) وقد يكون في الداخل (ذلك هو المجتمع الجواني) . قد يكون بطرس الجالس ازائي ، في حديث معي فوق الصخرة المشرفة على الوادي . وقد يكون انا بالذات ، في حديث باطني ، بيني وبين نفسي . الاعتزال عن الاخر هو عينه اجتماع بالذات . هذا وقد دلت جميع الابحاث النفسية ، المرضية منها واللامرضية ، الى ان الانسان ذو حدين ، اما ان يكون بازاء الاخر الكائن في الخارج ، واما ان يكون بازاء ذاته الكائنة في الداخل . اذن الانسان دائما ازاء ثان تلك الازائية بعد من ابعاد الوجدان الكينونية . وقد استطاعت اللغة ان تشير بوضوح الى هذه الازائية المركوزة في قاعنا الادمي . نقول مثلا انعكف على ذاته ... خاطب ذاته ... اندفع نحو ذاته ... آب الى نفسه ... بينه وبين نفسه .. تساءل عن الامر الفلاني.. همس في بعض ذاته ... لام نفسه ... الى ما هنالك من عديد الصيغ اللغوية التي تفيد ان الانسان ثنائي الكيان في العالم الجواني ، وان لم يكن ماثلا حيال اخر في العالم البراني . وهكذا يصبح الانسان مجتمعا في ذات نفسه ، وتصبح العزلة فكرة خاوية ، لا وجود لها البتة . ان الانسان في مشافهة دائمة مع اخر ، قد يكون سواه ، وقد يكون هو ذاته . الانسان يحمل فيه باستمرار عشيرا صامتا. وبذلك يزول الفرد بمعنى الواحد الاحد .

اجل ، الانسان مغمور اصلا بالمجتمعية . هو محاط كينونيا بوجود غيري ، كيفما اتجه ، وحيثما كان . وقد غدت هذه الغيرية احد الابواب الاولية في الفلسفة الوجودية الحديثة ، التي اهتمت كثيرا بتحديد الانسان كائنا – في – المجتمع . المجتمعية شرش لصيق بفطرة الانسان . ولكن الفلاسفة المتبرجعين لم يعتبروا المجتمع الا كعائق في سبيل ادراك حقيقة الانسان ... او في سبيل ادراك الانسان ذاته ، لان الغيرية تعني حرمان الانسان فرديته ، حسب ما يعتقدون ، عن طريق اناخته لنظام خارجي . وهكذا لا يعود حرا ان يفعل ما يشاء كما يشاء . وقد جاء التنسك ، الذي طغى على المفكرين ، في الازمنة الماضية – سيما القرن الوسيط – امتدادا لهذا الميل الانعزالي . اما خطأ هذه النزعة التنسكية فهو يقوم على انها لم تميز بين الانسان الاجتماعي L'homme sociable والانسان المجتمعي L'homme social غاب عن بالها ان الانسان لا يصير مجتمعيا بسبب وجوده في المجتمع ، ولكنه موجود في المجتمع بسبب كونه مجتمعيا بالاساس .

هنا يحسن بنا ان نفرق بين الفرد والشخص . الفرد هو انسان مرصوص ، او متكاثف تراكم بعضه فوق بعض ، دون ان يترك فيه مسحب هوائي . هو تركيز جلمودي لا يتنوع . لا مسافة بينه وبين نفسه . هذا الانسان الملصوق بذاته يمثل احط معاني الانسان .. يمثل الانانية . هو الانسان ، وقد كاد ان يكون فقط لحما ودما . بينه وبين بدنه سماكة ظل . اما الشخص فهو انسان مندوف . اي شفاف يتراءى من بعيد ، بفضل النفق الهوائي الذي ترك فيه . هو اثنان لا واحد . ان فعل شخص متعد ، لانه يحمل فيه معنى الانفتاح ، والارتفاع ، والانتقال الى الخارج. يقال شخص بصره ، اي فتح عينيه ، ورفعهما الى السماء . وشخص من بلد الى بلد ، اي ذهب من بلد الى بلد شخصت اليه ، اي ذهبت اليه . نقول اذن بان الفردية هي الانسان قبل ان يهجر ذاته الواطية ، وبان الشخصية هي الانسان بعد ان يؤوب الى ذاته العالية ، عن طريق الغير . الفردية حركة جاذبة ، يهبط بها الانسان الى تحت

---

(1) هذا هو الفصل الاول من كتاب الدكتور كمال يوسف الحاج « في القومية والانسانية » الذي سيصدر في منشورات عويدات .

الشخصية حركة طاردة ، يرتفع بها الى فوق . الفردية حالة انكماشية ، تبتعد عن الغير ، لتموت مرصوصة كالمادة. الشخصية حالة انفلاشية ، تقترب من الغير ، لتنشرح نامية كالروح .

والحقيقة ان أنية الانا لا تبرز واضحة ، الى ذاتها ، الا في تخاطب مع انية الانت . بهذه المخاطبة تخرج الانا من ذاتها الوضيعة (تلك هي الفردية) لتعود الى ذاتها الرفيعة عودة احق واصوب (تلك هي الشخصية) . ولا شيء يعين الانا على هذه الحركة الجدلية ، مدا وجزرا – بينها وبين ذاتها – الا وجود الغير حيالها . لهذا كانت الانا تحمل بين جنبيها منذ النبضة الاولى ، قابلية الاجتماع بالغير مجتمعيا. ان الانا مندفعة بالطبع نحو الانت لتكون حقيقة أنيتها . يعني ان الحياة الاجتماعية هي امتداد للحياة المجتمعية . المجتمع ، بمفهومه المجتمعي ، يحيط اذن بالانسان دائمًا ، اينما كان وانى كان . وبعبارة اوضح نقول يتشخصن الإنسان بمقدار ما يتجمعن . وقد تراكضت جميع الابحاث، في علم النفس Psychologie وتحليل النفس Psychanalyse وما يمكن تسميته، في لغتنا العربية، بالمظهرية Phénoménologie نحو اقرار هذه الثنائية لدى الانسان ، فاثبتت نهائيا ان الانسان يشحن في ذاته مجتمعا بالقوة ، وان كان في عزلة تامة . وذلك يعني انه لا يستطيع ان يفر من وجود الغير ازاءه . هذا الغير قابع في جبلته البشرية ... في قاع لطيفته . من العبث اذن طرده ، او خنقه ، او اعتزاله . ان عملا كهذا مبطل لذاته تماما . هو انتحار كيوني في الاساس . يبقى ان نتساءل عن اسباب هذه المجتمعية . ما هي دوافعها ؟

يقول ابن خلدون ، في مقدمته ، ان بقاء الانسان لا يصح الا بالغذاء . لولا الغذاء ما نما الجسم البشري . ولكن قدرة الواحد من الناس قاصرة على ايجاد تلك الضرورة الغذائية . فان أقل ما يمكن فرضه ، وهو غذاء يوم من الحنطة ، لا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن ، والعجن ، والطبخ . وكل علاج لا يتم الا بصناعات متعددة من حداد ، ونجار ، وفاخوري . اذن ينبغي اجتماع القدر الكثيرة ، من ابناء الجنس البشري ، ليحضر قوت انسان واحد. التعاون، والحالة هذه ، ضروري ... وقد ذكر ابن خلدون داعيا اخر للاستعانة بابناء الجنس البشري . هذا الداعي هو الدفاع ضد الحيوانات . يقول بان قدرة حظ الكثير من الحيوانات العجم اكمل من حظ الانسان . قدرة الفرس اعظم بكثير من قدرة الانسان. وهكذا قدرة الحمار، والثور، والاسد ، والفيل ، هي اضعاف قدرته . ولذلك عجزت قدرة واحد من البشرعن ان تقاوم قدرةواحد من الحيوانات العجم ، سيما المفترسة . هو عاجز عن مدافعتها وحده ، حتى مستعينا بالالات المعدة لها . اذن لا بد من طلب المعونة، التي بدونها لا يحصل قوت او غذاء ، ولا يحدث الدفاع ضد الحيوانات .

الى هنا ونحن مع ابن خلدون . ولكن غاب عن خاطر هذا العالم الاجتماعي سبب اخر ، هو غير الجسم ، يعود الى اندفاع النفس (نفسيا) نحو وجود الغير . للنفس حالات تريد ، هي ايضا ، ان تحصل على غذاء لها وان تدفع عن ذاتها . حالات النفس لا يمكن انماؤها الا بالتعاون مع وجود الاخر . بغير ذلك يدب فيها الخراب ، فتتهافت ، وتنعدم . فهي مدفوعة اصلا الى شبح دائم ، اي الى اندفاع مستمر نحو الغير . جميع حالاتها عبر ذاتي الى موضوع خارج عنها ، وان في داخلها . عين عينها ان تكون حالاتها عينها . وكل حالة وجدانية تقوم على حامل ومحمول ، اي على ذات وموضوع . كل حالة وجدانية ثنائية الكيان . الحب مثلا يستلزم محبا ومحبوبا . لا حب ، بمعنى نفسي، من جهة المحب فقط . ان الحب حركة جدلية بين ذات محبة وموضوع محبوب . هو تبادل عاطفة جاذبة بين فاعل محب ومفعول محبوب . ولولا المحبوب ما كان حب المحب . قد يخفق هذا الشاب في حبه لتلك الفتاة التي لم تبادله العاطفة . ولكن ذلك لا يعني ان حبه لا يندفع دائما نحو محبوب . اتفق ان تلك الفتاة ليست ذلك المحبوب المرغوب . اما المحبوب فهو كائن ... كائن بالقوة في عالم الغيب . ما زال مجهولا يبحث عنه . وسيأتي يوم يتلائم فيه مع الواقع ، فيبرز الى حيز الوجود ، حينذاك تمتلىء به عاطفة المحب . فعدم تبادل الوجد في العالم البراني ، بين الشاب الذي يحب والفتاة التي لا تحب ، لا يفيد ان حب المحب ليس شبحا ذاتيا نحو موضوع محبوب. هذا الموضوع المحبوب قائم ، وانما في غير هذه الفتاة . ما برح في الآتي . المحب الفاشل ذات محبة توهمت ان موضوعها المحبوب قد تجسم في فتاة معينة ، فلم يتلائم الموضوع مع الواقع ، ولذا كانت الخيبة المؤلمة . الخيبة الوجدانية ليست عدم وجود موضوع حيال الذات ، بل عدم صيرورة الموضوع واقعا كثيفا ، يأتي تكملة نفسية . ذلك هو الفارق بين الوهم والحقيقة . الوهم شبح ذاتي نحو موضوع لم يتحقق في عالم الوجود .

وهكذا قل عن كل حالة نفسية .. البغض ، الرحمة ، الامومة ، الابوة ، الزوجية ، الى ما هنالك من حالات نفسية .. لا تقوم الا على حامل ومحمول .. اي على انا حاملة وانت محمولة ، هي ايضا انا حاملة من جهة ذاتها . لا مجال في وجدان الانسان لحالة نفسية ، اذا كانت لا تحمل في ثناياها الموضوع الذي تشبح نحوه فطرة . اذن كل حالة نفسية هي ذات غامرة وموضوع مغمور . هي عاجن ومعجون . لا محب بدون محبوب . لا مبغض بدون مبغوض . لا رحيم بدون مرحوم . ان كل حالة نفسية تشتمل ، بالقوة ، على محمولها الذي هو تكملة لها ، اذا تحقق في الخارج ... تشتمل على ذات محيطة وموضوع محاط به . يعني ان كل حالة وجدانية هي حوار ، لان علاقة الذات بالموضوع ليست علاقة غريب بغريب ، بل علاقة اثنين متجانسين ، فيما بينهما ، رغم اختلاف الاول عن الثاني . ومن هنا كان التشابه ، ايضا ، بين الذات والموضوع – من حيث الجوهر – كما قال الحلاج في محبوبه :

روحه روحي وروحي روحه   ان يشا شئت وان شئت يشا

او كما قال :

جبلت روحك في روحي كما   تجبل العنبر بالمسك الفتق
فاذا مسك شيء مسني   فاذا انت انا لا نفترق

اذا رجعنا الى قصة الخليقة ، راينا بصورة واضحة هذه الحاجة الملحة في النفس الى تحقيق المجتمعية في الخارج : نعرف كيف كان ادم غير منشرح ، بادىء بدء في جنة عدن ، رغم تسلطه على جميع الاشجار والحيوانات .

فلا الغذاء كان ينقصه ، ولا الدفاع عن ذاته ضد البهائم ، باعتبار انها لا تفترس . وقد كان ادم قلقا على الرغم من كل ذلك . شعر في قرارة نفسه بالحاجة الى غذاء نفسي يأتيه من شبيه له . أحس بنداء في ذاته الى ذات تحاكيه جوهرا واشتد حنينه الى وصل آدمي ، ما دام يشبح ذاتيا الى موضوع من جنسه في العالم الخارجي . فما كان من الله الا ان أوقع سباتا عليه ، حتى نام . اذ ذاك استل الرب احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم . وهكذا تجسد في الواقع موضوع ذاته . اذ جاءت حواء عظما من عظامه ، ولحما من لحمه ... اتت عونا له بازائه . حينئذ اطمأن آدم الى نفسه التي لاقت موضوع ذاتها في ذات حواء ... اي التي لاقت نفسها في حواء . ماذا يعني كل ذلك ؟ يعني ان لطيفة الانسان تحمل نزعة غرزية الى سواها ، كي تكمل نفسيا بنفس غيرها ، والا ظلت ناقصة مبتورة عن نفسها بالذات.

وتزداد تلك النزعة الغرزية نحو الغير كلما ازدادت حرارة الذات ، وجاشت شحناتها الذاتية ، وغلى مرجلها في قرارتها الباطنية ... كلما اقتربت النفس من نفسها ، فنضجت ، طلبت نفس غير لتبثها حبات نفسها . وهي الحالة عينها التي يعيشها الكثيرون منا في اوج اكتمال حالاتهم الباطنية . ان فعل عبر عن ذاته يحمل فيه معنى الخروج الى جو براني ، وافهام الغير عما يختلج في الداخل الجواني . عبر من جذر عبر . وعبر انتقل من مكان الى مكان . ومنها العبَارة ـ او العِبارة ـ التي يراد بها في لغة الكلام الجملة . هذا الانتقال من مكان الى مكان في عالم المادة ، ينقلب انتقالا من حالة الى حالة في عالم النفس . وهو يشتد كلما حبلت الذات بذاتها . ومن هنا الشعور الملح بضرورة ابراز الافكار والعواطف للاخر الذي هو غيرنا . من الصعب ان تتمخض النفس بافكار كبيرة دون ان تشعر بالحاجة الى التعبير عنها للاخرين . لذا لا يمكننا ان نعثر بحكم الطبع لا بحكم الظروف ، على انسان لامجتمعي . ذلك الانسان هو كائن ساقط ، او كائن ارفع من النوع الانساني.

٢ ـ في القومية

تلك المجتمعية هي في اساس الشعور القومي ، بل هي عينها الشعور القومي بالذات . لا قومية لو لم يكن الانسان مجتمعيا . ان كلمة قومية مشتقة من قوم . وكلمة قوم هي الجذر الثلاثي الذي يتألف منه فعل استقام . القومية تحمل فيها اذن معنى الاستقامة . القوم ، والحالة ذه ، جماعة من البشر استقامت الروابط فيما بينهم ، اي قامت على اساس عصبي محكم . كل قومية هي بالضرورة مجتمع . وليس كل مجتمع قومية بالضرورة . انه اجتماع ، بالاحرى ، لا مجتمع . المجتمع يقوم على اندماج اعضائه كيفيا ، من اجل هذا اتى عصبيا ، الاجتماع يقوم على اختلاط اعضائه كميا ، من اجل هذا لم يات عصبيا . الاول قومي ، الثاني لا قومي .

لنضرب مثلا على ذلك ... افراد من السياح تلاقوا مصادفة ، على رصيف ميناء ، في اتجاهات متنوعة خارج البلد . هم يجهلون بعضهم بعضا ، اذ لا تجمعهم قرابة ارض ، ولا اقتصاد ، ولا تاريخ ، ولا لغة . انهم ينتسبون الى عدة اوطان ، وهاهم في غايات سياحية مختلفة . لانستطيع القول بانهم يكونون ، على رصيف الميناء ، مجتمعا قوميا . هم شرذمة افراد . هم قبضة ناس ، فقط ، يجمعهم الكم . لا ارضهم واحدة ، ولا اقتصادهم واحد ، ولا تاريخهم واحد ، ولا لغتهم واحدة . هم يكونون اجتماعا اعضاؤه فسيفسائيون .

ثم اقلعت بهم الباخرة في عرض البحر . وشاءت الظروف ان تجنح السفينة ، بدفع من عواصف هوج ، بعد ان امعنت داخل اليم . وازدادت العواصف شدة ، فاذا بالسفينة تقذف الى جزيرة نائية ، تحطمت هي فوق صخورها ، ونجا من عليها ... جزيرة نائية لا امل في الرجوع منها ، ولا في متابعة السياحة . وقد اضطر السياح الى الاندماج بعضهم ببعض. وتمر السنون بالعشرات والمئات ، فاذا بهم وباعقابهم يعالجون ارضا واحدة ، ويمارسون اقتصادا واحدا ، ويسطرون تاريخا واحدا ، ويتكلمون لغة واحدة . لم يعودوا كما ، اي تكدسا يتراكم بدون تداخل حميم . لقد اصبحوا كيفا أي عصبية متعضية . اصبحوا مجتمعا استقامت الروابط فيما بين اعضائه على اساس ارض واحدة ، واقتصاد واحد ، وتاريخ واحد ، ولغة واحدة . اصبحوا قوما . اذن علاقة الانسان بالانسان ، في المجتمع القومي ، هي اكثر من علاقة برانية ممكنة . هي علاقة جوانية واجبة .. هي نوع من الجبرية الحياتية . انها شبيهة برابطة الرحم .

تبين هذه الجبرية الحياتية ، بادىء بدء ، في اجتماع الاسرة ، اعني في الافعول التناسلي . الاسرة هي الاطار المجتمعي الاول ، الذي يولد فيه الانسان ، فتنشأ له به علاقة الوجه للوجه من الداخل والخارج . هي (أي الاسرة) تتكون من والد ، ووالدة ، واولاد ... اقصد من جيلين احدهما سلف وثانيهما خلف . وتقوم هذه العلاقة على اساس صلة الرحم . بها يحتفظ النوع البشري من تخريب الزمان . ولذا كانت احد مخاض لطيفتنا ، لا نقدر ان ندوس عليها الا بعلاقة ثانية ، تكون بمثابة توجيه النفس نحو مثال روحي اخر ، هو ايضا اطار مجتمعي .

ويتسع النزوع المجتمعي ، فاذا بنا في هيئة ارحب من الاسرة ، اعني بها العائلة . ان العائلة تستند الى عصبية ، تستمد قوتها هي ايضا من الرحم ، ولكن على نطاق اوسع من نطاق الاسرة . وقد لعبت هذه العصبية دورا هاما في تاريخ الشعوب ، وما زالت عنصرا خطيرا لتكوين المجتمعات البشرية . فهي التي قامت على اساسها ، في الماضي ، دول كبيرة وممالك عظيمة . وما فتئت عروة ذات شأن في التقارب بين الافراد ، وربما بين الامم . هذان المجتمعان ـ اقصد الاسرة والعائلة ـ يمتازان بقوة العصبية الرحمية ، بين الافراد ، وبسطوة استمرارها عبر الزمن .

ويتسع النزوع المجتمعي ، فاذا بنا في القرية ، او المدينة ، ثم الوطن . هذه المجتمعات يمكن اعتبارها ثانوية ، بالنسبة الى منطيق الرحم ، الذي يجعل الاسرة والعائلة مجتمعا اوليا . اما في الثانوية ، فمنطيق الرحم يضعف كثيرا ، بل يمحى ، لانها تقوم في الدرجة الاولى على مصالح الافراد ، بعضهم مع بعض . وهي تتكون من عدة اطر مجتمعية ... مهني ، وثقافي ، وعسكري ، وقضائي ، واداري ، وديني ، وقومي . ادنى هذه الاطر هو الاطار

المهني . واسمى هذه الاطر هو الاطار القومي او الامة . وهنا نتطارح السؤال التالي : هل يتسع النزوع المجتمعي الى ابعد من الامة ؟ هل ثمة كيان فوقي يسمو على الامة ، ويختلف عنها جوهرا ، فيناصبها العداء ؟ الجواب كلا .

ان التدرج من الاسفل يصل بنا الى الامة التي هي خاتمة السير صعدا ، في الزمان والمكان . هنا يقف المصعد، اذ لا فوق فوق الامة ، ولا بعد بعد الامة . لا شيء يسمو على الامة ، فيحيز في دائرة عليا . هذا الانسان المثالي اللاقومي ، المجمد في اللازمان واللامكان ، غير كائن حقا . هو من بنات الخيال المتهدل . ان الواقع يتدرج بنا من الاسرة ، الى العائلة ، فالقرية او المدينة ، واخيرا الامة كلها . اما بعد هذا فلا شيء اطلاقا . معناه ان الانسان ابن القومية جبرا ... ابن ارض معينة ، واقتصاد معين ، وتاريخ معين، ولغة معينة . خارج هذه الاطر المجتمعية ، لا يمكن للانسان ان يتعافى ... ان يتانسن . لذا من يقل قومية يقل مجرى واحدا من مجاري الحياة . خارج هذا المجرى الواحد ، يتهافت الانسان، وينعدم . اكثر من ذلك . ان مجرد التفكير بامكان وجود انسان خارج الاطر المجتمعية ، هو افتراض ، ليس الا . لذا لم يعطنا التاريخ حتى الان ، مثلا واحدا عن انسان لا ينتمي الى اسرة ، ولا الى عائلة ، ولا الى قرية او مدينة ، ولا الى وطن ... او عن انسان ينتمي الى كل الاسر، او الى كل العائلات ، والقرى ، والمدن ، والاوطان . هذا الانسان الوهمي كائن في الحكايات المزعومة ، لا في الواقع المعيوش .

ليسمح لي ، قبل ان آتي بتفصيل على بيان هذا في حينه ، ان اقص ما دفعني الى الايمان بالقومية . هذا الايمان لم يحدث اعتباطيا ، بصورة لا ترتكز على خبرة ايجابية . كان ذلك اثر رغبة مني في نقل احد كتب هنري برغسون الى اللغة العربية . وقد جرى الاحتكاك، لاول مرة، بين عربية قلمي وفرنسية انشائه ، فكان الاصطدام عنيفا للغاية . واعني بالاصطدام انني لم اتمكن من سكب الخواطر البرغسونية في ديباجة عربية ، تساوي رفيقتها الفرنسية جمالا وجلالا ، في البلاغة والبيان . وعاودت الكرة مرات ، وفي كل مرة كنت اهزم شر هزيمة . اقول بهذا الصدد ان برغسون من اقدر حملة القلم عند الفرنسيس . لقد كان من ارجلهم بلاغة ، ومن افحلهم بيانا . كان ابرعهم ، واحقهم التماسا للديباجة الكريمة الممتازة . غاص في استخراج ادق المعاني من اوقيانوس الوجدان ، ليلبسها الطف الحلل . ما تعمد الغريب ، يوما ، ولا توخى الالفاظ الناشزة . وذلك لحرص منه على ان يفهم العامة الافكار الفلسفية البعيدة بكلام لا يتوعر ، ولا يتعقد ، ولكنه سهل الاداء مليح الاستعارات .

وكان الاصطدام يتفاقم ، بين عربية قلمي وفرنسية انشائه ، كلما اوغلت في فصول الترجمة ... اي كلما اردت ترجمة كاملة . وقد احسست جليا ، في اخر الامر ، انني عاجز عن بلوغ البلاغة البرغسونية . اذ بان لي ان لا معنى لمعنى جميل لا يكون في مبنى جميل . والمبنى الجميل ذو قالب خاص ، لا يستعاض عنه دون المساس بجوهره . فحواه ان لا وجود لفكرة جميلة خارج المبنى الجميل ، الذي تكون قد انسكبت فيه اولا . من العبث ، والحالة ذه ، ان نطارد فكرا جميلا لا يقوم على ركيزة كلامية . هذا الفكر المطلق ، العام ، الشامل ، غير واقع خارج اللغة . تلك مثالية فواشة . الفكر الكائن هو فكر مكلمن . هو فكر ملسون . هو فكر زاولته حنجرة انسان . الترجمة الكاملة اذن خيانة لجمالية المعنى . انها تغدر بالاصل فتعطله تعطيلا . قد ننقل فكرا صائبا ، ولكننا لن ننقل فكرا جميلا . وعظمة الفكر لا تقوم فقط على صوابية المعنى . انها جمال بيان ، وجلال بلاغة ، لا يمكن صبهما في قوالب عدة ، دون المساس بجوهرهما . هما وقف على لغة واحدة ... اعني على وحدة اللغة الاولى ، التي تندمج بها عضويا الفكرة العظيمة . لا كمال لفكرة عظيمة الا في لغة واحدة (١).

لقد ابانت لي هذه التجربة كون الانسان لا يتحكم ، حتى الخلق ، الا بلسان واحد . ان يحوش عدة السنة ، او كل الالسنة ، حوشا كاملا فهذا من رابع المستحيلات . ان اطلاله على قوة اللغة (التي هي ملكة مطلقة) لا يكون الا ذهابا من فعل اللسان (الذي هو تحقيق خاص) . الانسان اذن امتداد لمجرى واحد من مجاري الحياة . هنا ظهر لي ان العام خواء . لا وجود للجوهر الا في الوجود ... لا وجود للعام الا في الخاص . لهذا كان وجود العام في العام وهما لا اساس له . من الباطل اذن ان نسعى خلف انسانية عامة لا تتجسد في قومية خاصة . والقومية هي المناخ ، المادي والنفسي ، الذي ينمو فيه الانسان بشكل صالح . مثل القومية للانسان كمثل الهواء ، والشمس ، والماء ، للنبتة النامية . لا كلية في الشامل . وتاريخ الانسانية ما قام على حضارة واحدة ... اذ لا حضارة عامة ... بل هو مجموع حضارات ، لكل حضارة منها زمان ومكان ، اي اطلال خاص على المطلق العام .

قلت ان معضلة اللغة هي التي كشفت لي النقاب عن حقيقة القومية ... هي التي حدتني ، بعد تجربة قاسية عنيفة ، على الايمان بواقع القومية . لا انسانية الا في بدء من القومية . ولكن القومية ليست عملا تعسفيا ... اي كيفما كان . القومية لا تفبرك ، ولا تصطنع . ان لها شيئا من الابوة علينا . وهذا يعني انها تفرض . لذا كان التحكم بها وليد خضوع لناموسها . لقد رأينا كيف انها تقوم على واقع اللغة . وما اللغة الا احد مداميكها الاربعة . مثل القومية كمثل الانسان عينه . هي ملتقى خطين عريضين ... احدهما مادي ينبثق من المكان ، وثانيهما نفسي ينبثق من الزمان . المادي منهما يعود الى الارض والاقتصاد ... النفسي منهما يعود الى التاريخ واللغة . هذه المداميك الاربعة ـ الارض ، والاقتصاد ، والتاريخ ، واللغة ـ وحدة عضوية لا تتجزأ ، ولا يمكن تجزئتها . ومن هنا خطورة كل مدماك منها في تكوين الشعور بالقومية . لذا نخطىء كثيرا اذا احتقرنا بعضها في سبيل البعض الاخر ... ونخطىء اكثر يوم نصنفها الى واقع اول ، فثان ، فثالث ، فرابع . ذلك لانها تتوازى قيمة . نحن امام عقد متماسكة الحلقات ، لا نقدر على القول اية حلقة تأتي الاولى في الخطورة . لذا كانت من صميم الحياة ... كانت من اعماق وجودنا العضوي ... كانت تتجاوز مشيئتنا الفردية .

---

(١) راجع كتابنا « فلسفة اللغة » .

٣ ـ عناصر القوميـة

أ ـ الارض

الارض المقصودة هنا هي الاطار الخارجي . هذه الارض ذات أثر بعيد في تكوين مزاج الانسان ، وطبعه ، وبالتالي في تعيين براويز قوميته . ذلك لان وجودنا في الارض ليس احتكاكا برانيا بها . هو اندماج وتزاوج . لذا يصعب جدا ان نقول أين ينتهي الانسان وتبتدىءالارض.. أين ينتهي كيان الوجدان ويبتدىء كيان المادة . من اجل هذا كان وجودنا في الارض وجودا مفعولا ... اقصد ان الارض ذات كلمة واضحة في بناء مزاجنا .

لا نعتقد ان هناك من فاق ابن خلدون براعة في تقرير أثر الارض في مزاج الانسان . لقد اظهر كيف ان الهواء ذو فعالية في تكوين خلق البشر . فمن خلق البلاد الحارة ـ مثلا ـ الخفة ، والطيش ، وكثرة الطرب ، والولع بالرقص على كل توقيع . وهذا عائد الى ان الحرارة مفشية للهواء في الروح الحيواني ، ومسببة بذلك الفرح والسرور . مثل هذا كمثل المتنعمين بالحمامات ، اذا تنفسوا في هوائها ، واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم ، وتسخنت ، فانه يحدث لهم الفرح ... وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشىء عن السرور .

لا شك في ان مناخ الارض يفعل ، الى حد بعيد ، في تكييف مزاج الانسان . ان ساكن الريف غير ساكن المدينة . وساكن الشواطىء غير ساكن الجبال . وساكن البلاد الحارة غير ساكن البلاد الباردة . ان ارضا جميلة المناظر ، ترقق الحس ، وتلطف الذوق ، فيشتد طلب الاحسن والاكمل . هذه البيانات تسبب فروقات حضارية ، لان الشعب الذي تحيط به ارض جميلة خصبة ، هو من حيث الذهن غير الشعب الذي تحيط به ارض قاسية مجدبة . انه يفوقها .

وقد ذهب ابن خلدون الى اعتبار الارض ذات اقاليم سبعة ، لم يزدهر العمران الا في الوسط منها ، لافراط حر الجنوب وبرد الشمال . في هذين الاقليمين لا تنبت الارض زرعا ، ولا تنتعش الحياة عموما . لذا لا نجدعمرانا في اقليمي الجنوب والشمال ... ان النفس البشرية لا تستطيع النمو فيهما ، لانهما بعيدان عن الاعتدال . من اجل هذا كان الاعتدال صفة كل ما يتكون في الاقاليم الثلاثة المتوسطة. هنا تنشأ العلوم ، والصنائع ، والمباني ، والملابس ، والاقوات ، والفواكه ، بل والحيوانات . هنا ايضا نرى البشر اعدل اجساما ، والوانا ، واخلاقا ، واديانا . حتى النبوءات ، في نظر ابن خلدون ، هي من بنات الاقاليم الثلاثة المتوسطة. وعدم وقوفنا على خبر بعثة في اقليمي الجنوب والشمال ، سببه ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكمل النوع البشري في خلقهم واخلاقهم .

ولا يقف اثر الارض عند المناخ . هناك نواح اخرى اماط اللثام عنها بعض المشتغلين بتاريخ الامم . فقد تقسم الشعوب ، وفق الارض ايضا ، الى صناعية وزراعية .. الى بحرية وبرية ... مما يجعل الدفاع عن ارض الوطن شيئا مقدسا لدى الشعوب . هذا الدفاع هو احد المعطيات البديهية ، التي تقوم عليها شخصية الانسان . فاذا انهارت ركيزة الارض ، انهارت العمارة القومية ، لان السماء التي لا ترتفع على دعائم في الارض هي ليست بسماء ... يبقى ان وجود الانسان في الارض ليس وجودا مفعولا فقط . انه وجود فاعل ايضا وخصوصا . يعني ان الانسان لايكتفي بتأثير الارض فيه ، بل يمد يده اليها ، فيبدل ، ويغير ، ويستحدث . وجود الانسان في الارض يسبب تفاعلا من من الجهتين معا ... من الارض في اتجاه الانسان ، ومن الانسان في اتجاه الارض. هذا التفاعل ، بين الارض والانسان ، هو الطبيعة . الطبيعة في عرفنا ، ليست الارض وحدها . هي الارض والانسان معا . الانسان لا يتأثر بالارض فقط. ان الارض تتأثر به ايضا . فقد ظل تحت رحمتها ، تتصرف به كما تريد ، الى اليوم الذي بدأ فيه النظام الزراعي . يومذاك اغار عليها ، وعمل فيها مشيئته . هذا الفعل في الارض ، من قبل الانسان ، هو ما يسمى بالاقتصاد .

ب ـ الاقتصاد

الاقتصاد شيء بديهي في حياة الانسان ، لان الجسم بحاجة الى الاستمرار ، ولا استمرار له الا بما يكون من جنسه ، أي بمادة الارض الخارجية . الجسم صنو الارض . اذن هناك الانسان طالب الغذاء ، وهناك الارض معطية الغذاء ... ولكن وجود الانسان والارض ، الواحد تجاه الاخرى ، لا يكفي ليحصل الاقتصاد . ان للمادة ، التي تسد حاجة الانسان ، شرطين يجب ان يتوافرا فيها ، كي تصبح اقتصادا ... اي كي تصبح مادةاقتصادية هذان الشرطان هما اللذان يربطانها بالانسان ، ويدخلانها في منطقة نفوذه . وبكلمة هما اللذان يؤنسانها ، والا يبطل اعتبارها اقتصادا . الاقتصاد اذن ذو صبغة انسانية .

الشرط الاول ان تكون المادة صالحة لسد حاجة الجسم البشري . ان المادة التي لا تسد حاجة ، من حاجات الجسم البشري ، لا تكون نافعة له ... وبالتالي لا تعد اقتصادا . لا ذووية اقتصادية للمادة بمعزل عن الانسان . ثروتها الاقتصادية في ان تبتدىء من الانسان . لا شك انه لا يوجد شيء ، في الكون ، غير مفيد للانسان . اذ ما خلق شيء عبثا . ولكن الانسان ما زال يجهل القسم الاكبر من الاشياء التي تحيط به ، وهكذا يحرم الافادة منه . ان شيئا لا يفيد الانسان هو شيء غير اقتصادي . لقد كان الانسان يجهل ان السموم ذات منفعة ، تسد من حاجات الجسم ، ولهذا لم تدخل تلك المادة في حدود الاقتصاد . ولما اكتشف اثرا لها في الشفاء والتحصين من الامراض ، عن طريق حقن الجسم بها ، دخلت في حدود الاقتصاد ، واعتبرت من الثروات ذات القيمة .

الشرط الثاني يقوم على ان تكون المادة بحاجة الى المعالجة ... اي الى مجهود يبذله الانسان . ان الهواء الطلق الذي تتنفسه ليس بالمادة الاقتصادية . ذلك لانه لا يحتاج الى معالجة . وهكذا قل عن اشعة الشمس التي هي مصدر ضوء وحرارة . انها من غير باب الاقتصاد . ولكن هواء التنفس الذي نحتاج اليه في المناجم ، والغواصات ، والكمامات الواقية من الغازات الفتاكة ، يعتبر ثروة ... اي مادة اقتصادية . ومن هنا ضرورة تدخل الانسان ، في معالجة المادة ، لتصبح بابا من ابواب الاقتصاد . لذا ليس غريبا في شيء ان نرى بعض علماء الاقتصاد يشددون كثيرا على هذا الواقع ، اذ من المستحيل ان يؤمن الانسان عيشه

الصغار

٥

في عيون الصغار اغنية العُرب	ودرب العقيقِ والامطارِ
ما أحيلاهم اذا انشقَّ عن	سقسقةٍ ثغرهم فغار الكناري
يتلهّون بالحروف الغنيئات	تلهّي نيسان بالازرار
يرفعون الجبين للشمس كي	تنسج منه ثوب السنا المعطار
ويمدّون للنجوم أكفّا	خيّرات لم تقترف أي عار
في أراجيحهم يرفّ ربيع	اخضر العطر ، اخضر الازهار
في خطاهم ، في قفزهم ، ألفُ	شلال صباح يصبّ في أغواري
ملء اشواقهم براءة شعبي	ملء ضحكاتهم عبير دياري
عندما يعبسون ينعقد الضوء	ظلاما على جفون النهار
عندما يشردون تنسرح الآه	المدمئاة من فم المزمار
لا تغنّيتَ يا وجود اذا ما	جفنهم فاض بالدموع الغزار

* * *

في عيون الصغار اغنية العُرب	ودرب العقيقِ والامطارِ
فغدي في ظلالهم باسم يرفل	بالكبر والندى والفخار

حلب — علي الزيبق

الا بالاقتصاد .

والاقتصاد على انواع كما ان الارض على انواع . الاقتصاد على انواع لان الثروات على انواع . من الواجب اذن ان يكون نسق احتكاك الانسان بالارض على انواع ايضا . أجل الاقتصاد يتنوع. ولا شك في ان الامم تختلف باختلاف اقتصادياتها ... أي باختلاف طرق معاشها . وهذا يعني ان وحدة الاقتصاد تخلق نظاما يعتاده الشعب ، ويألفه ، لانه ينسجم مع مزاجه ، وقد يكون علة مزاجه ، وبذلك يوقظ فيه نمطا من الشعور الذي يغدو على كر السنين من صلب كيانه . من هنا الفارق الاقتصادي بين المستعمِر والمستعمَر . الاول لا يتصرف حيال الارض كما يتصرف الثاني ... ولا يتصرف اقتصاديا حيال الثاني ، كما يتصرف هو في وطنه . ان موقفه لموقف الاخذ . من اجل هذا نرى المستعمِر يحاول دائما ان يقضي على النظام الاقتصادي عند المحكوم . لانه متى ذل الشعب ، اقتصاديا، ذل جسميا ، فذل نفسيا . اجل يوم يتصرف المستعمر اقتصاديا حيال المحكوم تصرف الموطن مع الموطن ، يومذاك يتحدان في شعور قومي واحد . ان الاقتصاد لا يداوى الا بالاقتصاد . اذ القومية ليست شعورا مثاليا ، فقط ، مجردا من كل واقع مادي . مثلهما مثل الانسان المركب من جسم ونفس. لا حياة للجسم الا جسميا . كذلك لا حياة للاقتصاد في القومية الا اقتصاديا . الاقتصاد لا يعالج صوفيا .

ج ـ التاريخ

الارض والاقتصاد يمثلان الطبيعة ، أي الخط المادي المنبثق من المكان . والمكان في حياتنا هو الخط الافقي ، الذي يدل الى رغبة الانسان في الاستقرار . هذا الارتباط الطبيعي (بالارض والاقتصاد) يأخذ طابعا قدسيا يحدو الانسان على الذود عنه بدمه ، اذا اقتضى الامر ، لانه من معطيات اللطيفة البشرية . المكان محض من محاض النفس الانسانية . وهو احد خطي القومية المتعادلين . ذلك لان الجسم بحاجة الى غذاء ، ومأوى ، وكساء .. وهي حاجات لا يمكن الحصول عليها الا من الطبيعة . لذا كان الجسم ذا

كلمة فاصلة بشأنها . ان القومية ، جوهرا ، تأرّض .

يبقى الخط النفسي المنبثق من الزمان . وهو خط عمودي يقوم على التاريخ واللغة. لنبدأ بالتاريخ. ولاعني بالتاريخ ، ههنا ، سرد الحوادث الماضية . هذا التاريخ مدون في الكتب ، وهو يحتوي على محنطات ، تعود الى العهود السالفة . ان التاريخ المقصود ههنا كيان حي يعيشه الانسان في الحاضر . هو مجموعة قيم تكوّن نظرة المرء في الوجود. هذا التاريخ يحوش، بين دفتيه، روابط المؤسسات الثقافية، كالدين، والاخلاق، والتربية ، والادب ، والفن، والفلسفة ، وما شاع في اذهان الناس من مفاخر ، ومصائب ، وعادات تراثية . هذا التاريخ يكوّن طبع الامة ، نفسيا ، وسمتها الوجداني .

من الخطأ ان ننظر الى هذا التاريخ كماض . انه لمفهوم كلاسي عتيق للتاريخ . الحق ان التاريخ ليس ماضيا ، فقط ، ولا حاضرا ، ولا مستقبلا . اذ من الصعب ان نفصل بوضوح تلك الابعاد الزمنية . التاريخ التاريخ هو مجموع تلك الابعاد كلها في وحدة واحدة لا تتجزأ ، ولا يمكن تجزئتها اطلاقا . هو ذكريات الامة في ماضيها (هذه هي ملكة الذاكرة) . وهو اعمال الامة في الحاضر (هذه هي ملكة الارادة) . وهو آمال الامة في المستقبل (هذه هي ملكة الخيال) . تاريخ الامة هو زمانها الذاهب دوما ، في قناة واحدة ، من السلف الى الخلف . تلك هي الوحدة الثابتة في الديمومة .

هذا التاريخ(المؤلف من المؤسسات الثقافية، والدينية، والاخلاقية ، والتربوية...الخ) هو بمثابة النظرة الفلسفية في الوجود . وليس مثله عروة تشد الافراد بعضهم الى بعض . فمتى انهار تاريخ الامة ، انهارت الامة عينها ... ومتى قويت مساحبه في الزمن قويت مفاصل الامة عينها . معناه ان الانسان يكون كما تكون نظرته الفلسفية في الوجود اذا انحطت النظرة انحط هو ، واذا سمت سما هو . لذا يحاول المستعمر دائما ان يشوه تاريخ المستعمَر ، او ان يقصي اذهان المواطنين عنه ، لينساق المحكوم في مجرى تاريخ الحاكم ، فلا يعود قادرا على استلهام تاريخه . ان الشعب الذي لا يكون له تاريخ ، او الذي ينسى تاريخه ، شبيه بمن لا ظل له . وما اقامة التماثيل ، بغية التجسيد للذكريات الماضية ، الا الاعتراف صراحة بما للتاريخ من كلمة يقولها في اذكاء الشعور القومي .

ان الامم الواعية لا تدرس تاريخها كمعلومات تحفظ غيبا ، بل كمستلزمات لشعور قومي يعاش في الحاضر . هذه الامم ، تحافظ على طبعها في تعهدها التاريخ ، كما تحافظ العذراء على عفافها . ما من شعب اراد ان ينفض عنه كابوس الذل ، ويختط لنفسه الدروب الواسعة التي يريدها حرا ، الا وضرب في طول تاريخه ، وعرضه ، وعمقه ... الا واستصرخ مدافن ابطاله الميامين . هذا مع الاشارة الى ان وحدة التاريخ لا تكون تامة بالتمام في جميع ادوارها . فتاريخ فرنسا لا ينسجم دائما بعضه مع بعض ، في وحدة متماسكة الحلقات . ذلك لان جزءا من مقاطعاتها كان قد حارب الجزء الاخر. وهكذا نرى ان لكل قرية تاريخا، فعندما نتكلم عن وحدة التاريخ يجب ان نفهم وحدة نسبية غالبة ... وحدة النظرة الفلسفية في الوجود ... وحدة تكون هي التي اعطت الامة ركائزها الاساسية ، كثقافتها ، وسياستها ، ودينها ، واخلاقها ، وعاداتها ... الخ .

د ـ اللغة

الارض والاقتصاد ، والتاريخ ، ابعاد ثلاثة يعيشها الانسان فكرا وعملا . ولكن هذا الفكر العامل ، او العمل المفكر ، ليس افعولا صامتا . هو تعبير على صعيد الجسم والذهن معا . هو اندفاع الى الخارج بشكل عمل شحمي ، وبشكل كلمة ملفوظة . اللغة اذن من الوقائع التي تجعل السكان قوما . انها تمثل التراث التاريخي في ذكرياته الماضية وآماله الآتية . وهي للامة بمثابة الوديان ، والجبال، والانهار ، والهواء الذي يتنفسه المواطنون . وكما تتصف الارض ، والاقتصاد ، والتاريخ ، بالواحدية ــ اذ لا قومية الا على اساس عفاف الواحد ــ فاللغة القومية هي ايضا تتصف بالواحدية . لا قومية الا ولها لغة ــ ام واحدة .

ولا اقصد باللغة صرفها، ونحوها، بل التعبير السليقي عن الفطرة الاصيلة . هي لغة التنويمات في الطفولة ، التي يرضعها الوليد مع لبن امه . هي التي تنتقل بها تلك النظرة الفلسفية اللاواعية من السلف الى الخلف عبر الزمان الدائم . هي حافظة التاريخ من الدمار والفناء . هي التي تودع كنوزه . هذه اللغة ذات شخصية فريدة ، وملامح اصيلة ، وخصائص ذاتية ، لا يمكن العثور عليها في غيرها من لغات الارض . هذه اللغة يستحيل تقليدها . ومن هنا كونها تحمل شأن القوم الذي يتكلمها ... أي انها تمثل تاريخه عينه .

كان الامبراطور شارل كان يقول ــ وقد اشتهر بطول باعه في علوم اللغة ــ ينبغي للمرء ان يتحدث بالايطالية الى حبيبته ، والبرتغالية الى الفتيات ، والفرنسية الى اصدقائه، والالمانية الى القطيع ، والانجليزية الى الاوز ، والسويدية الى الحمام ، والهنغارية الى الحصان ، والتشيكية الى ابليس ... الخ . وقد عنى بذلك ان لكل لغة شخصية قومها . فمن الخطأ اعتبار الالفاظ خاوية . هي تحمل في طياتها احداث شعبها التاريخية ، التي قد تغزو سواها ، فتصبح اشارة الى احداث كبرى في التاريخ العالمي .

من طريف ما يحكى ان اللورد ساندويتش، كان شغوفا بالمقامرة ، في القرن الثامن عشر . وقد بلغ شغفه بتلك اللعبة الى درجة لم يعد يجد الوقت اللازم لتناول الطعام ، فكان يستدعي احدا ليجلب له شريحة من اللحم بين قطعتي خبز . هذا هو مصدر كلمة « سندويتش » التي كان يستخدمها العالم كله . وهكذا قل عن كلمة « كحول » العربية الاصل ... وكلمة « شاي » الصينية الاصل . ونحن نعلم ان الشعب ، الذي يغزو شعبا ثانيا ، يدخل الى هذا الاخير منطوق الكلمات ذاتها الدالة على مظاهر حضارته .

لذا نقول ان اللغة ــ الام تعين كثيرا على ايقاظ الشعور القومي ، وتكوينه ، وتقويمه . فاذا اختلف الشعور القومي، بين شعب وشعب ، فلان اللغة القومية قد اختلفت . ان اللغة الام الواحدة ــ واللغة الام لا تكون الا واحدة ــ تقارب بين الافراد ، فيتعاطفون في مشاعرهم ، ويتماثلون في افكارهم ، ويتشابهون في تصرفاتهم . من اجل هذا تحاول الامة المستعمِرة، باديء بدء ، أن تخنق لغة الامة المستعمَرة. ذلك لان الامة التي تفقد عفاف لغتها ــ الام ، تفقد عفاف

ذهنها ، فيكون مثلها كمثل السجين الذي اضاع مفتاح سجنه من يده . هذا السجين يفقد حريته . اجل ما انحطت لغة شعب ، الا وانحطت قوميته . ان الذين يميلون ميلا خالصا نحو لغة اجنبية ، ينزعون ، قلبا وفكرا ، الى ابناء هذه اللغة . وهو شيء طبيعي ، لان الانسان ما اعطي له ان يكون غير ذي لغة – ام واحدة ، تخلق في عروقه عصبية قوية .

نستنتج من كل هذا ان الفردية غير كائنة . لا هي كائنة في علاقة الانسان بالارض ، اذ لا حياة للانسان بدون مرتكز ارضي معين ... ولا هي كائنة في علاقة الانسان بالانسان ، اذ لا حياة للوجدان بدون وجدان اخر حياله . اذن لا وجود للفردية . الفردية صفة اخلاقية ، لا بعد كينوني . هي مرادفة للانانية التي تتناول مسلك المرء ، من حيث آدابه بين الناس ، لا من حيث ماهيته الانطولوجية .

اذا حصلت الفردية ، في غير نطاق الخلق ، كانت حالة من الحالات المرضية ، التي تهبط بالانسان الى دركات الحيوانية . ذلك لانها تفقده امكانية الحوار مع الاخرين اي انها تفقده المجتمعية التي هي بعده الكينوني الاحق . ان الشيء الكائن ، في دنيا البشر ، هو كون لطيفتنا مجتمعا نقالا . هذه الغريزة المجتمعية هي في اساس القومية . متى اكتملت العناصر الاربعة (فكانت الارض الواحدة بشخصيتها ، والاقتصاد الواحد بتنظيمه ، والتاريخ الواحد بمساحبه ؛ واللغة الواحدة بعبقريتها) وجدت الامة التي هي اتم اطار مجتمعي يعيش فيه الانسان . ووجد الشعور القومي الذي هو اندفاع من باطن الوجدان الانساني نحو تحقيقها (القومية هي الشعور بضرورة وجود الامة) ووجد الوطن الذي هو تظهير الامة ، بفضل الشعور القومي ، بصورة مادية ضمن حدود معينة من الارض .

نرى ، والحالة هذه ، ان علاقة الانسان بالاخرين ، في الخارج ، تشبه علاقة الانسان بنفسه تماما . تشبه العلاقة الرحمية . ثمة شيء من الجبرية العضوية في علاقة الانسان بالانسان قوميا . يعني ان الشعور القومي هو اكثر من مواجهة سطحية بين اثنين من البشر ... اكثر من مشافهة عابرة لا تمس الوشائج الفؤادية العميقة ... اكثر من تلاق براني قائم على السلام والكلام فقط . ان الشعور القومي هو دفء جواني . مثله كمثل العطش ، الذي يدفع الزلعوم دفعا من الداخل ، في سبيل الارتواء بماء هي خارجا . الرابطة هنا رابطة حياتية .

فحواه ان القومية ليست مطلق علاقة بين انسان وانسان . ليست عملا تركيبيا بشكل اعتباطي . اقصد ان انتقاء الامة ، والشعور بقوميتها ، وتظهيرها وطنا يرى ، غير مناط بارادة الانسان الفرد . الانسان الفرد لا ينتخب امته كيفما اتفق . ولا يشعر بالقومية كيفما اتفق . ولا يظهر وطنه كيفما اتفق . الانسان لا ينتخب هذا كله وهو كبير ، بصورة هادئة باردة . ان الشعور بقومية الامة ، المظهرة في وطن معين (اي في اطار ارضي محدود) ذات جبرية حياتية ، تبتدىء معنا في المهد – بل قبل المهد – وتنتهي معنا في اللحد . هي ذات ناموس فيزيائي ، لا يمكن التحرر منه ، الا بالخضوع له . فاذا استطاع الانسان الفرد (وهذا نادرا ما يحصل) ان ينتمي الى امة ثانية بعد ان يكبر ، هي غير امة مسقط راسه ، فالانسان المجتمعي (او المجتمع كوحدة عضوية) مناخ لجبرية امة واحدة . المجتمع كوحدة عضوية لا يختار الارض التي تحتضنه ، ولا يختار الاقتصاد الذي يزاوله ، ولا يختار التاريخ الذي يسرده ، ولا يختار اللغة التي يلسنها .

اجل ان الشعور بالقومية هو اكثر من عملية حسابية مفتعلة بصورة هادئة... هو اكثر من لعبة لاهية ، نستملحها او نستقبحها ، فتكون او لا تكون وفق ما يروقنا ... هو اكثر من تحليل وتركيب مقصودين من الخارج . هو اندفاع من الباطن العضوي . ومن هنا جلاله ، وضخامته ، ورهبته التي يسطو بهما علينا . من هنا ايضا قضاؤه وقدره ، اللذان يظهر بهما ، وكأن القادة مرسلون من قبله . مثله كمثل المأساة التي تجرف الانسان في قنواتها . ولذا كان فيه عظمة الاستشهاد بالدم . مهما حاول المرء ان يتجرد من الارض ، ليرتفع في سماء العام ، فانه عالق حتما بتراب هذه الدنيا . هو دائما ابن مكان معين وزمان معين ، اراد او لم يرد ، اي ابن الجسم والنفس ... ابن مزاج بدن وطبع وجدان . عليه اذن ان ينسب جبرا الى ارض ، واقتصاد ، وتاريخ ، ولغة ... اي ان يكون وليد مجرى واحد (ارض معينة واحدة ، واقتصاد معين واحد ، وتاريخ معين واحد ، ولغة معينة واحدة) . القومية كالابوة والامومة . اب معين واحد ، للانسان ، وام معينة واحدة . ذلك هو النسب الاحق ، الذي يستمد منه المرء شرفه . مخطىء اذن من يعتقد ان الانسان قادر على التخلي عن وطنه ، بهدوء بال ، ليصبح دون وطن . اذا استطاع ان يتخلى ، كفرد ، عن وطنه الاول ، اتخذ له وطنا ثانيا ، كفرد ايضا . اما اللاموطنية فهي من وهم الخيال المريض . انها الضلال عينه.

نحن لسنا احرارا في اختيار امتنا . قد تكون احرارا ان نذود عنها ، او لا نذود ، عند ظهور العدو . وهذا عمل خائد الى مقدار وعينا القومي ، او لاوعينا القومي ... اي الى مقدار ما نحس به من ذل او كرامة . ولكننا لسنا احرارا في اختيار شعورنا القومي ، والتصرف به كينونيا ، كما تشاء ارادتنا الفردية . نحن لا نستطيع ان نفرض ابوتنا على الامة الا بعد ان نقدم لها الخضوع البنوي . فالمداميك الاربعة التي اقمناها اساسا للامة ، والشعور بها كضرورة قومية (اعني الارض ، والاقتصاد ، والتاريخ ، واللغة) هذه المداميك ذات وحدة عضوية متساوية القيمة . لا الارض اخطر من غيرها في تكوين ذلك الشعور ، ولا الاقتصاد ، ولا التاريخ ، ولا اللغة .

جميعها متعادلة في العظمة والكرامة ، لانها تنبثق من صلب الحياة ، وكل ما ينبثق من الحياة هو ذو وحدة لا تتجزأ . اما الذين اقاموا للواقع الجغرافي ، او الواقع اللغوي ، او سواهما ، وزنا اضخم من غيره في تكوين الامة ، فقد اخطأوا الى حد بعيد . نحن لا نستطيع ان نقول هذا المدماك اخطر من ذاك ... ولا ان نصنف المداميك الاربعة الى اول ، وثان ، وثالث ، ورابع . اننا امام حلقة مغلقة .. امام كلية لا تتفرفط . مثل الشعور القومي كمثل الانسان عينه ، الذي يقوم على وحدة الجسم والنفس ، رغم الفارق الكائن بينهما . من السخف تعيين حدود واضحة . ان الذين رسموا الحدود ، ضلوا الصراط القويم ، واوقعوا التابعين لهم في مغالطات قوية .

كمال يوسف الحاج

عاشقة النار

لعدنان مردم بك

دمشق

عاد لحن الهوى كرجع انتحاب … في ضمير المشتاق عند الغياب
ايقظ الليل في الصدور شجونا … فاستفاقت تئن من اوصاب
وشجا القلب ان راى كل صرح … من امانيه حفنة من تراب
ودهى النفس ما رات من شباب … يتلاشى مع الرؤى كهباب
يطمس الليل بالحقيقة دنيا … سطعت برهة بلمع سراب
هتف القلب للضياء واغفى … يتغنى بتبره المنساب
وانبرى صاعدا يحلق في الوهم … بعيدا على جناح الرغاب
فكاني به الفراشة حالا … في نزوع لصبوة ولعاب

* * *

اسدل الليل مطرفا من سواد … ملء رحب الفضاء ملء الروابي
ومضى يذرع الكآبة بالصمت … ويمحو معالم الاحباب
فاذا الكون غارق في ظلام … ملجم الفك موثق بالعذاب
والازاهير اطبقت جفن مضنى … وترامت على الثرى باكتئاب
اطرقت تستعيد ما همس الفجر … اليها والدمع في الاهداب
ساورتها وساوس فتلوت … كذبيح في قبضة القصاب
ولرجع النسيم ترديد شكوى … في الفضاء البعيد دون الهضاب
نام من في الوجود غير فؤاد … لاب هيمان كالفراش بغاب

* * *

خفق النجم والسكينة رانت … حين مد الدجى جناح غراب
عسعس الليل والفراشة تطوي … صفحات الظلام طي كتاب
ضربت في ذرى الفضاء وراحت … في عباب يموج اثر عباب
حلقت والرياح تجار بالافق … وترمي بعاصف صخاب
ليس تدري مصيرها حين جدت … تنشد النور من دجى وضباب
اي غنم سوى المرارة والحرمان … يمنى مؤمل بسراب
حين اعيا الجناح ما نفث الداء … وفت السقام بالاعصاب
لاحت النار للفراشة وهنا … فأعادت بها طموح الشباب

* * *

دلفت تضرب الجناح الى النار … بوجد المشتاق للاحباب
وبها لاعج الصبابة يغري … كالضواري بالظفر والانياب
اعجلت خطوها ودفت لتفضي … بمناها الى اللظى في اقتضاب
فتبدت لها الحقيقة عن قرب … وعاد الخيال شوب عذاب
هتك النور روعة السحر عنها … اذ تعرت عن مطارف وثياب
وتعرت عن كل حلم جميل … زوقته وساوس بخضاب
فشجاها أن ابصرت ما تمنت … يتلاشى في الضوء مثل هباب
وشواظ النيران يقدح بالجمر … ويرمي بمائج سكاب

* * *

وقفت تحدج اللهيب وترنو … في حنين الاتراب للاتراب
واستدارت حول اللظى بخشوع … كخشوع النساك في المحراب
لم تخف جامحا ودفت اليه … باختيال ينم عن اعجاب
حين ذاع اللهيب ما كتم الليل … وافشى امانة الاصحاب
اشفقت للجمال يفضحه النور … ويذوي من حسنه الخلاب
وتهاوت على اللظى بسكون … وقضت نحبها بغير عتاب
ورات ان تموت في ميعة العمر … وفيها بقية من شباب

موسم جديد

ـ من أين تريدني بعد ان اعطيك ؟
يبست ....
غلالي الخضر يبست
وباب بساتيني اغلقت مصراعيه
وأضعت مفتاحه في النهر
ما عاد في البساتين زهور ولا شجر ولا سنابل
عمرت في وجهها اسوار
وشدت الاسوار بالخشب والخشب بمزلاج
والمزلاج بمفتاح ضاع...
كيف ادخل الى ما ترغب ان ادخل اليه
لاجني لك طاقات وباقات ؟
أأدخل طيرا ولا جناح لي غير خفقان قلبي ؟
ام اتسلل نملة وكل ما فيّ كبير بالحب ؟
دع الغلال تيبس في مغارسها
نبات الارض زرعناه بايدينا بشوق ايدينا
اقمنا له اسوارا تذود عنه السوء
نبات الارض يختنق عطشا وراء هذا الباب
وهذا الباب اصم يرد حسرتنا بعناده
وعنادنا بخرسه !
ارحل عني الى حيث لا يأس
خيبة كان حبك لي
ليغفر لي حبك الذي كان لي...

ـ سندخل وراء هذا السور . لا تموتي .
ـ ابقدرتك ؟ !
ـ لا بل بعينيكِ . سأبني لكِ كوخا امام النهر الكبير
ترقد عينك عليه وتنفتح عليه .
من نار عينيك سينشف النهر ونستعيد مفتاح حقلنا
وسنروي زرعنا بالحب... بالحب وحده

انسي الحاج

قصة عراقية

بقلم عباس البلداوي

سطوة الاب

كان في يده ابريق من الاباريق الطينية التي يغص بها المحل يريد ان يضعه في الفرن حين قلت له :

ـ يا ابه .. ؟ فلم يجب بشيء ، كعادته ، ولكنني احسست انه يسألني ما الخبر ، فواصلت كلامي .

ـ ان سعدية في طريقها الى العراق.

فتوقف قليلا منحنيا فوق كومة الاباريق ثم لم يلبث ان رجع الى نفسه فدفع الابريق الى لهب الفرن وهو يقول :

ـ تشرفنا .. ! اشرقت ونورت!..

فنظرت الى كومة الاباريق وتصورت كم تعبت والدتي واختي في احضار التراب الاحمر من البرية الى البيت .. وفي جلب الماء من الجيران بالجرار التي هي من انتاج نفس الفرن .. وفي الخمير الطين وسقيه بين حين واخر .. فان لم يكن التراب من النوع (الاحمر) الذي يوافق مزاج والدي حلت ذلك اليوم في بيتنا كارثة عظمى وطامة كبرى .. اذ انه يطبق السماء على الارض وينزل الملائكة الصالحين ويلعن الناس اجمعين .. واذا ما اظهرت امي ميلا للدفاع عن نفسها وعن ابنتها كان تقول : ان التراب كان جيدا وقد قطعنا ميلين في البحث عنه ، ازداد هياجا وثورة ورمى الطين في الطريق او رماهما به .. على الثياب ، على الرؤوس ، على اوجوه .. ومن يجرؤ بعد ذلك منهما على الكلام ؟ لان الخطوة التالية تكون وخيمة العاقبة وجارحة للجسم والشعور .. وربما انتهت بمسألة حياة او موت .. ؟ من يدري ؟ ! لان تصرفاته لاتعرف نظاما ولاتقف عند حد.

وقطع علي افكاري حين اتجه نحوي متسع العينين ممطوط الشفتين وقال بلهجة ساخرة :

ـ وهل جلبت معها زوجا ؟ .. ام ازواجا ؟ ! ـ كلا ...

ـ ومن ادراك ؟ ... هل طلقتهم قبل سفرها .. ؟ وما الحاجة الى الطلاق ؟ ! طبعا الزوج بنظر بنت المدرسة نعل تخلعه وتأخذ غيره ...

ـ لكن .. يا ابه ..

اردت ان اوضح له بصراحة انه يقفز دائما الى نتائج غير صحيحة.. وانه يتصور امورا ما انزل الله بها من سلطان .. وانه متى يكره شخصا يختلق له انواع النقائص وشتى العيوب ، ويجعل من الحبة قبة ... ولكنه على كل حال والدي ولا يصح ان اخالف سنة الله وكتابه ، فاجادله ..اواردعليه.. فترددت قليلا ـ لكن.. غير انه لم يمنحني وقتا اتردد فيه بل قاطعني قائلا :

ـ لا لكن ولا ماكن ... وانت ايضا مدرسي وتعتبر نفسك تفهم !! ... ولكن المدرسة لا تعلمكم غير اللهو واللعب ، لا تعلمكم اي شيء مفيد .. ها انتذا درست سنين حتى اقعدتنا على الحصير ، وعلموك الحساب والكيمياء ، فلماذا لا تحسب بالحساب وتعمل لنا (كيمياء) وتخلصنا من الطين والجرار والاباريق والفرن ؟ لماذا لا تقلب لنا هذه الاباريق ذهبا .. او على الاقل فضة ؟ !...

ولما اتجهت نحو داخل البيت مارا بالفرن، اوقفني قليلا ليقول :

ـ قل لبنت الـ... ان التراب ... لا ، لا حاجة لذلك . سافعل ذلك بنفسي .. (بنت الـ...) هذا هو اسمها بنظره .. ولكن .. لا تقل لهما اف ولا تنهرهما ..

واسرعت الى الداخل فوجدتها ، (اعني بنت الـ ... ! اي والدتي) وقد اسندت ظهرها الى الحائط وبدت عليها كل علامات التعب ، فأشارت باصبعها الى التراب القائم على شكل تل كبير في ساحة الدار وراحت تسألني رأيي فيه لان والدي لم يفحصه بل كان قد القى عليه نظرة عابرة وهو في طريقه الى الفرن فلم يقل شيئا عنه جيدا او رديئا ...

ولما كنت اعلم ان سؤالها هذا لي لم يكن في الحقيقة استفسارا عن جودة التراب او رداءته بل استنجادا بي كما يتشبث الغريق بالقش الطافي على سطح الماء، اذ كانت تريد ان تضيف صوتا ثالثا الى صوتها وصوت ابنتها.. فما الفائدة اذن من رأيي ؟ .. فلو قلت (تراب جيد) لم انتظر ان يوافق على رأيي ولا اتوقع ان يغير ذلك من الموقف شيئا .. وان قلت انه رديء لم يكن هذا الا انذارا سيزيدها تعبا ويمنعها وابنتها من ان تهنئا بلقمة الخبز وما الفائدة من استعجال الامر واطالة زمن الكارثة ؟ .. فانهما ستعلمان بحلولها عندما تحل ...

لذا رأيت ان ابدل الموضوع فاعلنت نبأ مجيء سعدية ... فقالت امي بفرح ممزوج بشيء من الالم :

ـ مسكينة! بعد كل تلك السنين!. الله يساعد قلب (زنوبة) .. ثم اضافت تستحثني باهتمام :

ـ يا بني .. لو كتبت لهم مكتوبا تعلمهم بمجيئها .. انهم ولا شك لا يعلمون ...

ـ لقد اعلمتهم بذلك .. بعثت لهم برقية

ـ حسنا فعلت ... ولكن ، كم كلفتك البرقية ؟ ! ... يحسن بك ان تتروى في الصرف لانك تدري ان راس الشهر بعيد ... الم اقل لك يا بني ان نصف راتبك لا يكفيك وان تعطي لوالدك اقل من النصف.. فان اباك لا يحتمل ان يؤخذ منه شيء ... اما عمتك زنوبه فبالاضافة الى كونها بعيدة الان فلا اظنها تعطيك درهما واحدا بعد الذي حصل بينها وبين ابيك ...

وحان وقت الكارثة ... في تلك الليلة ستظل ذكراها عالقة في ذهني على مر الايام والسنين ...

عدت الى البيت ، ونظرت الى ساعتي تحت ضوء الشارع فوجدتها تشير الى الثانية عشرة والنصف ، فأرجعت عقاربها الى الوراء ساعتين ثم التقطت عودا من الارض ودفعته في ثقب المفتاح احاول فتح الباب.. ولكن العود انكسر وبقي نصفه داخل القفل ... فصرت اجيل طرفي حول البيت والفرن عسى ان يلهمني الله طريقة ادخل بها دون طرق الباب وايقاظ والدي ... ورحت استعيد بذاكرتي كل ما اعرف من الادعية والتعاويذ التي تقال في المناسبات.. فهذه تنفع للسعة الزنبور وهذه للحسد وتلك تقال لفتح باب الرزق.. ومع اني استظهرت كثيرا من

الادعية والطلاسم لكن لم اجد بينها ما يعني على فتح باب الدار ...

وخطرت لي فكرة طريفة ... فقد اشيع ان علماء القنبلة الذرية تمكنوا من تسيير غواصة كبيرة بلا وقود وتوليد قوة كهربائية هائلة بلامحركات ... وتوصلوا كذلك الى القدرة على تدمير الارض او جزء كبير منها ... فتمنيت حينذاك لو تمكن اولئك العلماء من اختراع طريقة لدخول البيوت المقفلة بلا طرق ابواب او ايقاظ احد ... وحتى بدون الحاجة الى مفاتيح .

واخيرا صممت على تحمل اخر دواء (واخر الدواء الكي ـ كما يقولون) وان اصبر راغما على النتائج الوخيمة التي ستعقبه .. فمددت يدا مرتجفة ، وطرقت الباب ...

انتظرت لحظة حسبتها سنة ،كنت خلالها مرهف السمع متوتر الاعصاب ... ثم سمعت وقع اقدام تقترب من ساحة الدار الى المجاز ثم الى الباب ... كان وقعها يصنع صوتا يشبه الـ (دش.. دش.. دش) فاستغربت ذلك لاني لم اعهد امي تلبس خلخالا ! .. ثم ان كان لها خاتم من فضة ، وهو ما تبقى من حلي زواجها كما تقول ، فان اختي لا تملك شيئا الا من فضة ولا من نحاس.

توقف صوت الـ (دش .. دش) وراء الباب وجاءني صوت يهمس :

ـ اهذه انت يا عمه زنوبة ؟...

عرفتها فصرخت بصوت محتبس

ـ انا .. انا ، افتحي الباب ! ...

وعاد صوتها يهمس :

ـ هل جئت لتاخذي الخلخال ؟ ! بالله يا عمة، ابقيه عندي يومين ، ثلاثة.

عرفت انها اختي ، وانها عادت الى عادتها القديمة ، تتكلم وتمشي وهي نائمة .. ولكن كيف اتمكن من ايقاظها وهي في جهة وانا في جهة اخرى وبيننا باب مقفل .. اذ ان ايقاظها يحتاج الى هزها هزا عنيفا مع صب سطل الماء البارد على راسها. كل ذلك مع الصراخ في اذنيها.

رايت ان استسلم للواقع فقربت فمي من ثقب المفتاح وقلدت صوت النساء قائلا :

ـ لا ... لا يا عيوني ... ابقيه عندك كما تشائين .. يومين ، عشرة ايام ... فقط افتحي الباب ، يا حبيبتي ... عندي شغل مهم .

فانفتح الباب والحمد لله واسرعت الى الغرفة لخلع ملابسي ... ثم خرجت حافي القدمين وعثرت بتل التراب القائم في وسط الدار وسقطت على وجهي ويدي ...

ولما صعدت الى السطح سرت هناك على رؤوس اصابعي ...

وما كدت استلقي على فراشي حتى سمعت وقع اقدام اختي وهي ترتقي السلم ثم تتجه نحو مضجعها...

مرت فترة من الهدوء حسبت خلالها انني غرقت في نوم عميق وان احلاما مزعجة قد انتابتني ... ولما فتحت عيني وجدت ان اختي قد ايقظت الجيران بصياحها وركضها على السطح من جهة لاخرى مهددة ومتوعدة ... وامي من ورائها تحاول تهدئتها .

ثم ركضت الى جهة الحطب وحملت قطعة كبيرة من الخشب ورجعت الى الجهة الثانية حيث يرقد الكلب ، وهي تصيح :

ـ والله لاقطعن شاربيك بهذا الموسى .. فجفل الكلب وهرب من امامها فرمى بنفسه الى ساحة الدار.

وصرخت وهي تلوح له بقطعة الخشب بيديها : ـ لماذا لا تشتري لي الخلخال ايها الخنزير ؟ !

واسرعت في أثره .. وسقطت وراءه فهرعت امي نحو السلم وهي تستغيث وتستنجد بي فلم اجد بدا من تلبية ندائها فتبعتها وسطل الماء في يدي .. فصرخ ابي بعنف :

ـ دعوها تذهب الى جهنم وبئس المصير... وارتفع صوت امي تعلن بهلع:

ـ انها تحطمت ! .. راحت ! ..

وسمعت الجيران يسألون ابي الخبر .. وسمعته يجيبهم :

ـ قبل اسبوع ، كانت تريد ان تقلع عيني الديك ! ولكنه طار الى سطوح الجيران فلم تتمكن من اللحاق به .. اما الليلة فهي تريد ان تقص شاربي الكلب ... ما أظنها تقدر على مهاجمة الكلب بعد الليلة ...

وصلت الى قاع الدار فلم يكن وصولي ذا جدوى ثم عدت متثاقلا الى السطح والسطل ما زال معلقا بيدي... فاطل بعض الجيران من على سطوحهم ثانية وراحوا يسالونني :

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ ابعد الله الشر ؟

ـ لم يحدث سوء ؟

فرميت السطل من يدي وقلت وانا انفض ثيابي التي ابتلت بالماء :

ـ شر ، وسوء ، وكل شيء ...

فسمعت اصوات الناس تتردد :

ـ لا سمح الله ! لا سمح الله ! ابعد الله الشر ! ثم وجهوا كلامهم الى ابي:

ـ لماذا لا تقوم انت من مكانك وتنزل فترى ما حصل ؟...

وانتظروا قليلا ... ولكنه لم يفعل شيئا ... ولم يجبهم بشيء ، فتراجعوا الى سطوحهم مشمئزين..

ونظرت اليه وهو يولع سيكارة ، فأخذتني الدهشة مما رأيت ... فلاول مرة في حياتي ارى والدي والدموع تسقط من عينيه ...

وبعد قليل ناداني بصوت ضعيف:

ـ يا ابني ! . تعال هنا . .

فدنوت منه قليلا وقلت بلهجة لم تخل من خشونة: ـ ماذا تريد؟ ـ كيف هي ؟

قلت لم يحصل شيء ... سوى كسور في ساقيها وقد اخذتها امي داخل الغرفة ... فاطرق قليلا ثم قال بصوت خافت :

ـ هذا ما كنت اخشاه ... الفقر ثم الفضيحة ...

وسألته عما يعني فأجاب :

ـ اتظن اني املك مالا يفضل عن حاجة البيت وابخل به عليكم ؟ فلا اشتري لها خلخال الذهب ؟ ولا ارسلك الى اوربا للدراسة ؟ !...

ثم مد يده الى وسادته وفتح في جانبها فتحا ادخل فيه يده ثم اخرجها وناولني ما فيها قائلا :

ـ كنت محتفظا بهذه لساعات المرض ، وهذه ساعة الحاجة اليها .. خذها وتصرف بما تراه مناسبا من استدعاء طبيب وشراء دواء وغير ذلك

تحسست رزمة الدنانير بيدي فوجدتها رزمة كبيرة تضم مبلغا لا يقل عن المائة دينار ! فقلت وقد شعرت بانه يتنازل لي عن ادارة العائلة .

ـ لا ، يا ابه .. احتفظ بها عندك.. وسنرى ماسنحتاج غدا ..

واستلقينا ، كل على فراشه ، وشملنا هدوء جميل ثم سمعت صوته يقطع ذلك الصمت قائلا :

ـ ولا تنس ان تشتري لها خلخالا ... من الذهب ...

احسب انني قلت له اننا سنرى ما سنحتاج غدا .. او انني فكرت بذلك ولم ينطق به فمي ...

العراق ـ بعقوبة   عباس البلداوي

ضعف المرأة

✳

سيدة اجنبية كانت جارتي لعدة اعوام وابتعدت عنها مدة طويلة بلغني انها هجرت زوجها وولديها واحبت شابا . وفي الطريق العام . قابلتها . حطاما وطللا ... لم اعرفها وبادرتني بالتحية . فقلت لها عاتبة ... ماذا فعلت ؟ ... أجابت :

●

لجليلة رضا

●

القاهرة

✳

أنا مجرمة ... أنا مجرمة

رحماك يا اختي الحبيبة لا تكوني ظالمه
هم يجهلون وانت ادرى الناس . أنت العالمة
أنا في خضم .. في خضم من دماء مضرمه
طفلاي يعتصران قلبي والهوى قد حطمه
أمسيت في عين الصديقات القدامى مجرمه
وغدوت في حلق العجائز بصقة متبرمه
وعلى فم الطرقات غنوة صبية مترنمه
وعلى جبين أبي غدوت حفائرا متقحمه
وبناظري امي خيالا من قبور مظلمه
وبخاطري طفلي ذكرى صورة متهشمه
من أي شيء قد خلقت ؟ ومن أنا ؟ أنا مجرمة

أنا مجرمة ... أنا مجرمة

ما ذنب هذا الزوج حتى استبيح تألمه
وأنا التي قد عشت في احضانه متنعمه
ووهبته نجمين قد بهرا سماه وانجمه
لا .. ليس لي ماض ولا ذكرى تهوم حائمه
قدري تخير لي الطريق فجئته مترسمه
هل كان في المقدور ان اخفي هواي واكتمه
وأصد قلبي عن هواه . أصمّه . بل ألجمه
وأقول يا قلب ابتعد هذي الدروب محرمه
هل كان في المقدور ان اهب الهوى واقسمه
وأعيش في كنف الخديعة حرة ومعظمه
حاشا : فان العار أهون لي .. ولست بنادمه

أنا مجرمة ... أنا مجرمة

أهواه يا اختي . واعبده عبادة مغرمه
أنا من أنا ؟ أنا الة في كفه مستسلمه
ان شاء كنت له الشريك وان تأبى خادمه
قد بعت روحي للشياطين التي ترعى دمه
هو لي أنا .. وحدي أنا فاذا مضى لن ارغمه
بل سوف احتضن الردى واضمه متبسمه
لا . لست ابغي اليوم الا ان اعيش وانعمه
ومضت ... وفي خطواتها أنات روح هائمه
ووجدتني وحدي على الدرب الفسيح متمتمه
« حقا فان حياتها للشعر تصلح ملحمه ! .. »

منازع العالم الحديث : الفنون البصرية والجمال

بقلم و. ج كونستابل

مدير قسم الرسم في متحف بوسطن للفنون الجميلة

ترجمة يوسف اسعد داغر

عندما يأخذ فريق من الناس بالحديث عن الفنون البصرية التي تخاطبنا فيها من شكل وقوام والوان ، يضعون نصب أعينهم خير ما تمثله الفنون الجميلة من مباني الهندسة والرسم والنقش . ففي حديثي عن الفنون الجميلة ، انما ابحث في كل ما يتصل بالاشياء التي هي من صنع الانسان: من المباني الضخمة ، الى الانشاءات الهندسية الجبارة ، الى أدق الاغراض والحاجيات التي نتداولها كل يوم من ايام حياتنا العادية . اني أعترف واسلم ان عددا كبيرا من هذه الاشياء لا تمت للفنون الجميلة بصلة ما . ولكن كل هذه الاشياء قد تصبح مجلى لمقدرة الفنان وكفاءته الفنية ، كما ان عددا كبيرا بينها هي في الواقع مباني فنية في الدرجة الاولى . وها انا احاول ما امكن ، تعليل هذا الرأي وتأييده بالدليل الواقع والحجة القاطعة .

ليس بيننا من يجهل العبارة التي يرددها بعضهم وهم امام عمل فني يحملقون به وينظرون اليه وجها الى وجه : « لا افقه شيئا من امور الفن واصوله ، انما اعرف جيدا ما يثير منها اعجابي واستحساني » . فالذين يذهبون مثل هذا المذهب ، يسلمون ويقرون باكثر مما يتراءى لهم او يودون . اذ انهم يقرون صراحة ، انهم اذا ما وجدوا وجها لوجه مع اثر فني ما ، اعترتهم هزة انفعالية من الطرب والغبطة . ولكن اية غبطة هذه التي تتملى في حنايا نفوسهم وما عسى ان يكون الدافع اليها ، والمثير لها ، والباعث عليها فشيء اخر تماما . السواد الاعظم من الناس لا يفقه شيئا من أصول التحليل النفسي ، ولا تستثيرهم ثائرة من الخجل او الوجل ، وهم امام صورة زيتية ، او قطعة من النقش البديع ، فيستنكفون عن الفحص والتحليل، ويلوذون بمثل هذه الحجة الفارغة ، متعللين انهم يستطيبون القصة التي تبرز لهم من خلال الاثر الفني ، اذ ان في مشاهدته استحضارا لامر بعث فيهم من قبل شعورا باللذة اوبالطرب، او بالهزة الانفعالية ، او ان في الاثر الذي يتملون النظر اليه، محاكاة تامة لمنظر طبيعي تجسم امامهم .

كل هذه الامور دوافع مشروحة للبهجة النفسية وبواعث لاشاعة السرور في النفس ، مع انه يعسر علينا استبانة علاقتها بالاثر من حيث انه أثر فني اولا . ومع ذلك ، بالامكان ان نجد السبيل الذي يفضي بنا الى الميزة الاساسية التي تلازم اثرا فنيا معينا ، اذا ما خطونا خطوة الى الامام ووضعنا هذا المشاهد المفروض الذي « لا يفقه شيئا من امور الفن واصوله ، انما يعرف ما يثير فيه الاعجاب والاستحسان » اذا ما رأى نفسه وجها لوجه امام مبنى عظيم ، او سجادة ، او طنفسة او قطعة من المفروشات او من الخزف ، وهي حاجات تصلح لكل غرض وقصد خالية من اي معنى او مدلول ادبي ، لا ترابط فيها ولا قوة استحضار لها ، ولا اثر فيها على الرائي او الناظر يدعوه للانطباع بها او لاخذ صورة عنها . فلو استطعنا في مثل هذه الحال ، ان ننفذ عميقا ، لامكننا ان نجد ا ن كل محاكاة او شبه يتراءى لنا في الاثر البادي ، يقوم قبل كل شيء على الشكل او الهيأة ، وعلى ما فيه من تناسب بين الاجزاء المقومة له وما ينضح به من لون ينسجم والمجموع .

ففي هذه الاعراض كلها ، السبيل الى ما نبحث عنه ، والدليل على هذه الهزة العاطفية التي تعترينا عندما ننظر الى اثر فني باعتباره ، في أضعف الحالات ، اثرا توفرت له مقومات الوحدة والاتقان والانسجام في ما يتحلى به من قوام والوان . وجدير بنا ان نلاحظ هنا ، بان هذا العامل هو الذي يبرز امامنا ويبقى ، مهما كان نوع الاثر الذي نشاهد ، وايا كانت المادة المصنوع منها ، وايا كان الغرض منه . ففيه الميزة العامة ، وفيه الطابع المميز لكل أثر فني اذا ما قارناه بأي أثر اخر خرج من صنع الانسان .

وهذا المفهوم الاساسي للاثر الفني يقتضينا جهدا كبيرا من شمول البحث والنقد المحلل . قد يبدو لنا ان الفنان ، في محاولته توفير الوحدة وعوامل الانسجام للاثر الفني الذي يبدعه ، قد يلجأ لبعض الرواميز الرياضية ، او المعادلات الحسابية او يتبع نهجا سويا مرسوما او طريقا معبدا . فالاخذ بهذه الاساليب او الطرائق ، انما يعني التخلي عن ميزة أساسية يجب ان تتوفر للاثر الفني ، أي الحيوية والقوام العضوي الكامل . وهذا انما يحدث بالنظر الى ا ن الروابط التي تربط بين القوام واللون ــ وهي المقومات التي يقوم عليها الاثر الفني ــ مردها الى المشاعر والاحاسيس والانفعالات التي يجيش بها الفنان او تطبع مخيلته . فالفنان يشعر او يتحسس المقومات التي يجب ان تتوفر للاثر الفني وما لا مندوحة من توفره فيه ، لا أن يقوم بعملية حسابية وبمعادلات رياضية جوفاء ، جرداء من اللحم والدم .

وهكذا يبدو لنا ان كل عمل فني هو عمل خلق جديد

نسيج وحده : نوعا ، وجنسا ، وقواما ، تبرزه للوجودمخيلة الفنان المبدعة ، فيتحيز وينتصب على شكل محسوس في يد صانعه او مبدعه . وهذا الابداع او الخلق هو بالاساس عمل شخصي ، فردي في الدرجة الاولى ، لا يمكن اعادة صنعه بما تم له من مقومات وصفات تلابسه وتلازمه ، اذ ان خالقه او مبدعه هو نفسه ابدا في تغير دائم وتحول متصل . غير انه لما كان التخيل يمثل جانبا من نشاط العقل غير الواعي ، فالصور الذهنية التي تخطر على العقل الخلاق، من شأنها ان تسمو بالافكار والمثل التي يسعى الفنان الى تحييزها ، فياخذ من هذه المرئيات الذهنية ما يعتقده الاصلح والامثل في نقلما يترسمه او ما يتوهمه منمقومات الشخصية السامية .

اياك ان تعتقد يوما او ان يجمع بك الخيال والوهم فتتصور ان هذا النظام وهذه الوحدة في انسجام الصورة واللون المتحيز في الاثر الفني يحققه الفنان ، تم على كيفية اعتباطية ، خيالية . فاول صورة ذهنية خطرت للفنان على بال ، واولى الرؤى التي اطلت عليه او ابتدعها خياله ، انما انتصبت على قوام وتركزت على شكل ارتضاه لها لما فيه من توائم وانسجام مع الصورة الذهنية التي حبل خياله وتمخض عنها . فاذا ما تحيزت هذه المقومات واكتسبت ما اراده لها من قسمات مجسمة ، ادى ذلك للغرض المطلوب. والامر يصبح ظاهرا جليا اذا ما كان العمل الاثري المحيز جسرا او منزلا او قطعة من الاثاث والمفروشات ، او اذا كان الاثر الفني قطعة منقوشة ، ولا سيما اذا ما حدد منها الموضوع ، والتفاصيل ، والحيز الذي تشغله .

وهكذا فالصورة التي راودت الخاطر للمرة الاولى ، يجب تعهدها بالتعديل والتحوير والتنسيب ، ومثل هذه العملية تتم بالتعاون المشترك بين الفكر الواعي والجهد الذهني ، فالعمل الفني الذي تجلى اول ما تجلى هزة عاطفية ، يجد سبيله الى التحييز ، بالتعاون التام بين العاطفة والعقل معا .

وهنا يمكن ان نتساءل من اين تنشأ الفوارق التي تميز الاثار الفنية بعضها عن بعض . ان مجموعة المشاعر التي رافقت ظهور الصورة في المخيلة ، هي وليدة التجارب التي تمرس بها الفنان من قبل . فمنذ ان خطرت للفنان صورة الاثر الفني وراودت خاطره حملت معها ، حدودها وقيودها التي لا بد للفنان ان يأخذ منها ما يعتقده مقوما لاثره محيزا له فعلى نسبة ما تكون اختبارات الفنان غنية، متنوعة عميقة شديدة بنسبة ذلك تكون افكاره وصوره وعلى النسبة ذاتها يأتي الاثر الفني من حيث القالب او الشكل واللون ، اكثر تنوعا ، واشد ايقاعا وابعد اثرا . ومن جهة اخرى ، كلما اشتدت في الفنان طاقته على الخلق والابداع وموهبته الفنية ، على تحييز الصورة وخلقها ، سهلت بالتالي لديه وسائل التحييز والتنفية . فلا يتوهمن احد ، مع ذلك ، ان غنى الاختبارات التي تمرس بها الفنان ومالها في نفسه من عمق واثر ، كل ذلك يتوقف على مدى العوامل التي تفاعل بها ، كالرحلات والاسفار التي قام بها ، وكثرة المطالعة ، او كثرة علاقاته الاجتماعية التي رعاها او تعهدها . قد تكون لهذه العوامل فائدتها وقيمها الذاتية . غير ان الاختبار يدلنا على ان الاعمال العادية في الحياة قد تمد الفنان بالاختبار الذي يحتاج اليه ، كما جرى الامر مثلا مع الفنان فرا انجليكو (١) ووليم بلايك (٢).

وعلى هذا النحو الذي يجد فيه الاثر الفني طريقه للظهور ، لا بد للمرء ان يتساءل عن العلاقة التي تشد الاثر الفني الى الطبيعة . مما لا شك فيه قط ، ان الفن ما كان ابدا ولن يكون قط مجرد نسخ او نقل مادي للطبيعة المحيزة في الزمان والمكان على اقدار متناسقة من الكم والنوع والشكل واللون ، او مرآة امينة لواقع متحيز . والذي يجب الا يغرب عن البال قط ان النسخة او الصورة المنقولة ، لا يمكن ان يتوفر لها هذه العوامل بالذات التي تطبع اثرا فنيا : من حيوية ونشاط واثارة وايحاء ورمزية ، وغير ذلك من مقومات الابداع الفني . وهذا لا يعني قط ان ليس للفنان ان يقلد الطبيعة او يستعير من قوالبها عندما يرى في تقليده هذه القوالب واستعارته هذه الاشكال ، تحييزا للصورة الفنية المرتسمة في ذهنه . فالامر تم دوما على هذا الشكل في ما يتعلق بالرسم والنقش على الاخص ، مع ما يرافق عملية التقليد هذه ويصحبها من اصطفاء ، وتبسيط وتنسيب في الاقدار والاحجام والمقاييس والانتساب وغير ذلك من عوامل التحييز لمقومات الصورة الذهنية والميزات التي تفردها .

وبعد هذا الوصف المقتضب بحكم الضرورة لعملية التحييز وسكب القسمات المفردة التي تطبع الاثر الفني ، لننظر الان مليا ما للاثر الفني القائم باوصافه المفردة ، من تأثير ظاهر على الرائي او المشاهد . وهذا الاثر يتم بمايسميه الفنانون بعامل « الانطباعية » Empathy وهي عملية ، تقوم اصلا . بغشيان الرائي الاثر الفني بوعيه ، والتحسس بعنف ، بما يلابس هذا الاثر الفني ، من عوامل التفاعل والانفعال ، والتفهم ، وما اقتضاه انجازه من جهد يدوي او ذهني ليأتي على ما استقر عليه في الواقع المحيزباوصافه وملابساته .

ولما كان العامل الاول الذي ساهم اكثر من غيره في تحييز الاثر الفني هو عامل عاطفي ، شعوري ، كان لا بد

---

(١) فرا انجليكو Fra Angelico (١٢٧٦–١٣٣٧) – مصور ايطالي فلورنتي المولد من اشهر رجال الفن في الاجيال الوسطى على الاطلاق ، ومن ابعدهم شهرة ، نبغ ايضا في الهندسة المعمارية والنقش . فهو خير من يمثل المدرسة الفنية الايطالية التي سبقت عهد الانبعاث او الاحياء في القرن السادس عشر . عاصر دانتي وصاحبه ولازمه . دخل الرهبانية الفرنسيسكانية . من اثاره الفنية الخالدة نقوش تحيي معالم سيرة القديس فرنسيس الاسيزي ، وسيرة السيد المسيح ، الاولى تحلي الكنيسة الشادة على اسمه ، والثانية تزين المذبح الكبير في كنيسة القديس بطرس في روما ، وغير ذلك من النقوش الجدارية التي تمثل حياة السيد المسيح وحياة العذراء مريم ، والدينونة الاخيرة في كنيسة بادو . ومنها نقوش جدارية رمزية تمثل زفاف القديس فرنسيس الاسيزي الى الفقر ، وانتصار المحبة ، وانتصار الطاعة ، وكلها تحلي الكنيسة السفلى القائمة على اسمه . من رسومه الرائعة العشاء السري الاخير الموجودة في مونيخ وتقديم المسيح الى الهيكل (في متحف بوسطن للفنون الجميلة) .

(٢) وليم بلايك William Blake ١٧٥٧–١٨٢٧ – رسام انكليزي مشهور وشاعر متصوف ، عمل في تحلية بعض الدواوين الشعرية وتزويقها بالصور والرسوم الفنية منها اناشيد الطهارة ، واناشيدالخبرة وتولى تحلية « الكوميديا الالهية » لدانتي . من مؤلفاته الرمزية ،

للرائي ، في الدرجة الاولى ، من ان يتفاعل شعوريا ، ويتجاوب عاطفيا لموحيات الاثر الفني المتحيز امامه ، اذا اراد أن يكسب منه اكثر ما يمكن له ان يطمع فيه من هزة عاطفية . ان هذا التجاوب العاطفي او الشعوري ينطبع به الرائي وينفعل ، يختلف كسما ونوعا وطاقة ، باختلاف ما يتحلى به الاثر الفني من صفاتية مفردة ، ومميزات تسمه نوعا وتطبعه في ذاته . وهذه الاستجابة الانفعالية قد ترتدي مظهرا بسيطا لهزة عاطفية يبعثها في النفس ، ما في الاثر الفني من عوامل الانسجام ، والتناسب والقوائم بين مقوماته ومقطعاته المحيزة ، والالوان التي اعدت لها وبرزت عليها ، بحيث يبعث هذا كله في النفس البهجة والغبطة والارتياح . ولكن عندما ياتي الاثر الفني نتيجة لنشاط المخيلة العارم ، فالشعور البسيط بالارتياح اذا ما بقي قائما ، قد يغيم او يختفي وراء انفعالات اخرى، بينها التحسس بقوى عقلية او مادية ناشطة . او بالرضى والطمانينة ، او بالكرب والوجل ، او بالنشوة او التسامي، او بالرهبة والرعدة . والواقع ان اثرا فنيا من نوع معين ، قد يثير في النفس البشرية قوس قزح من شتى المشاعر تتباين تباين الالوان التي يتالف منها ، او كما قال غوتيه(٣) نفسه : « ان هذا الاثر قد يوحي لنا اعمق ما في الانسان من اسرار الخلق والابداع » . وهكذا ، وكما يتفق ان ياتي العمل الفني فوق القدرة الشخصية ، هكذا يمكن للرائي ان يخطف الى ما وراء حدود المعقول والاختبار اليومي ، الى أجواء الاكتناه ، هذه الاجواء نفسها التي يحلق فيها الفنان والرياضي والصوفي في تجريداتهم وشطحاتهم الدينية .

قد ينكر عدد كبير من الناس على انفسهم ان تكون لهم مثل هذه القدرة على الارتفاع والتسامي والتحليق في هذه الاجواء العالية التي المعنا اليها . الا انني لست بواثق انهم على حق في ما يرون او يدعون . من الثابت مع هذا ، ان للسواد الاعظم من الناس طاقة على التحسس لكمالات الاثر الفني ومقوماتها اكثر مما يظن العديدون بينهم ويعتقدون . فالاثر الفني ليس امرا تخفى عوامله ومعالمه ، فتقييمها واستشعارها منوط بالواقفين على اسرار الصنعة، المتفهمين لدقائقها . والتجاوب الانفعالي او الشعوري الذي يحدثه الاثر الفني في نفس الرائي ، لا علاقة له البتة بمركز صاحبه الاجتماعي او بالوظيفة التي يقوم بها رسميا ، ولا يرتبط بما قال مما تم للمجتمع من اسباب الحضارة والرقي ان الصور والرسوم التي وصفها انسان الغاب او الكهف في افريقيا ، والنقوش التي حفرها الزنجي الافريقي تنم عن المستوى الذي بلغته الحاسية الفنية بين الجماعات البشرية البدائية .

والناظر الى الاثر الفني يحتاج الى اكثر من الحساسية ليستطيع تذوق ما يتحلى به هذا الاثر من مقومات جمالية وما يستجمعه من كمالات فنية . وهذا المجهود الذهني والكد الفكري يعانيه الفنان في خلقه وابتكاره الاثر المحيز يجب ان يقابله في الرائي المستمتع بالتطلع فيه جملة وتفصيلا مجهود فكري او ذهني ، لا تتم بدونه عملية التذوق والانعطاف . فكلما كانت عناصر الفن متغلغلة في الاثر الفني ، معرقة بعيدا في مقوماته وقسماته ، تحتم على الرائي ، في تذوقه لها ، بذل جهد عقلي وكد ذهني اكبر واشد ، لتبدو له الاسس الفنية التي قام عليها الابداع الخلاق .

فبالاضافة الى ما يحدثه العمل الفني في نفس الرائي من اثارة حساسيته وكد ذهنه لتفهمه وادراك مقوماته وتذوقها ، فهو يضم عوامل ومؤثرات غير ما ذكرنا ، تهذب النفس وتساعد على البناء الروحي وتبعث الرضى . ومن بين هذه العوامل ، اللذة التي اشرت اليها من قبل ، وتداعي الخواطر او الاستحضار الذهني لحادثة مضت ، او لمشهد وقعت عليه العين ، او لذة استقرت في مطاوي النفس ، ان صورة زيتية لمشهد طبيعي فاتن ، قد تعيد الى ذاكرة ابن المدينة الذي يراها ذكريات ايام حلوة او سويعات لذيذة قضاها في الريف ، كما ان مشاهدته صورة منقوشة قد يحيي في ذاكرته وحافظته ، صورة حيوان رفيق ، او صديق صدوق ، وغير ذلك . ولكن كم في هذه اللذة من عوامل المفاجاة او المصادفة ، وما علاقة هذا كله بالاثر الفني

« الاسفار النبوية » Prophetic Book

(٣) غوتيه Goethe ١٧٤٩-١٨٣٢ احد عباقرة الانسانية ومن اتمهم واشملهم واحواهم كمالات ومؤهلات على الاطلاق . كاتب ، شاعر مؤرخ ، فيلسوف ، سياسي ورجل دولة ممتاز ، وفنان ، ومهندس ومؤلف مسرحي، وروائي ، وعالم طبيعي . جلى في هذا كله وابدع ، فبقيت آثاره الحية الى اليوم حديث نبوغه ومعالم عبقريته . فقد جمعت شخصيته وتحلت بكمالات قد لا يدانيه في وفرتها وغناها وامكانياتها وحدتها الا ما تم منها لنفر قليل جدا . اطلق في المانيا حركة عارمة من التجدد والازدهار والنشاط الفكري والادبي . كان عاملا من عوامل المذهب الرومانطيقي . ولد في فرنكفورت على الماين ، ودرس في ليبزيغ . عمل طويلا في خدمة بلاط

بالذات فامر يحدث مع اشياء لا تمت للفن بسبب متين ولا يمكن معه بان تصبح يوما اعمالا فنية .

والى هذا ، هنالك اللذة التي تصدر عن التمتع بمرأى أثر فني خرج من يد فنان مبدع ، او انطلق من اثر فني ثم وضعه بدقة واتقان . وهذه اللذة او البهجة ، مصدرها اصلا الشبه التام بين هذا الاثر الفني وعمل الطبيعة. ففي حالة كهذه لا علاقة لهذه اللذة بالاثر بقليل او كثير سواء أكان الاثر عملا فنيا او لا . وقد تظهر المقدرة الفنية ، في بعض الاحيان ، مع ذلك في الملامح او القسمات التي اضفاها الفنان على المادة التي بين يديه لدى معالجته لها ، ليعبر بها عن فكرة مرت في خاطره ، فيكون تفهم الرائي الذي ينظر اليه ، بمثابة مساهمة منه في تذوق عمل فني تذوقا كاملا .

ولعل ما هو اصعب من هذا بكثير تلك المشكلة التي يثيرها موضوع الرسم والنقش وعلاقته بالناظر او الرائي. وقد داب الانسان ، منذ عصور ما قبل التاريخ ، على اتخاذ الموضوع مادة للتسلية والترفيه ، او للتثقيف ، او للدعاية السياسية والاجتماعية او لاغراض اخرى من سحرودين. وكان التصوير والنقش على العموم ، اداة مثلى للتأثير على الجماعات والجماهير التي يسيطر عليها الجهل . ومع ذلك من يتتبع تاريخ الفنون في الغرب ، يرى انه قام دوما بين الناس هنالك ، تيارات من الاراء قالت بان عظمة الاثر الفني ونبله يصدران دائما عن عظمة الموضوع ونبله بالذات . وقد عارض هذا الرأي رأي ثان كتبت له الغلبة على الاول في القرن التاسع عشر ، مرده ان لا شأن قط للموضوع في الامر ، بل المهم في ذلك كله هو قوة الخلق والابداع في الفنان صاحب الاثر .

وهذان الرايان ليسا مع ذلك بمتعارضين او متضادين بشكل يستحيل التوفيق بينهما . فعندما يعالج رسم او نقش ما ، موضوعا بعينه ، بصورة وضعية او بيانية ، فقد يمكن اعتباره اداة تسلية وتهذيب للناظر او اداة ترغيب له او ترهيب . وعمله هذا ، اشبه ما يكون بالاثر تحدثه قطعة او رائعة ادبية محضة ، وليس كعمل الاثر الفني . فهو يؤثر بالمشابهة والمحاكاة وبالتداعي او الاستحضار الفكري، لا غير ، وبصورة مباشرة . وقد يحدث مع ذلك ، كما سبق لي واشرت الى هذا من قبل ، ان يتخذ الفنان ، من عملية الاستحضار والوصف ، عدة في عمله الفني الخلاق، فينسج من الخيوط التي يستعملها القسمات التي يضفيها على الاثر الفني الذي يبدعه . وخير مثال على ذلك ، الصور والرسوم الفنية التي وضعها رامبرانت (٤). وهذه الصورة ليست سوى عملية احياء مثيرة لافراد من الناس ، بل هي اكثر من ذلك بكثير ، هي رمز لهذا النوع من الناس يرمز اليهم الشخص المرسوم ، ليس في لحمه ودمه فحسب بل ايضا في عقله وروحه . فالخاص ينقل الى العام بفضل ما في الرسم من قوة الخلق والابداع . اما الرائي فيحمل الى ما وراء تجارب الحياة العادية ، الى عالم من المشاهدة اوسع وأدعى للاثارة .

فلننتقل الان ، ولو الى حين من واقع الاثر الفني وما يقوم عليه جوهره وكنهه وما عسى ان يحدثه من اثر للترفيه عقليا وروحيا عن الانسانية ، الى ناحية من نواحي هذه المشكلة العملية ، التي تعترضنا في جعل الاثار الفنية اكثر اتصالا وفعالية بحياتنا العادية . نحن نعيش عهدا من التطور السريع في معلوماتنا وبضاعتنا العلمية لم يسبق للانسانية ان رأت له مثيلا في النوع والكم ، مكننا من استثمار مواردنا الطبيعية الى اقصى حدود الاستثمار . فالانتاج تزداد مقاديره بمعدل فاق ما سجله منها من قبل . ومما يدعو الى الغرابة هو اننا لا نهتم كثيرا فيما اذا كان هذا الفيض من البضائع والانتاج يخدم شيئا غير تلبية حاجاتنا المادية ، الامر الذي حدا ببعض الساسة البارزين للتصريح قائلا : « لا يتأتى لنا المحافظة على الحضارة وحياتها بهذه الاشياء المادية بل عن طريق الروح » .

فالفنان ، عندما يقوم بعمله الفني ، يستهدف تغذية الروح ، قبل كل شيء اخر . ولذا ، فالحاجة تبدو شديدة لنسكب في الاشياء التي ننتجها ، عمل الفنان واثره . وهذا التأثير مرغوب فيه جدا ليس فقط عند صنع اشياء خاصة لمناسبات خاصة بل في جميع هذه الاشياء التي تحيط بنا في حياتنا العادية : في المدن التي نقطنها والمنازل التي نقيم فيها وبها نعمل ونصنع ، مئات الحاجيات والاغراض التي نرى ذواتنا بحاجة ماسة اليها . فبقطع النظر عما يبعثه فينا الاستمتاع بهذه الاشياء الجميلة المرسومة رسما فنيا بديعا من لذة مثيرة وارتياح ، هنالك اهمية ملحوظة في خلق محيط او بيئة تساعد على اثارة عواطف الانسان ومشاعره وانماء ملكاته بحيث يستطيع ان يستوحي من الفنون ما يمكن ان تعطيه او توحيه . ومجمل الكلام علينا ان ندمج الفن في الحياة دمجا كليا اسوة بما فعله الانسان في بعض ادوار تاريخه الغابر .

وعملية الادماج هذه للفن والحياة ، يدعي بعضهم استحالة الاخذ بها وتنفيذها . من الثابت اننا لا نستطيع ان نرجع عقارب الساعة الى الوراء ، ونحل الانتاج اليدوي محل الانتاج الالي . ومع ذلك ، فسيبقى هنالك طائفة كبيرة من الاشياء يمكن ان نعهد الى اصحاب الحرف والمهن اليدوية صنعها ، ليس صدقة منا اليهم او تحسسا

امير ويمار فجعل منه قبلة الادباء والفنانين ورجال السياسة واهل العلم والبحث . مـ اثاره الفكرية الخالدة : ايفجينيا في توريد (١٧٨٧) ، وايجمونت (١٧٨٨) ، وفي القصة : « هرمان ودوروثي » (١٧٩٨) ، وفيرثر وفوست راجع فيه مقالا مسهبا لنا عقدناه عليه بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لميلاده ، بعنوان : « غوتيه في المكتبة العربية ». ما الف فيه وما ترجم له بالعربية ، نشرته مجلة الكتاب في القاهرة .

(٤) رامبرانت Rembrant ١٦٠٦–١٦٦٩ احد مشاهير الفنانين في دنيا الرسم والحفر في عصر النهضة والانبعاث ، هولندي الاصل والمولد ، ومن كبار المصورين الذين اطلعتهم المدرسة الهولندية الفنية . فهو رب من ارباب الانوار والظلال . ولد في ليدن ، واقام منذ عام ١٦٣١ في مدينة امستردام منقطعا عن مخالطة الناس . في عداد الرسوم والنقوش الفنية التي تركها قسم صور فيه نفسه وبعض اعضاء اسرته ، كما صور فيه حوادث عديدة ومشاهد تحيي حوادث الكتاب المقدس . من ذلك مثلا الرجوع من سبي بابل ـ وسمعان الشيخ في الهيكل ـ والملاك يهجر طوبيا البار ـ والمسيح بصورة البستاني ـ سلسلة رسوم لشمشون الجبار . ومن الرسوم التي تحيي بعض المشاهد : الدينية . استراحة العائلة المقدسة ـ المرأة الزانية ـ العجوز تقلم اظافرها ـ انزال السيد المسيح عن الصليب ـ الصلبان الثلاثة ـ شفاء المسيح للمرضى .

ثلوج

٥

الغيـوم
وهي في الجو تحوم
نزعت عنها الخوافي
ورمتها للفيافي
علها يوما تطير
في جناح عبير

✶

والرياح
جمعت زهر الاقاح
من بساتين القمر
نثرتها بِدَراً بعدَ بِدَر
في جنون المسرف
لربوع تعتفي

والتلال
شربت خمر الجمال
فهي سكرى لا تعي
في ذهول المبدع
غِبَّ خلق مبتكر
يتراءى في صور

✶

الثلوج
آه ما أحلى الثلوج
هي احلام المروج
ورؤى خود غنوج
يا لحلم أبيض
قال للارض انهضي

وديع ديب

بمسؤولياتنا نحوهم ، بل لاعتقادنا ان بوسعهم ان يصنعوا هذه الاشياء بشكل ادعى الى الاتقان والغنى من صنع الالةلها

فمع وجود اقوام من هذا النوع ، واناس على هذه الشاكلة يصطفون ليضربوا لنا ارقاما قياسية ولينفخوا فينا الالهام ، يستباح التحكم بالالة واقصار انتاجها على بعض النواحي باستثناء البعض الاخر . ان الحاجيات الاليةالصنع ينقصها دوما عنصر ضروري يتوفر وجوده دائما في الاثر الفني . فهذه الحاجيات ، في طبيعتها وجوهرها ، نسخة الية لنموذج معين وقالب محيز . فليس في هذه المقلدات والنسخ المتشابهة اي مجال ممكن لتعاون القلب واليد ليعملا معا فيشتركان في صياغة الاثر الفني وافراغه ليخرج اثرا وحيدا من جنسه يوحي بكل ما للفنان من شخصية مفردة . وهذه الفكرة نفسها حدت بالخزافين الصينيين الى ان يتخلوا عن الكمال الالي الذي يمكن له دولاب الخزاف ليفسحوا له المجال فيضفي على كل ما تصنعه يداه من اغراض اعمال واثر ، ميزة خاصة مفردة . اما اذا ما اعتبرت الالة اداة محكمة لتحييز رسم معين وضعه الفنان ، امكن اذ ذاك للاثر الذي تخرجه الالة ان تكون له المميزات التي تفرد الاثر الفني نفسه من وحدة وتناسب وانسجام . وقد ادرك كبار رجال الصناعة هذا الامر ، كما ادركوا انهم اذا ما تركوا للفنان التحكم بالالة عن طريق الرسم الذي يضعه، امكنهم اخراج مصنوعات احسن واجود ، بكلفة اقل ولربما ارخص .

ومع هذا هنالك امور كثيرة يجب صنعها دونها خرط القتاد . فالقعود راضين قانعين قابعين، مع الاعتقاد ان كل شيء لدينا على ما يرام مدعاة للاهمال ، وتثبيط للهمم ، ومقتلة للنشاط ، اذ بذلك الاطراح جانبا ، كل ما يستطيعه خيال الفنان المبدع لاشاعة البهجة في قلب الانسان واثارة حماسه ، وبنائه روحيا وعقليا . اما اذا ما اخذنا انفسنا بالشدة وطلبنا من الفنون ما يمكن ان تقدمه لكل واحد منا جملة وفرادى ، استطاعت الفنون الجمالية اذ ذاك ان تكون لنا حسبما رسمته احدى الصلوات المشهورة :

« سبيلا يفضي بنا للجمال »
« ومنزعا يؤدي بنا للمجد »

يوسف اسعد داغر

قصة قصيرة

تراب صدري

بقلم حليم بركات

مهداة الى جبرا ابراهيم جبرا

عيناي في ربطة عنقه السوداء . ترى الست مثل هؤلاء الناس ؟ لماذا نحزن عندما يموت انسان ، ألم يكن ميتا قبل ذاك ؟ كل ما هنالك انه لم يعد يحس بالموت .

وحاولت طرد هذه المشاعر الصغيرة لانني امقت التشاؤم ولطالما حاولت ان اضيء شمعة في صدر صديقي المعتم التصقت هذه المشاعر بعروقي ، فما استطعت التخلص منها ، في ليلة راس السنة احسست كما لو انني نعش يحمل جسدي الصغير الى

منذ ساعة كنت وحدي في «الانكل سام» فشربت عصير البرتقال بينما كان جاري يغرق في قدح وسكي مع فتاته الجميلة . وكرهت ان اظل اراقبهما هكذا فقلت لنفسي : لاخرج علني اكون غير ما انا . وها انا في حانة اخرى — في الوليمس — اشرب عصير البرتقال وتشربني الاسئلة :

لماذا لا اذهب اليها ؟ انها تنتظرني . هذا العالم المثالي الذي احيا فيه نبذه عصرنا من زمان ، فلماذا التصقت بترابه ؟ ماذا لو كانت متزوجة ؟ ماذا لو كان لها طفلة ؟ زوجها لا يحبها وهي لا تحبه ، أفلا يحق لها ان تبحث عن سعادتها ؟ وما معنى الحرية التي نؤمن بها اليوم ان لم تكن تخلصا من اوهام تكبلنا ، تميتنا ، تدفننا في تراب صدورنا .

— واحد قهوة من فضلك .

في صوت جاري بلادة كما في عينيه وفي ربطة عنقه . ثم وجدت نفسي اعود الى عالم تساؤلي : ولكن هل أستطيع ان اتزوجها ؟ ألم تكن هذه مشكلتي من قبل . بعد سنتين سأتخرج من الجامعة وبعدها علي ان التحق بالجيش في خدمة اجبارية . ترى الا يحق للتلميذ ان يحب لانه لا يستطيع ان يتزوج ؟ ماذا افعل اذن باحاسيسي التي قالت لي يوما انها اكبر مني ؟ كاذبة . لو آمنت باحاسيسي لما تزوجت . لم يكن بامكانها ان تنتظرني . انا نفسي لم اشجعها على الانتظار . وربما لانني لم اكن متأكدا انني احبها ، فكثيرا ما قلت لنفسي : احس بتيار عاطفي يجذبني اليها ولكن هذا لا يكفي . الحب يحتاج الى شيء اخر — الى تفاهم عميق . ان مجرد فكرة الزواج كانت تضحكني . لم استطع ان اتصوره . صراخ اطفالي كان ينقلب قهقهات في فمي . ما استطاعت ان تفهم الحب الا طريقا للزواج . وكم لمت نفسي انني اردتها غير ما تؤمن . اليس هذا حق من حقوقها . والمجتمع الا يريدها ان تعيش في هذا المنطق ؟ ربما انا لم اعرف كيف اختار فتاتي .

وودت لو اضرب راسي بالحائط قربي وبالطاولة امامي او بالسور الزجاجي الذي يفصلني عن الناس يمشون في الخارج كي يوهموا انفسهم ان الشلل لم يجمدهم . وجلت ببصري في الخارج : هؤلاء الناس هل يختلفون عني ؟ كلهم ضائعون . تطلعت الى نظارتي شاب طويل ثم الى رجل ضخم تجمع في معدته فتبعها مترنحا وتطلعت مع بائع العلكة الى فتاة تمسك بذراع امها . ترى ، الا تود هذه الفتاة لو كانت امها حبيبها ؟ وابتسمت ثم عدت الى بائع العلكة . تأملت عينيه الوسختين وشعره الغامر جبهته ونوافذ قميصه المطلة على جلده الاسمر . وجذب نظري شاب يروح ويجيء ، يلتفت الى الناس والى حذائه يلمع ، وتمتد يده الى السلسلة الحديدية تفصل الرصيف عن الشارع ثم تعود الى جيبه وتتكور بقلق هناك . وفيما انا انتظر عودته بعد ان غيبته الزاوية ترامت عيناي على عمود الكهرباء تلتف حوله ذراع ويستند اليه جسد شاب صغير يضحك مع رفيقه . بماذا يتحدثان ؟ لا شيء . لا بد ان حديثهما — كضحكات المستند الى العمود — فراغ . ترى هذا البوليس الفاغر فمه والعجوز القابعة وراءه بماذا يفكران ؟ لا شيء . مثل بقية الناس وهذا الوجه الذي يحمل الحزن ترى ما هي المشكلة التي يعانيها ؟ وتمنيت لو كان بامكاني ان اعرف مشكلة كل انسان يمر . مشكلتي الخاصة لم افهمها فكيف افهم مشاكل الاخرين ؟ لماذا احببتها وانا بعد تلميذ صغير امامه سنوات دراسية وسنوات استعداد . كان يجب ان احب فتاة يمكنها ان تنتظرني الم اقل اني ربما لم احبها ؟ كفى . كفى . لقد احببتها . دائما اوهم نفسي . دائما . ولماذا لا احبها ؟ الا يحق لي ان اكون غير صنم يمشي ويقف ، يذهب ويجيء ؟ الا يحق لي ان افجر في عروقي اليابسة ينابيع الحياة ؟ الا يحق لي ان تكون لي سعادة واحلام وآمال وآلام ؟

سمعت نقرات على الواح الزجاج فرفعت راسي الى يد احد اصدقائي يلوح بها مسلما سائلا عن حالي ثم يبتعد . مررت ببصري على الطاولات المزدحمة بالزبائن . رافقت عيناي الدخان المتماوج يترك سيجارة جاري ويرتفع الى السقف حيث يضيع .

الم اقل لها يوما ان شعرها سحبة دخان تتصاعد من محرقة الالهية في بعلبك ؟ فانحنى راسها الصغير الى كتفي يقول : شعري ، يعجبك ؟ تراه جميلا الى هذا الحد ؟

وقالت شفتاي الباحثتان عن نبع في غابة شعرها : بل اجمل ، وتحرك الرأس بنشوة : هذا الشعر ما قيمته لو لم تفهمه انت .

تراها كانت صادقة في حبها . لا شك . ولو لم تكن صادقة لما ارسلت لي بطاقة معايدة وكتبت عليها ما كتبت . تراها فكرتها ام انها اقتبستها ؟ هل هذا دليل على انها مخلصة ؟ لو احبتني لرفضت ان تتزوج غيري . ترى اغرتها جواهر تتدلى من واجهة محله ؟ ولكنها لم تنسني كل هاتين السنتين . اليس هذا دليلا على اخلاصها ؟ ربما لم تنسني لانها غير موفقة في زواجها . تذكر حبي لانها تريد ان تنسلخ عن عذابها . ولماذا لا اريدها ان تكون هكذا ؟ لماذا اريدها ان تتجرد من حالها ؟ لماذا ؟ لا ادري . عندما احببتها الم احبها من ضمن قلقي وحنيني واحلامي وصبوتي ؟ والان لماذا اشعر بحاجة اليها اكثر من اي يوم اخر ؟

تطلعت الى ساعتي ، انها الثانية عشرة الا عشر دقائق . . والى ما وراء

الحاجز الزجاجي ، ثم خرجت الى الشارع المبلل المزدحم بالناس . نقيطات الماء المبعثرة تزيدني انطواء على نفسي . ترى كيف استطيع التجرد عن الناس يتراكضون في الشارع ، يتمهلون على الرصيف ، خطواتهم تصرخ وشفاههم ايضا . لماذا لا اعيش في عالم الاخرين فانسى .

والمح صديقي وحده يخرج من دار احدى السينمات : كذاب . قال لي في الامس انه سيذهب الى حفلة راقصة مع فتاته . اين الحفلة ؟ اين الفتاة ؟ اراد ان يوهمني ان لديه فتاة . مثلي ضائع . مثلي يعيش في احلامه

وشعرت بتعزية جعلتني ابتسم واقترب منه : سامي مرحبا . عرفت انني فاجأته اذ سمعته يجيب : مر... حبا رياض . ويشد على يدي ضاحكا قائلا : اين ؟

ــ لا ادري . ــ وانا كذلك .

وضحكت معه . وددت لو كنت مثله : استر فشلي عني وعن الاخرين بالضحك وعدم الاهتمام . واردت ان اسأله عن الحفلة الراقصة ولكنني امتنعت احتراما لمشاعره ، وكأنما عرف بماذا افكر فقال مبتسما : ما اتعس حظي . كنت حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم اعتقد انني سأسهر معها فنرقص ونرقص حتى نتخدر وردد عبارته : ما اتعس حظي: انا معك بدل ان اكون معها

وارتفعت ضحكته مما جعل بعض المارة يلتفتون اليه ويبتسمون . ضحكاته اغرقتني في احلامي . الساعة الثانية عشرة الا دقيقة . في مثل هذه البرهة منذ سنتين كنت انتظر ان يموت الضوء فتتحد شفتاي وشفتاها في عتمة كلها ضوء .

واغمضت عيني لاحيا في وهم القبلة : احبك

ويقول فمها بصمت : احبك .

غير ان ابواق السيارات التي انطلقت من كل ناحية استقبالا للسنة الجديدة شدتني الى الناس ، الى بلاط الشارع المبلل ، الى العيون التائهة في صحاري الوجوه والى الكلمات الفانية في ضجيج الابواق . كل سيارة تصرخ .. تزعق .. تلتصق باذني وضميري ، ثم رحت اضحك عندما رايت صديقي يضع اصابعه في فمه ويصفر بقوة .

حاولت ان افعل مثله لكنني لم انجح فاستعضت عن ذاك بقهقهات عالية مفتعلة امتزجت بصفيره وزعيق السيارات والوف الاصوات تتدحرج من الوف الافواه . جذب نظري صدر فتاة ابيض ناصع فصلبت عيناي هناك ولكنها تحركت نحو السيارة فانحدرت عيناي الى ساقيها تراقبهما وهما يغيبان في الداخل . اغلق الباب بقوة فضحكت وضحك صديقي .. ثم توقف فجأة وقال : ما رأيك بسهرة على الزيتونة ؟

فطنت ان ليس في جيبي غير عشر ليرات فقلت : الان ؟

وضحك ساخرا : لا ، في الامس .

خجلت ان اقول له ان جيبي فارغة فقلت « امش » وفي نيتي ان ننتقل من ناد ليلي الى اخر دون ان نجلس كما فعلت انا وفؤاد في ليلة عيد الميلاد . وعندما خطر فؤاد في بالي قلت لصديقي : ترى اين يكون فؤاد

ــ مسكين . دائما افكر كيف يمكنه ان يتحمل خدمة الجيش سنتين .

ــ كما نتحمل نحن الحياة .

وعدنا نسير صامتين في الشارع المبلل ولما اردت الا افكر بأي شيء اصغيت الى وقع خطواتي الرتيب ، فشعرت بنشوة . تأنقت اكثر فاكثر في مشيتي ، وملأ وقع حذائي الجديد على البلاط اذني ، وظهر لي انه ملأ اذني صديقي ايضا فراح يسير مثلي

دخلنا « الكيت كات » فاذا به مزدحم بالناس . وفي الباب صدر ارتيست ابيض تصخب فيه موجتان

تـكادان ان تعبرا حـاجز الثـوب .
وشدني صديقي من يدي : تعال .

ـ الى اين ؟

ـ نبحث عن طاولة . البرنامج عظيم .

ـ اي طاولة ؟ الا ترى هذه الزحمة لا اطيق المكان .

خرجنا وكان عشرات الشبان مثلنا يدخلون ويخرجون . وفي « المولان رووج » وقفنا قرب الباب نراقب راقصة يصخب جسدها في حركات مجنونة كأصوات تلك الالات الموسيقية امتزج هذا الصخب مع صخب نفسي فاستندت الى الباب .

لمحت وجهـا يبتسم لي فركزت بصري عليه . انه احد زملائي في الجامعة . وحدقت « بالارتيست » الجالسة بينه وبين تلميذ اخر لا اعرفه شعرها الملون ، ووجهها القابع خلف ركامات « البودرة » ، وعيناها الفارغتان من اي معنى ويداها البليدتان تمتد واحدة الى الكأس والاخرى تغرف في لهيب يديه ، وصدرها المتهدم .. كل هذا جعلني اشعر بالاشمئزاز فعجبت كيف يمكنهما ان يجلسا معها . لست ادري لماذا مرت في راسي صورة النسر لعمر ابو ريشة ـ النسر المنخور الهيكل ينحني على جيفة منتنة في السفح .

واحسست بيـد « الكرسون » تتلمس كتفي : الى الخارج من فضلكم ويقول لرفيقه بتأفف : ما هذا ؟ »

وددت لو تبتلعني الارض فخرجت بهدوء الى الشارع وسمعت صديقي يستفهم : الى اين ؟

لم أجبه . الا يحس ؟ ورددسؤاله ثانية فثالثة فقلت باقتضاب : تعال .

وتبعني وانا انحدر في الشارع .

الى اين ؟

بماذا اجيبه . انا لا اعرف الى اين. كل ما اريده هو ان اهرب . هذا العالم احتقره . كلنا اموات . كلنا . وهذه التي ندعوها حياة ما هي غير موكبنا يتجرجر الى القبر . وبعد القبر لا شيء . لا احد يعرف انه ميت ، فلماذا احاول ان اعرف .

ومر في بالي صديقي الشاعر الذي طالما حاولت ان اضيء شمعة في عتمة صدره : « هذا العالم عبث . مجرد شاشة سينمائية »

استندت الى الحائط الاسمنتي اصغي الى اصوات الامواج تتلاطم ، وفي افق عيني المغمضتين جناحـا النسر العتيق يرتفعان : « هذا العالم ليس له قيمة في نفسه . نحن نقيمه نحن نجعله عبثا ونحن نجعله غاية كبرى »

احسست بذراع سامي يلقى على كتفي : ما بك ؟ ـ لا شيء .

وصمت ثم قال : اعرف بماذا تفكر عندما تفكر بها تحتقر هذه الاجساد .

ومررت بيدي على جيب قرب صدري اتلمس بطاقة المعايدة التي ارسلتها الي باسم ابنتها . شعرت انني بحاجة اليها . لماذا لا اذهب ؟ ترى انتهت الحفلة ؟

وعاد صديقي يقول : سمعت انها غير مسرورة في حياتها الزوجية

وتمسكت بالبطاقة قرب صدري هل اقراها له ؟ وقلت دون ان اجيب نفسي : لقد ارسلت لي بطاقة معايدة.

ـ صحيح ؟

واخرجتها من جيبي : ارسلتها باسم ابنتها . ـ كيف ؟ وبدات اقرا :

انت تعرفني رغم انك لم ترني ، فانا اشبه امي . عيناي مثل عينيها . امي ما تزال تذكر ما قلت لها يوما عن عينيها : لون عينيك سيمفونية زرقة واخضرار . فهما حينا بحر كل ما ارغب ان يضيع شراعي في افقه . وهما حينا صنوبرة في جبال لبنان ، وانا كذلك اعرفك فقد اخبرتني امي عنك اشياء كثيرة . قالت لي انني ساحبك كثيرا عندما اراك . ساحب قلبك الكبير .. وساحب الالم في عينيك وفمك واصابعك وشعرك واذنيك الصغيرتين . امي تقول انني ساحبك وما تدري انني احبك الان . ارجو ان اراك في حفلة يقيمها ابي في بيتنا في ليلة راس السنة . قد اكون نائمة فارجو ايقاظي لان حفلتنا ستبتدىء في ساعة متأخرة .

امي تهديك السلام .

كأنما صديقي كان ينتظرني لانهي الكلمة الاخيرة فيقول بحماس : مجنون . مجنون . ـ ما بك ؟

واستمر في هز راسه : لو كنت محلك : ماذا تريد اكثر من هذه الصراحة . لو كنت محلك .

آلمني هز رأسه فقلت بحنق: كنت ارقص معها الان ؟ كنت اقبلها ؟ اليس كذلك ؟

واسرعت الى سيارة وقفت هناك.

ـ الى اين ـ شارع الحمرا .

انطلقت السيارة تحملني وحدي.
انا وقلبي يخفق : لا يجوز . لا نزل.

ولكن ماذا اقول للسائق ؟ ادرت وجهي عن الشارع يزدحم بالناس . « في ليلة راس السنـة لا احد ينام » .
أأخجل منه ؟ لا نزل . لا ، لا يجوز .

صوت باب السيارة وانا اغلقه ما زال في اذني . سرت ببطء . تطلعت الى فوق . لست ادري بماذا كنت افكر عندما وقفت في اسفل السلم المؤدي الى بيتها . الموسيقى والضحكات المنتشية تترامى الي من النوافذ فتنسيني بانني يجب ان افكر . يجب ان افعل شيئا . واظل واقفا اتمنى لو ترتفع الضحكات :

شعرها وعيناها ويداها في عيني. تقول لي . يكفي . لقد شربت كثيرا. يكفي حبيبي . وتندم شفتاها لانها تلفظت بالكلمة الاخيرة فتنحني . شعرها .. شعرها وحده يلتصق بعيني .. واصبعها الجنون ينفض خيطا ابيض علق ببذلتي الكحلية . يدها تمسح حمرتها عن شفتي . وترتفع ضحكات وراء الستارة .

لاصعد . لا يجب ان اعود . جبان! لماذا اخاف ؟ تسلقت السلم درجة درجة . لادخل بهدوء كما لو انني اقوم بعمل عادي . موسيقى روك اند روك . هذا العالم المجنون . وتنتشي قدماي . ماذا يقول زوجها؟ ترى حدثته عني ؟ ماذا يقول ؟ ليقل ما طاب له . لا يهمني . احبها وتحبني هل استطيع ان اتزوجها ؟ اتزوجها ! اتزوجها ! . كأنما الحب يعني الزواج هذا العالم المثالي الذي احيا فيه وحدي ساحطمه .

امتد اصبعي الى الزر الكهربائي فسمعت الجرس يدق في راسي ، في عيني ، في يدي : ماذا اريد ؟ زوجها لا يعرفني . ماذا اريد ؟ انها متزوجة . لكنها تحبني . ما بي اعود لامثل مأساتي من جديد ! احاسيسك اكبر منك . زوجها .. طفلتها .. تلميذ .. في جيبي عشر ليرات

وقع اقدام يقترب .. يرتفع .. وهبطت السلم بسرعة . تلفلفت بظل احدى الزوايا . قلبي يدق بسرعة . وسمعت الباب يفتح . الضوء كاد يكشفني . قلبي يدق .. يدق . ويغلق الباب فيموت الضوء .

وعدت اسير في الشارع المبلل نحو الجامعة لاشرب عصير البرتقال .

حليم بركات
الجامعة الامريكية ببيروت

حسناً فعلت

٥

حسناً فعلت ، ولا عتاب
انا لست أعبأ يا فتاه
فلقد أنرت لي الطريق
يا تعس قافلة تسير
من السراب الى السراب
حسنا فعلت ولا عتاب
ولا عتاب

دمي الذي بددته
ما زال يلمع في الدروب
عبر الطريق
أبداً ينير لي الطريق
لا تحسبي اني حزين
انا لست احزن يا فتاه
هل يحزن المذبوح والدم في رؤاه
لا حزن ثمَّ ، ولا ملام
هل يعتب الجرح الطعين
على السهام
فدعي الملام وذكره لا ، لا عتاب
حسنا فعلت ولا عتاب
ولا عتاب

كان الربيع صدى غرام
يحيا هناك بأضلعي واليوم مات
وكتبت لي :
« يا صاحبي
حسنا سننسى كل شيء
ما كان حبك غير وهم
رف في قلبي الصغير
واليوم قد ادركت والقلب الكبير
قد نبهته الى الوجود حكاية

ما كنت بعدُ عرفتها
فعلمت اني لست لك
واذن سننسى كل شيء »
وفقدت في قلبي الربيع
وتناثرت عبر الضلوع
أزهار ايامي الحزينه
وسمعت قلبي هاتفا
من غور اعماقي الدفينه
يا أخت ، من خلف الدموع
حسنا فعلت ، ولا عتاب
ولا عتاب ..

وعلى ضريح غرامنا
حسنا ، سأكتب جملتين
« لا لست أنت ولا أنا
ما ذاك من صنع البشر
ان الذي رسم المصير
هو القضاء ، هو القدر »

وتمر قافلتي الحزينة في سلام
والدمع يلمع في العيون
وعلى الاقاح
والدرب ابلج كالصباح
ولا سراب
وصدى هتاف في الطريق
يرتدُّ من حجر عميق
حسنا فعلت ، ولا عتاب
ولا عتاب ..

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

انواع المفاهيم في العلم الحديث

بقلم صادق العظم

ooo

من المسلم به ان العلم الحديث يستند الى المشاهدة والخبرة الحسية من جهة والى النظرية وما يتبعها من الاستنتاج القياسي والاستقراء المنطقي من جهة اخرى . ولكن في الاونة الاخيرة طغت في الاوساط العلمية نزعة تدعو بالانصراف الكلي الى الملاحظة والمشاهدة الحسية مدعية ان مثل هذا الانصراف وحده كفيل بان يسير بالبحث العلمي في موكب التقدم . تزعم هذه النزعة ان العامل الاهم في تقدم العلم والبحث العلمي ينحصر في مشاهداتنا وتجاربنا المنتظمة للموضوع الذي ندرسه ونبحث فيه ، وبودنا هنا ان نوضح خطأ هذا الزعم الذي يجعل من المعرفة العلمية قائمة من المعلومات والمشاهدات الحسية فحسب . ويمثل هذه النزعة الحسية المناطقة الوضعيون في حقل الفلسفة والسلوكيون في حقل السيكولوجيا .

والمدرسة السلوكية تمثل لنا كيف نفضت السيكولوجيا عن نفسها غبار التفكير الميتافيزيقي التأملي الذي اشتهر به الفلاسفة الالمان وكيف اسست نفسها كعلم قائم على المشاهدة والتجربة الحسية (علم النفس التجريبي) ولكن في طور الانتقال من المرحلة التأملية الى المرحلة التجريبية تطرف هذا العلم الناشيء في تحمسه نحو المشاهدة والخبرة حتى اعتبر البحث العلمي كناية عن قائمة مكونة من ملاحظات ومشاهدات وتجارب الباحث متجاهلا بذلك اهمية الدور الذي تلعبه النظريات في تكوين الانظمة العلمية والان لنر الدور الذي تلعبه الاعتبارات النظرية والكائنات الغير محسوسة في القضايا العلمية . هذا ما سنبحثه الان متمثلين بعلم الفيزياء (اكثر العلوم تقدما) وبعلم السيكولوجيا

في التعبير العلمي نوعان من المفاهيم Concepts النوع الاول سندعوه «بالمفاهيم الحسية» Concepts by observation والثاني « بالمفاهيم الافتراضية » Concepts by postulation تنشأ المفاهيم الحسية من ربط كلمة لا معنى لها بمعطى حسي او مجموعة من المعطيات الحسية . وبذلك تصبح الكلمات رموزا دلالتها هذه المعطيات الحسية ودلالة هذه المفاهيم تحدد معناها التام . ومثالا على المفهوم الحسي « احمر » حيث الخبرة الحسية تحدد معنى ودلالة الرمز « احمر » اما المفاهيم الافتراضية فليس لها دلالة حسية تحددها الخبرة ، اي انها لا تشير الى اي كائن ندركه بحواسنا كاللون « احمر » مثلا وانما يحدد معناها حسب النظرية الاستنتاجية التي تقع فيها كأجزاء فاللون « احمر » مثلا « كموجة طول » في النظرية الاليكترو مغناطيسية هو مفهوم بالافتراض لا معنى له خارج هذه النظرية ولا دلالة حسية له .

وزعمنا هنا ان البحث العلمي يتطلب هذين النوعين من المفاهيم . بخلاف زعم المناطقة الوضعيين الذين يرفعون من شأن المفاهيم الحسية على حساب المفاهيم الافتراضية مع انها ركن النظريات العلمية .

والان لنوضح كيف يستعمل العلم هذين النوعين من المفاهيم ، لنأخذ مثالا من السير اسحق نيوتن . « ان الزمن المطلق ، الحقيقي والرياضي ينساب بذاته وبطبيعته بتساو وبدون علاقة بأي شيء خارج عنه ويعرف باسم الفترة الزمنية اما الزمن النسبي او الظاهري او العادي فهو مقياس محسوس وخارجي للفترة الزمنية يدرك حسيا وعن طريق الحركة ... ! »

نرى بوضوح ان نيوتن يميز بين مفهومين اثنين للزمن فهناك الزمن المطلق الحقيقي الرياضي وهو مفهوم بالافتراض وهناك الزمن النسبي الذي ندركه بحواسنا ونتكلم عنه في حياتنا اليومية . فالزمن بالمعنى الاول اي كمفهوم افتراضي ليس له دلالة او وجود حسي ولكنه افتراض اساسي ادخله نيوتن في نظامه ليعلل كثيرا من الوقائع والظواهر الطبيعية منها الزمن العادي الذي ندركه بالحواس كما ادعى نيوتن . ونستنتج من كل هذا ان تنظيم وتنسيق خبرتنا ومشاهداتنا الحسية التي تتألف مما سميناه بالمفاهيم الحسية لا تؤلف وحدها نظاما علميا بل يجب ادخال المفاهيم الافتراضية حاملة معها النظريات ليتكون لدينا نظام علمي تام .

فالمفاهيم الافتراضية والنظريات المؤلفة منها (١) تعطي تعليلا علميا معقولا للمشاهدات والمعلومات والمعطيات الحسية التي يجمعها العالم . (٢) تنسق هذه المعلومات والمشاهدات في نظام متماسك مترابط خلو من التناقض الذاتي ومتسق مع نفسه. (٣) تمكن العلماء من التنبؤ باحداث المستقبل خلال النظام العلمي ، ومثالا على ذلك نظام بطليموس الفلكي الذي يمكن الفلكيين من التنبؤ بالكسوف والخسوف . وفي علم السيكولوجيا كان هال C. L. Hull اول من ادخل بوضوح المفاهيم الافتراضية اذ

Newton, I Mathematical Principles of Natural Philosophy : ص ٦

جعلها الركن الذي يقوم عليه نظامه السلوكي فهو يضع هذه المفاهيم لتصف عمليات نيورولوجية افتراضية غير واقعة تحت المشاهدة ليعلل من خلالها سلوك الاحياء العليا الذي يقع تحت المشاهدة والخبرة .

فالمفاهيم الافتراضية عند هال هي محاولة لتاليف نظام علمي للتعليل والتنبؤ (ضمن حدود) بسلوك الاحياء وخاصة الانسان فمثلا عبارة « العادة » في نظام هال السلوكي كعبارة الزمن في نظام نيوتن توضح لنا الفرق بين المفاهيم الحسية والافتراضية . فالعادة كمفهوم حسي تعني عند هال نوعا من السلوك الذي تسير بموجبه الكائنات الحية وهو السلوك الروتيني الرتيب الذي يقع تحت المشاهدة الحسية والتجربة في المختبر واما كمفهوم افتراضي فهي حالة نيورولوجية لا تقع تحت المشاهدة والخبرة يفترض هال وجودها في الجهاز العصبي كتعليل للعادة بالمعنى الاول أي السلوك الروتيني الرتيب الذي نعرفه جميعا .

من خواص المفاهيم الافتراضية والنظريات المؤلفة منها انها ليست عرضة للخطأ والصواب . المفاهيم الحسية فقط تكون اما خطأ او صوابا . فاذا قلت مثلا هذا الكتاب ازرق (ازرق مفهوم حسي) فهذه الجملة بحكم الضرورة اما صحيح او خطأ ولكن اذا قلت يوجد مادة تدعى بالاثير (الاثير مفهوم افتراضي) ينتقل بواسطتها الضوء فان ما اقوله ليس صوابا او خطأ لان الاثير افتراض ابتدعه العلامة « هويجنز » Huyghens في عام ١٦٧٨ ليعلل انتقال الضوء وقد كان هذا المفهوم ذا صلاحية ونفع لعلم الفيزياء في ذلك الوقت ولكن في يومنا هذا اهمل هذا الافتراض وسقط من حساب العلماء في تعليل انتقال الضوء .

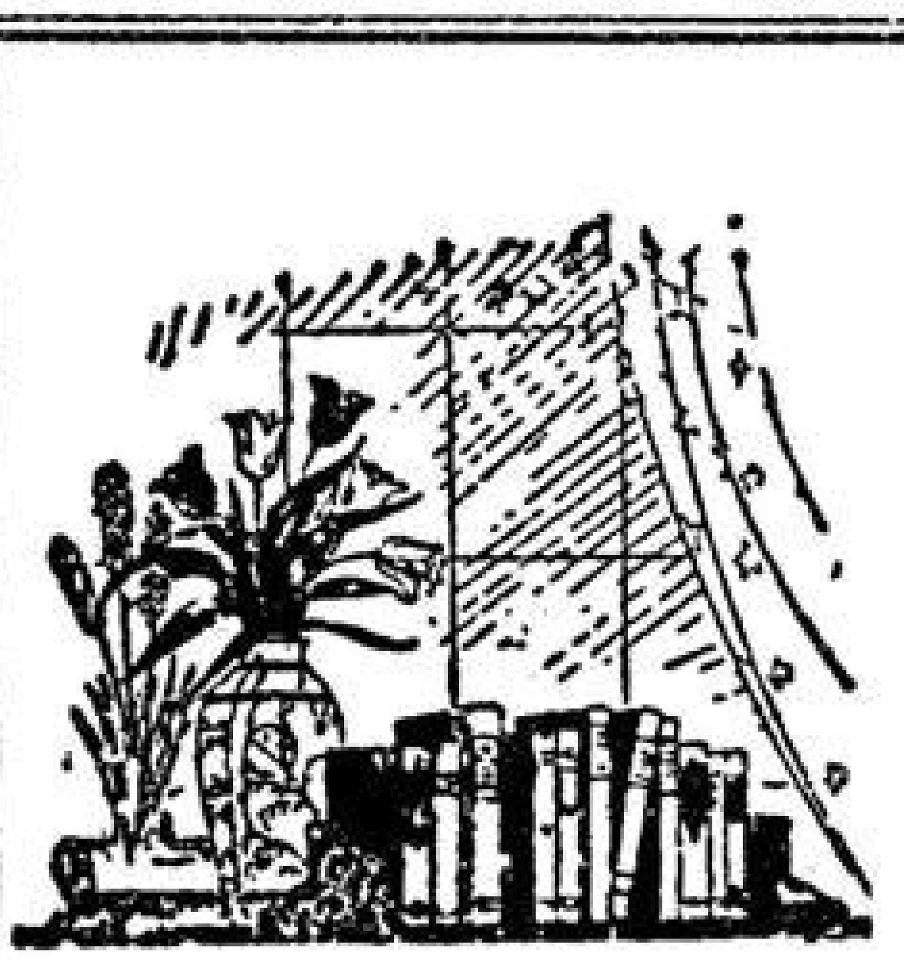
ان المفاهيم الافتراضية والنظريات والانظمة العلمية المؤلفة منها تمتحن على اساس صلاحيتها Adequacy التعليلية العلمية وليس على اساس الخطأ والصواب . فأي مجموعة من المعلومات عن « العالم » وعن الاحداث والظواهر الطبيعية يقوم تعليلها دائما على مجموعة من المفاهيم الافتراضية المعتبرة اكثر صلاحية من غيرها في تعليل هذه المعلومات التي لدينا . ومن جراء تقدم البحث العلمي نجد ان كثيرا من المفاهيم الافتراضية والنظريات العلمية التي كانت تعتبر صالحة في عصر ما قد فقدت هذه الصلاحية للتعليل العلمي في عصر اخر واستعيض عنها بمفاهيم ونظريات اصلح واحدث لذلك نرى ان ــ الزمن ــ المكان ــ الحركة ــ كانت اصلح المفاهيم الافتراضية للتعليل العلمي في عصر نيوتن ولكن هذه المفاهيم قد فقدت صلاحيتها التعليلية في عصرنا واستعيض عنها بمفاهيم افتراضية اخرى اصلح واحدث مثل انموذج بوهر للذرة The Bohr Model of the atom ولنعد هنا لمثالنا عن مفهوم الاثير فالنظرية القائمة عليه ليست خطأ او صوابا وانما كانت في يوم ما ذات صلاحية لعلم الفيزياء وحينما تقدم ذلك العلم ادخل مفاهيم افتراضية جديدة ادت الى اهمال مفهوم الاثير لانعدام فائدته التعليلية العلمية .

نرى مما تقدم ان العالم يأخذ ما لديه من المعلومات

---

٢ ــ راجع كتاب هال في هذا الموضوع

C. L. Hull, Principles of behavior



لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

والوقائع المحسوسة ويحاول ان يوجد مجموعة من المفاهيم الافتراضية لتفيده في ايجاد تعليل علمي لهذه المعلومات والوقائع والمفاهيم الافتراضية في هذه الحالة تنشأ بوحي من المشاهدة والخبرة الحسية ومن ثم تقرر صلاحيتها او عدمها . وفي معرض الحديث يجب ان نذكر انه في بعض الاحيان تقود المفاهيم الافتراضية الى اكتشاف بعض الوقائع والحقائق الكامنة في العالم الخارجي ومثالنا على ذلك العالم الطبيعي لورنتز Lorentz وهو اول من اعطى للمفهوم الافتراضي « اليكترون » تحديدا ومعنى في نظريته الاليكترومغناطيسية العامة وبعد بضعة سنين تمكن العلامة البريطاني ج.ج. طومسون من ان يثبت تجريبيا وجود كائن له الصفات التي اعطاها لورنتز لمفهومه الافتراضي « الاليكترون » هذه الحادثة تظهر لنا كيف تكتسب بعض المفاهيم معنى افتراضيا قبل اكتسابها معنى ودلالة حسية

لقد استعملنا في سياق حديثنا عبارة « الصلاحية » لنعبر عن بعض الخواص المتطلبة في المفاهيم الافتراضية والمسلمات البديهية حتى يختارها العالم ويدخلها في نظامه لتعليل المعلومات التجريبية الحسية والظواهر الطبيعية التي يدرسها . والان يجب ان نقدم الاسس التي تقوم عليها هذه الصلاحية ـ (١) البساطة : وهذا يعني انه من عدد (س) من مجموعات المفاهيم الافتراضية التي يمكن ان تؤلف تعليلا علميا لما نريد ان نعلله يأخذ الباحث بالمجموعة الابسط والمجموعة الابسط من هذه المفاهيم هي التي تحتوي على اقل عدد ممكن من الافتراضات الاولية والمسلمات البديهية وبالوقت نفسه تعلل اكبر عدد ممكن من الوقائع والمعلومات التي نريد تعليلها . (٢) التنبؤ باحداث المستقبل : تلك المجموعة من المفاهيم الافتراضية التي تمكننا من التنبؤ باحداث المستقبل على الوجه الاحسن والاكمل تعتبر هي الاصلح وهذا الاساس يشترط ضمنيا ان تظهر المجموعة الاصلح من المفاهيم العلاقة السببية بين الاحداث التي نريد تعليلها والتنبؤ بحدوثها ـ (٣) الاستنتاجات القابلة للتحقيق : تلك المجموعة من المفاهيم التي تقود الى نتائج استنتاجية قابلة للتحقيق حسيا وتجريبيا تعتبر الاصلح. كل هذا يرينا ان المفاهيم الافتراضية ليست بمعزل عن المفاهيم الحسية التي نوقن بها بالمشاهدة والخبرة بل مرتبطة بها ارتباطا وثيقا فهي تنشأ بوحي منها وتثبت اذا قادت الى نتائج يمكن التحقق منها حسيا .

والان سنقدم مثالا على ما قلناه وشرحناه . لنفترض وجود علبة مغلقة لا يمكن فتحها او النفوذ الى داخلها لمعرفة محتوياتها بأي وسيلة . ولنفترض ايضا ان ثلاثة سواعد تبرز من العلبة وهناك جماعة من العلماء يريدون دراسة ماهية هذه العلبة وطبيعة الحركات التي تقوم بها السواعد الثلاثة ولكي تكون دراسة العلبة علمية نبدأ بالمشاهدة والملاحظة وذلك بان نضع وصفا دقيقا للعلبة ولتحركات السواعد ومن ثم نجري التجارب على العلبة المذكورة فمثلا يمكننا ان نسجل انه اذا سقط على هذه العلبة ثقل وزنه كذا كان رد الفعل في حركات السواعد كذا او لو اجرينا تيارا كهربائيا في العلبة ثقل وزنه كذا كان رد الفعل في حركات السواعد بشكل معين وهلم جرا .

ففي تسجيل ملاحظاتنا وتجاربنا هذه نحن نتبع الطريقة العلمية الصحيحة ولكن اذا خرجنا الى العالم بقائمة طويلة مؤلفة من المشاهدات والملاحظات والمعلومات عن هذه العلبة وحركات سواعدها هل نكون قد انشأنا علما خاصا بهذه العلبة ؟ او بكلام اخر هل مجموعة المشاهدات والملاحظات عن هذه العلبة وسواعدها تؤلف علما؟ الجواب حتما لا مع انه يوجد طائفة من دعاة مذهب الوضعية المنطقية الذين يشددون على المفاهيم الحسية والوصف والمشاهدة ولا يقيمون وزنا للمفاهيم الافتراضية الغير محسوسة ويعتقدون ان تلك المجموعة من المعلومات والاوصاف هي العلم بذاته (٤)

ولكن العالم لا يكتفي بما دونه من ملاحظات ومشاهدات عن العلبة وسواعدها انما يضع نظرية تتكلم عن كائنات واحداث افتراضية غير محسوسة يفترض وجودها داخل العلبة لتعلل ما هو ظاهر من سلوك وحركات السواعد . قد يفترض احدهم وجود « روح » في العلبة ويعتبرها مسؤولة عن تحركات السواعد ، وقد يفترض اخر نظاما من العجلات تدور في الداخل وبذلك تسبب حركات السواعد التي نريد تعليلها ، وقد يفترض ثالث نظاما من الروافع داخل العلبة وبه يعلل تحركات السواعد . ولكن لانعدام وسيلة معلومة لفتح العلبة ومعرفة اي هذه الافتراضات هو في الحقيقة مسبب الحركات المذكورة ، لذلك نأخذ بالنظرية الاكثر صلاحية في تعليل حركات السواعد التي نشاهدها .

فلو افترضنا ان بداخل العلبة نظاما من العجلات وبذلك اصبح بامكاننا ان نتنبأ بحركات السواعد في المستقبل واذا قادنا افتراضنا هذا الى استنتاجات منطقية يمكن التحقق منها حسيا فاذن نقول ان نظرية العجلات هي اكثر صلاحية في الوقت الحاضر من اجل تعليل حركات السواعد اما النظرية القائلة بوجود روح في الداخل فهي مرفوضة لانها لا تمكننا من التنبؤ بتحركات السواعد ولا تقودنا الى استنتاجات يمكن التحقق منها حسيا وتجريبيا .

ونرى في تاريخ الفلسفة والعلم ان الفلاسفة والعلماء على مر العصور قد اقترحوا مفاهيم افتراضية مثل ـ الروح ـ العقل ـ الغريزة ـ وما اليه لتعليل سلوك الانسان . كل هذه المفاهيم افتراضية غير محسوسة ولكن بعضها افضل من الاخر في التعليل العلمي اي اكثر صلاحية فمثلا مفهوم الغريزة اصلح وافضل من مفهوم الروح في التعليل العلمي فاننا نراه يدخل في النظريات السيكولوجية الحديثة بينما مفهوم الروح قد رفض لانعدام فائدته العلمية التعليلية وهذا لا يعني ان مفهوم الروح خطأ ومفهوم الغريزة صحيح فكل ما هنالك ان مفهوم الغريزة ذو قيمة تعليلية منعدمة في مفهوم الروح .

فالعلم ليس مجرد وصف لمشاهداتنا وملاحظاتنا وتنسيق لمفاهيمنا الحسية بل يعتمد ايضا على عنصر « الكائنات الغير محسوسة » والمفاهيم الافتراضية التي تعطي الانظمة العلمية قيمتها التعليلية وقدرتها على التنبؤ باحداث المستقبل

امريكا ـ جامعة يال **صادق العظم**

---

٣ ـ ص ١٧٧ Moove, C.A. Philosophy—East and West, Princeton University Press

٤ ـ المرجع السابق نفسه : ص ٢١١

٥ ـ نرى اليوم ان اكثر علماء النفس قد استغنوا عن مفهوم الغريزة واستعاضوا عنه بمفاهيم جديدة لصلاحيتها التعليلية .

موتي قبل غروب الشمس

٥

« قابلني بعد غروب الشمس »
وأنا حلفت الشمس بكل حبيب
ان تمضي وتغيب ..
وأنا عين في الشرق وعين في الغرب
وأنا كنت أهدىء دقات القلب
وتخيلت بأني قرص من شمس دار
ترك الافلاك وسار بأي مدار
وتخيلت بأني الشمس تموت
خلف جبال الغرب
ثم اعود لاحيا فارس
آت من ضفات القلب الى القلب
لالاقي من قالت ذات صباح :
« قابلني بعد غروب الشمس »
وبنيت سلالم فرحتي الحبلى
وجعلت السلم من بلور
موّجت لديه حبيبات النور
وتقدمته عليه كأني فارس
وأنا أخلع قبعة الحزن السوداء
فانا أصعد فوق رجاء
وبعيدا كان يلوح ضياء
وأنا ألمحها في الضوء المنساب :
بيد في قفل الباب
تفتحه .. ويد ممدودة
لحبيب آب ..
وعلى سلم فرحتي الحبلى
اني المح خطوة دم !..
وأنا أسأل :
جاءت من أين ؟
وترى من شربها هذا اللون ؟
وأنا قلبي اغتم
لكني أصعد ،
والقلب بقلبي يتنهد
ووصلت اليها
لكني لم ألمح يدها في قلب الباب :
لم ألمح يدها ممدودة ،
بل اني المح جثة حب ممدودة
وعيون مطفأة الاعين
قد مات لديها اللون
وشفاه ضاعت منها الاعشاب
وعلى سلم فرحتي الاولى
كان غرامي مقتولا
وأنا المح خطوة دم
أتراها في دورة شمس لم تكمل بعد
نسيت قولتها للقلب المجروح :
« قابلني بعد غروب الشمس »

القاهرة — مجاهد عبد المنعم مجاهد

تمثيلية لساشا جتري

فيلا للبيع

ترجمة كاظم الجوادي

يمثل المنظر قاعة في فيلا صغيرة قرب « نوجن سور مارن »

ترفع الستارة ، وتظهر الخادمة وجولييت

الخادمة : الن تأسفي يا سيدتي ؟

جولييت : ابدا . واعلمي ان لو كان احد قد اشتراها في نفس اليوم الذي عرضتها فيه للبيع لشعرت بالاسف لانني كنت افكر في نفسي « الم اكن مجنونة فابيعها ؟ » ولكن الان ، وقد مضى اكثر من شهر منذ ان علقنا اللوحة على بابها ، اصبحت اظن انني كنت مجنونة حقا يوم اشتريتها .

الخادمة : لا فرق بين الحالين يا سيدتي ، فحين اتوك بلوحة « للبيع » لم تسمحي لهم بتعليقها بل انتظرت حتى كان الليل فذهبت وعلقتها بنفسك .

جولييت : اعرف ! ولكن فكرت انه لما كان الناس لن يستطيعوا قراءتها في الظلام فسيبقى البيت لي ليلة اكثر . لقد كنت واثقة ان العالم كله سيتنافس على الشراء في اليوم التالي . ما اشد ما كنت اتألم خلال الاسبوع الاول كلما مررت بتلك اللوحة (فيلا للبيع) . لقد تخيلت الجيران ينظرون الي نظرات غريبة ، حتى بدات افكر ان الامر كان يوشك ان يكون خيانة اكثر منه بيعا . كان ذلك قبل شهر ؛ اما الان فليس لي الا فكرة واحدة هي ان اتخلص من هذه الفيلا المثيرة للمتاعب . سأضحي بها بأي ثمن — سأبيعها بمائة الف فرنك اذا وجدت ذلك ضروريا ، وهو ضعف ما كلفتني فقط . لقد كنت افكر انني ساحصل على مائتي الف ، ولكن اعتقد انني لا بد لي ان اوقف خسائري عند هذا الحد . ثم ان اربعة اشخاص كانوا على وشك ان يشتروها خلال الاسبوعين الماضيين لذا فاني بدات اشعر كأنها ليست الان ملكا لي .

اه ! لقد مللت هذا المكان لانني لا ارى احدا يرغب فيه حقا — في اية ساعة قال الوكيل ستأتي السيدة ؟

الخادمة : بين الرابعة والخامسة يا سيدتي .

جولييت — اذن يجب ان ننتظرها .

الخادمة : لقد كان مكانا لطيفا يا سيدتي تقضين فيه ايام نهاية الاسبوع .

جولييت : نعم ، ولكن الوقت عصيب والاشغال كأسوأ ما تكون .

الخادمة — اذن ، فهل من الخير ان تبيعي في مثل هذا الوقت يا سيدتي ؟

جولييت : لا ، لا اظن ... ومع ذلك ففي الحياة لحظات هي اصلح وقت للشراء ، ولكنها ليست وقتا مناسبا للبيع ابدا . لقد كان الناس جميعا خلال خمسة عشر عاما يملكون المال الوفير ، ولكن لم يقدم احد على البيع . اما الان فما من احد يملك المال وما من احد يقدم على الشراء . مع ذلك ... وحتى في هذه الظروف ... فانه من المضحك الا استطيع بيع مكان هنا ، على مرمى حجر من جوانقي ، هوليوود فرنسا ، حينما لا اطلب ثمنا له غير مبلغ زهيد — مائة الف !

الخادمة — هذا يذكرني يا سيدتي بفضل ارجو ان تتكرمي علي به .

جولييت : ما هو يا ابنتي ؟

الخادمة : اتأذنين لي بمغادرة البيت غدا من الساعة التاسعة حتى الظهر ؟

جولييت : من التاسعة حتى الظهر ؟

الخادمة : لقد طلب مني التمثيل في فلم في ستوديو جوانقي .

جولييت — ستمثلين للسينما ؟

الخادمة : نعم يا سيدتي .

جولييت : وما الدور الذي ستقومين به ؟

الخادمة : خادمة ، يا سيدتي . انهم يفضلون الممثل الحقيقي . انهم يرون ان الخادمات لا يجعلهن العمل خادمات وانما يولدن خادمات ؛ وهم الان يعرضون علي مائة فرنك عن كل صباح للقيام بذلك .

جولييت : مائة فرنك !

الخادمة : نعم يا سيدتي . وبما انك لا تدفعين لي اكثر من اربعمائة شهريا ، فليس في استطاعتي ان ارفض العرض بسهولة . الا ترين ذلك يا سيدتي ؟

جولييت : مائة فرنك ! لا اكاد اصدق .

الخادمة : اتسمحين لي يا سيدتي ان اخبرك بامر خطر لي الان ؟

جولييت : ما هو ؟

الخادمة : انهم يحتاجون في الفلم الى طباخة ايضا ؛ وقد سألوني ان كنت اعرف احدا يليق بهذا الدور ولقد قلت الان يا سيدتي ان الوقت عصيب ... فهل ترغبين ان احجز لك الدور ؟

جولييت : ماذا ؟

الخادمة : ما من قليل الا ويساعد بعض الشيء يا سيدتي . خصوصا ان لك هذا الوجه المضحك يا سيدتي .

جولييت : اشكرك

الخادمة : (دون مبالاة) ربما استخدموك ثمانية ايام يا سيدتي

وذلك يعني ثمانمائة فرنك . حقا انها دراهم لقاء لا شيء ، فانك لن تتكلفي اكثر من تقشير البطاطا في دقيقة وفي الاخرى تقلين البيض في المقلاة . انه لامر في غاية السهولة ، واستطيع ان اريك كيف تقومين به يا سيدتي .

جولييت : انه لطف منك جميل ... احمد الله انني لم اصبح في ضنك الى هذا الحد بعد !

الخادمة : ارجو الا تكوني قد تاثرت مني يا سيدتي .

جولييت : لا ابدا .

الخادمة : انك ترين الناس من حولنا، يا سيدتي ، يفتشون عن العمل في الافلام وكلهم يريد القيام به. امس لم يفتح القصاب حانوته فقد كان مرميا بالرصاص طوال الصباح واليوم لم يستطع احد ان يجد الشرطة الاربعة ، لقد كانوا يعملون في منظر القتال في الفلم الجديد الذي ينتجه مسيو ملتن . لا احد من حولنا يفكر في شيء اخر الان ، انهم يدفعون اجرا ممتازا كما ترين . لقد دفع المدير الف فرنك لمتسول حقيقي لم يذق شيئا يومين كاملين . ان بعض الناس يواتيهم الحظ ! فكري في هذا الامر يا سيدتي .

جولييت : شكرا ، سأفعل .

الخادمة : ان كنت ياسيدتي ستذهبين لمقابلتهم مرسلة شعرك مصقولا الى الوراء كما اعتدت ان تفعلي حين تمشطين ، فانا واثقة انهم سيستخدمونك دون تردد ، لانك يا سيدتي تبدين مضحكة الى ابعد حد .

جولييت : اشكرك ! (يرن الجرس) انا صاعدة الى فوق لحظة واحدة ، فان كانت السيدة فخبريها انني لن اتأخر طويلا ، اذ ليس من الخير ان ابين لها انني انتظرها .

الخادمة : حسنا يا سيدتي . (تخرج جولييت . اما الخادمة ففي اثناء خروجها لفتح الباب تقول) : اه لو استطيع ان اصبح جريتاجربو اخرى ! لم لا استطيع ؟ اه !

[اصوات تسمع من الخارج . بعد ثانية تعود الخادمة ومعها جاستون وجين]

الخادمة : لو تتفضلان بالجلوس ، سأخبر سيدتي بقدومكما .

جين : شكرا .

[تخرج الخادمة]

جاستون : ويسمون تلك حديقة ! انها مجرد ساحة وسطها رقعة من حشائش .

جين : ولكن داخل المنزل يبدو جميلا، يا جاستون .

جاستون : خمس وعشرون باردة من القماش الكتان وخط من الصبغ.. يمكنك ان تجدي ذلك في اي مكان .

جين : ليس هذا انصافا . انتظر حتى ترى بقية البيت .

جاستون : وما حاجتي الى ذلك ؟ انا لا اريد ان ارى المطبخ كي افهم ان الحديقة من حدائق الاساطير وان القاعة مستحيل ان يكون لها مثيل .

جين : وما عيبها ؟

جاستون : عيبها ؟ ! انك لا تستطيعين ان تسميها مجرد قاعة .

جين ـ ربما هناك واحدة اخرى .

جاستون : لا تذكري الاخرى . انني اتكلم عن هذه .

جين : نستطيع ان نقوم بعمل جذري لها .

جاستون : نعم ، تجعلينها ملحق الحديقة

جين : لا ، ولكن شيئا يشبه غرفة درس .

جاستون : غرفة درس ؟ بالله ؟ انت قادمة هنا لتدرسي ؟

جين : لا تكن سخيفا ! انت تعرف جيدا ما هي غرفة الدرس الحديثة

جاستون : لا ، لا اعرف .

جين : لا بأس ... أ ... هو المكان الذي فيه يجمع المرء...

جاستون : فيه يجمع المرء ماذا ؟

جين : لا تكن مزعجا ، ارجوك ! ان كنت لا تريد هذا المنزل قل ذلك الان حتى لا نتكلم في موضوعه اكثر من هذا .

جاستون : قلت لك قبل ان نعبر الطريق انني لا اريده . ولكنك لا ترين لوحة « فيلا للبيع » الا وتدخلين فيها وتطلعين على مرافقها انها لمجرد رغبة في نفسك .

جين : ماذا تعني بالرغبة ؟

جاستون : انتن النساء شديدات التطلع ... لا تستطعن الصمود امام الرغبة العميقة في اقحام انوفكن في حمام امراة اخرى .. لا سيما ان لم تكن تعرفنها . الحقيقة انك تسعين الى الابد لمعرفة دهان بارد احسن من ذاك الذي تستعملينه انت .

جين : اه ! اه ! قل لي هل نحن نفتش عن فيلا ، ام لا ؟

جاستون : لا .

جين : ماذا تعني بقولك « لا » ؟ اتعني اننا لا نفتش عن فيلا ؟

جاستون : بكل تأكيد . انها مجرد فكرة وضعتها في ذهنك في الشهر الماضي .

جين : ولكننا لم نكن نتكلم عن اي شيء اخر...

جاستون : تقصدين انك لم تكوني تتكلمين عن اي شيء اخر . اما انا فلم اكن اتكلم عنها ابدا . انظري ، لقد اكثرت الكلام عنها الى درجة انك تصورت اننا كنا نتكلم ... انك لم تلاحظي مجرد كوني لم اشاركك في حديثك . اما ان تقولي انك تفتشين عن فيلا ، فذلك امر اخر .

جين : حسنا ... على كل حال... اذا كنت انا افتش عنها او كنا كلانا نفتش عنها فالمهم هو اني افتش عنها لنا .

جاستون : انها ليست لنا ... انها لابويك . انت انما تحاولين ان تجعليني اشتري فيلا لتضعي اباك وامك فيها . الا ترين انني اعرفك؟ واذا حصلت على ما تريدين ، هل تتصورين ما سيحدث ؟ سنقضي شهر اب في الفيلا ، ولكن والديك سيمتلكانها كل سنة من بداية نيسان حتى نهاية ايلول . واكثر من ذلك انهم سيجلبون عشيرة اولاد اختك كلها معهم . لا ! انا احب عائلتك كثيرا ، ولكني لست محبا بهذه الصورة .

جين : اذن فلماذا كنت تتأمل الفيلات طوال الاسبوع الماضي ؟

جاستون : انا لم اكن اتأملها ، انما انت التي كنت تتأملينها ، وهذا يضجرني .

جين : حسنا .

جاستون : حسنا ماذا ؟

جين : كف عن ضجرك اذن واشتر واحدة ـ فذاك سينهي الامر ،

ولن نتكلم عنها اكثر من هذا ابدا.
جاستون : تماما كما تقولين .
جين : لو فرضنا ان الامر كذلك ، فماذا فيه ؟ فرضا اردت شراء فيلا لابي وامي ــ ماذا في ذلك ؟
جاستون : عزيزتي انا اوافق كل الموافقة على ان تشتري فيلا لابيك وامك ولكن ارجوك ان تفهمي من جانبك انني لا اريد ان ادفع ثمنها .
جين : هناك مهري .
جاستون : مهرك ! يا طفلتي المسكينة لقد صرفناه منذ زمن بعيد .
جين : ولكنك منذ ذلك الوقت اصبحت لك ثروة .
جاستون : هذا صحيح جدا ــ اصبحت لي ، ولكن لم تصبح لك. على كل ، لا فائدة من بحث هذا، فسوف لن اشتري فيلا وهذه هي الخاتمة .
جين : اذن فقد كان عبثا دخولنا .
جاستون : ذاك ما اخبرتك به عند الباب بالضبط .
جين : اذا كان الامر هكذا فدعنا نغادر .
جاستون : لا بد من ذلك .
جين : ماذا ستقول عنا السيدة ؟
جاستون : انا لم ابال قط بما يقول الناس . انهضي .

[ياخذ قبعته ويتجه الى الباب . في هذه اللحظة تدخل جولييت]

جولييت : مساء الخير يا سيدتي ، مساء الخير يا سيدي ...
جين : اهلا بك يا سيدتي .
جاستون : اسعد الله مساءك .
جولييت : تفضلوا اجلسوا ! [يجلس الثلاثة] كيف رأيتم البيت للنظرة الاولى ؟
جين : ممتازا .
جولييت: لن يدهشني ذلك ابدا، فهو ابهج مكان صغير. ان مظهره بسيط ولكن لها سحرها الخاص. وانني استطيع ان اقول بمجرد النظر اليكم انها ستلائمكم ، مع الاعجاب ، كما ستلائمونها ــ ان سمحتم بقولي هذا . ولربما يدهشكم ان اقول انا انكم تبدون الان كانكم في بيتكم ان اختيار الاطار ليس سهلا حين يكون لديكم مثل هذا المنظر لوضعه فيه [تشير بذلك بصورة طبيعية الى جين التي انخدعت بكلامها]
للبيت مزايا كثيرة ــ كهرباء وغاز وماء وتليفون ومجاري تصريف المياه ، والحمام منظم بصورة جميلة والسطح قد رممناه كله في العام الماضي .
جين : آ ! هذا امر مهم ، اليس كذلك يا عزيزي ؟
جاستون : لمن ؟
جولييت : الحديقة ليست كبيرة جدا ... انها ليست طويلة وليست عريضة ، انما ...
جاستون : انما مرتفعة .
جولييت : ليس هذا ما عنيته بالضبط. ان زوجك ظريف جدا يا سيدتي . كما قلت لكما ان الحديقة ليست كبيرة جدا ولكنها كما تريان محاطة بحدائق اخرى ...
جاستون : على نظرية انه من يحب الاطفال وقد حرم نعمتهم يستطيع متى شاء ان يسكن قرب احدى المدارس .
جين : ارجوك لا تمزح يا جاستون. ان قول هذه السيدة صحيح تماما هل بالامكان ان تخبريني ياسيدتي كم تطلبين ثمنا لهذه الفيلا ؟
جولييت : في الحقيقة يا سيدتي لا بد ان اعترف لك بصراحة تامة انني لم اعد راغبة في بيعها .
جاستون : (وهو ينهض) اذن فليس هناك شيء اكثر نقوله في شأنها.
جولييت : ارجوك ، كنت...
جين : دعها تنهي كلامها يا عزيزي .
جولييت : اشكرك . كنت اريد ان اقول لا مانع لدي من بيعها لاناس ممتازين امثالكم . فالمرء ينظم البيت حسب ذوقه ــ ان كنتم تلاحظون ما اعني ــ ليلائمه . لذا فان المرء لا يريد ان يفكر بان اناسا عاديين قد اتوا ليسكنوه . اما بالنسبة لكم فاني استطيع ان اقول بكل تأكيد « اني موافقة » . نعم سأبيعها . لكم حتما .
جين : انه غاية العطف منك يا سيدتي .
جاستون : غاية العطف . نعم ... ا ... ما الثمن يا سيدتي ؟
جولييت : لن تصدقه ...
جاستون : انا اصدق بالله ، ولذا كما ترين ..
جولييت : مؤثث تماما ، مع جميع الاثاث المثبت ايضا ــ كما هو تماما ، باستثناء تلك الصورة الصغيرة الموقعة بتوقيع كورو . لست ادري هل سمعت باسم هذا الرسام من قبل ؟
جاستون : لا، ابدا .
جولييت : ولا انا ، ايضا . ولكن لونها يعجبني واحب الاحتفاظ بها ان لم يكن لديكم مانع. ثمن الفيلا كما هي الان مائتان وخمسون الف فرنك . واكرر اني افضل بيعها باقل من قيمتها لامثالكم على ان ابيعها باغلى من ذلك لمن لا ارغب فيه . والسعر لا بد ان يكون قد بدا لكما ...
جاستون : مرتفعا للغاية .
جولييت : آ ... لا !
جاستون : نعم يا سيدتي .
جولييت : حسنا ... يجب ان اقول انني حقا ...
جاستون : ان الحياة مليئة بالعجائب، اليس كذلك ؟
جولييت : انت تعتبر المائتين وخمسين الف فرنك ثمنا باهظا .. حسنا جدا ، انا لا استطيع ان اكون متساهلة اكثر من هذا الطلب ــ فاعرض انت ما تشاء .
جاستون : ان فعلت فسيكون المبلغ

اقل من ذلك بكثير .
جولييت : قل ، على اية حال .
جاستون : انه لامر محرج ... لست ...
جين : يا عزيزي ، سم رقما ايا كان ...لتسرني لا لشيء اخر .
جاستون : ا... لست ادري ... حسنا ستون الفا
جين :
جولييت : } اوو ووه
جاستون : ماذا تعنون بـ « اوه » ؟ انها لا تساوي في نظري اكثر من ذلك .
جولييت : ساقول لك كلمة الشرف يا سيدي ، لن استطيع ان ابيعها باقل من مائتي الف .
جاستون : لك الحق يا سيدتي ان تفعلي ما تشائين .
جولييت : ساقول لك ما سأفعل سأكون منصفة فابيعها لك بمائتي الف .
جاستون : وساكون انا الاخر منصفا وادعك تحتفظين بها بنفس السعر
جولييت : اذا كان الامر هكذا فلم يبق اذن شيء نتكلم به عنها يا سيدي .
جاستون : مع السلامة يا سيدتي .
جين : دقيقة واحدة يا عزيزي . قبل ان تصر تماما احب ان تصعد معي الى فوق .
جولييت : ساريكم الطابق الاعلى بكل سرور . من هنا يا سيدتي ، من هنا يا سيدي ...
جاستون : لا ، اشكرك ... حقا .. لقد فكرت جيدا فيما قلت ، ولست مولعا بتسلق السلالم .
جولييت : كما تشاء يا سيدي .
[الى جين] هل ادلك على الطريق ؟
جين : ان سمحت يا سيدتي .

[تخرج جولييت]

جين : [لزوجها] الا ترى انك كنت فظا في كلامك ؟
جاستون : اه يا عزيزتي لا تزعجيني بالله عليك اكثر من هذا من اجل كوخ . اذهبي افحصي الحمام وعودي بسرعة .

[تخرج جين لتلحق بجولييت]

جاستون : [لنفسه] مائتا الف ثمن بضع ياردات من الارض .. لا بد انها تظنني مجنونا ...

[يرن جرس الباب وبعد لحظة تدخل الخادمة ومعها السيدة ال سمث]

الخادمة : تفضلي يا سيدتي .
السيدة آل سمث : لنتكلم في الموضوع الان ، انني على عجل . كم يطلبون ثمنا لهذا المنزل ؟
الخادمة : لا اعلم شيئا عن ذلك يا سيدتي .
السيدة آل سمث : لم لم تكتبوا السعر على لوحة الاعلان منذ البداية ؟ انتم الفرنسيين لكم طريقة ماهرة تتبعونها في اعمالكم ، اذهبي انت فخبري سيدك انه ان لم يأت بسرعة فاني ذاهبة ، اذ ليس لدي وقت امضيه سدى ، والتأخيرات تثير السأم في كلما اقتضت الحاجة [تخرج الخادمة] اوه اظن انك الزوج ، مساء الخير ! هل تتكلم الامريكية ؟
جاستون : نعم بكل تاكيد ...
السيدة آل سمث : حسنا ، كم الثمن الذي تطلبون لهذا البيت ؟
جاستون : كم ؟ ... ولكن ... الا تجلسين ؟
السيدة آل سمث : انا اقضي اشغالي واقفة .
جاستون : اوه ! صحيح ؟
السيدة آل سمث : نعم ! اين زوجتك ؟
جاستون : زوجتي ؟ ا... انها في الطابق الاعلى .
السيدة آل سمث : لا بأس ... في استطاعتها ان تبقى هناك الا اذا كنت مضطرا الى مشاورتها قبل ان تبيع .
جاستون : انا ؟ لا وحياتك .
السيدة آل سمث : انك شاذ يا سيدي ، فالفرنسيون عادة يشاورون عشرة اشخاص قبل ان يخطوا خطوة واحدة . اسمع ! هل تريد ان تبيع هذا البيت ام لا .
جاستون : انا ... اوه ... انني احب ذلك !
السيدة آل سمث : اذن تكلم في امره فليس لدي وقت اكثر من خمس دقائق .
جاستون : على كل اجلسي ثلاثا منها . قبل كل شيء هذه الفيلا كان جدي قد بناها ...
السيدة آل سمث : ان جدك لا يهمني شيئا ابدا .
جاستون : كذلك انا ... ولكن يجب ان اقول لك انني ... ا...
السيدة آل سمث : اسمع ! قل لي السعر فقط
جاستون : اسمحي لي اوضح لك ان.
السيدة آل سمث : لا
جاستون : في البيت كهرباء وغاز وتليفون ..
السيدة آل سمث : ذلك لا يهمني ! ما الثمن ؟
جاستون : ولكن يجب ان تري المنزل ...
السيدة آل سمث : لا ! ... انا اريد ان اهدمه وابني مكانه بيتا بسيطا من طابق واحد .
جاستون : هكذا !
السيدة آل سمث : نعم ! انا انما اريد الارض ، اذ يجب ان اكون قريبة من باراموت حيث سأمثل بعض الافلام .
جاستون : ها !
السيدة آل سمث : نعم ، فانا نجمة كبيرة .
جاستون : صحيح ؟
السيدة آل سمث : نعم . والان كم الثمن ؟
جاستون : انتظري لارى ... البيت مؤثثا بكامله باستثناء تلك الصورة الصغيرة لفنان مجهول .. انها تعود لجدي واود الاحتفاظ بها ...
السيدة آل سمث : ماذا تقول ؟ هل تحبون انتم الاوربيين اجدادكم ؟
جاستون : لقد عاشوا هنا وقتا طويلا فكيف ننساهم ؟
السيدة آل سمث : انكم شعب غريب الطباع ، تفكرون في الماضي دائما اما نحن فنفكر في المستقبل دائما
جاستون : كل يفكر فيما يملك .
السيدة آل سمث : يؤسفني الا تحاولوا ان تتشبهوا بنا اكثر من هذا .
جاستون : الاشباه ليست دائما حسنة نحن نستطيع ان نقلدكم فقط ، والتقليد ما هو الا جد في قالب هزل . نحن نختلف عنكم اختلافا كبيرا . تأملي ما اقول ... الاوربيون يذهبون الى امريكا ليكسبوا المال ، والامريكيون يأتون اوروبا لينفقوه .
السيدة آل سمث : ليس في الامر اختلاف بين الحالين . انك تحتاج

الى دراسة في اصول العمل .

جاستون : نحن ندرس الان ، نحن نتمرن ...

السيدة آل سمث : حسن اذن . بكم ؟

جاستون : البيت : اسمحي لي لارى ... بثلثمائة الف فرنك .. وهو نفس السعر لكل شخص — ولو انك امريكية الا اني لم يراودني مجرد خيال بزيادة السعر .

السيدة آل سمث : تعاملني كأي شخص ، وتقول ثلثمائة الف ؟

جاستون : [لنفسه] سأحبك حبا جما لاني اشتريتك بالمال الجم .

السيدة آل سمث : ماذا قلت ؟ ماذا تظنني ؟

جاستون : اسف ، ذلك شكسبير اقصد المبلغ ...

السيدة آل سمث : سأدفع لك الان — قل قد وافقت [تخرج دفتر صكوكها من حقيبتها] .

جاستون : [يفتش في مجر] انتظري ... لست ادري اين وضعوا قلمي ومحبرتي ...

السيدة آل سمث : اسمح لي اقل لك شيئا — من الخير ان تشتري لك قلم حبر من المبلغ الذي سأدفعه لك ثمنا للفيلا . ما تاريخ اليوم ؟

جاستون : الرابع والعشرون .

السيدة آل سمث : بامكانك ان تكتب اسمك في الصك بنفسك . انا اسكن في فندق رتز في ساحة فوندوم ، ومحامي ...

جاستون : من ... ؟

السيدة آل سمث : بالضبط .

جاستون : ماذا ؟

السيدة آل سمث : محامي هو السيد مان ، ٥ شارع كامبو ، وهو سيتصل بك فيما يخص بقية الامور . في امان الله .

جاستون : في امان الله .

السيدة آل سمث : متى ستترك المنزل ؟

جاستون : أ... لا ادري بالضبط .. متى تشائين .

السيدة آل سمث : ليكن ذلك غدا وسيأتي مهندسي يوم الخميس . مع السلامة . انني مسرورة جدا

جاستون : وانا مسرور ان اسمع ذلك يا سيدتي . [تخرج السيدة آل سمث اما هو فينظر في الصك] انه لامر حسن جدا في الاعمال ان يكون كلا الطرفين مسرورا !

[في هذه اللحظة تعود جين وجولييت]

جاستون : على ما يرام ؟

جين : طبعا ... على ما يرام ... انه ساحر ...

جولييت : طبعا ، كما اخبرتكما ، انه ليس بالمكان الكبير . لقد نبهتكم الى ذلك . ان فيه غرفتي نوم كبيرتين واخرى صغيرة .

جاستون : لا بأس الان فهذا شيء مهم

جين : [لزوجها] لقد اصبت يا عزيزي . لقد كنت اخشى الا يكون ملائما . شكرا لك يا سيدتي ولا حاجة لنا الى اعاقتك اكثر من هذا .

جولييت : اوه صحيح ...

جاستون : لحظة واحدة — لحظة واحدة يا عزيزتي . قلت فيه غرفتا نوم كبيرتان واخرى صغيرة

جولييت : نعم وغرفتا خدم .

جاستون : اوه ، غرفتا خدم بالاضافة الى ذلك ؟

جولييت : نعم

جاستون : هذا رائع

جين : جاستون ! كفى مزاحا !

جاستون : والحمام ؟ كيف الحمام ؟

جولييت : كامل وفيه حوض للغسل .

جاستون : حوض للغسل ؟ صحيح ؟

جولييت : طبعا .

جاستون : تلك امور مهمة . حمام مع حوض للغسل ، غرف نوم اثنتان كبيرتان واخرى صغيرة ، غرفتا خدم . نعم ربما . لقد فكرت طويلا في ابيك وامك ، حينما كنت في الطابق الاعلى — وكما ترين انا لست انانيا — ثم الغرف لاولاد اختك .. وكذلك يا عزيزتي كنت افكر ... بصورة جدية ... في شيخوختنا ... انها اتية عاجلا ام اجلا ، والشيخوخة لا تانس الا لحياة الريف ... [لجولييت] قلت مائتي الف ، اليس كذلك ؟

جين : ما قصدك من هذا ؟

جاستون : مجرد تسليتك يا عزيزتي

جولييت : نعم ، مائتي الف هو اقل ما يمكن — نقدا بالطبع

جاستون : هذا امر مسلم به ، ولا اريد ان اجادل فيه [يخرج دفتر صكوكه]

جين : ولكن هناك عدة امور يجب بحثها قبل ...

جاستون : ابدا ... شيء واحد فقط . كما اني لم اجادلك في السعر ولم اساوم فاني ارجو ان تكوني كريمة معي وتسمحي لي بالاحتفاظ بهذه الصورة الصغيرة التي الفت صحبتها مدة وجودك مع زوجتي في الطابق الاعلى .

جولييت : مسألة الصورة ليست مسألة قيمة ...

جاستون : طبعا لا ... ولكن كتذكار ...

جولييت : حسنا : لك ما شئت .

جاستون : شكرا لك يا سيدتي . هل تسمحين بوصل بالمبلغ من فضلك ؟ وسيتولى وكيلانا بقية تفصيلات البيع الاخرى . تفضلي بكتابة اسمك في الصك ... اسمحي لي ، اليوم هو الثالث والعشرون ، اليس كذلك ؟

جولييت : لا ، الرابع والعشرون .

جاستون : ماذا يهم ؟ يوم اقل او يوم اكثر .

[توقع جولييت الوصل وتدفعه له في حين تتسلم هي الصك منه] .

جولييت : شكرا يا سيدي .

جاستون : هذه بطاقتي ، في امان الله . اود بهذه المناسبة ان اسأل — هل بامكانك ان تتكرمي بمغادرة المنزل صباح غد ؟

جولييت : غد ! بهذه السرعة ؟

جاستون : حسنا ، مساء غد اقصى

جولييت : نعم استطيع ان ادبر هذا . مع السلامة يا سيدتي .

جين : مع السلامة يا سيدتي .

جاستون : ساخذ الصورة الصغيرة معي اذا سمحت ، [يرفع الصورة من مكانها على الحائط] كتذكار جميل لا شيء غير ذلك ...

جولييت : حسنا جدا ، سأريكما الحديقة في طريقنا الى الخارج .

[تخرج جولييت]

جين : ما الذي فعلت ؟ ! اخبرني !

جاستون : انا ؟ لقد حصلت على مائة الف فرنك ولوحة من رسم كورو .

جين : كيف ؟

جاستون : سأخبرك بعد قليل .

بغداد — كاظم الجوادي

الى شاعر

من اجيرة

يا لائمي

خيبت كل مزاعمي

وجعلتني أنحي على نفسي بلوم ظالم

وأرى ضميرا كان في ظني كصبح باسم

فاذا به كالليل مدثرا بثوب قاتم

وكوجه أفق غائم

متشائم

وأثرت كل سخائمي

لما سخرت بعزتي وفضحت كل مكارمي

وزعمت للدنيا بانك قد غزوت محارمي

ولهوت بي وغنمتما تهوى ببعض دراهم

ولقاء عطر فاغم

وولائم

ولقاء خز ناعم

وبأنني كالفأر سرت الى المصير الحاسم

حيث انتقمت من التي كانت بحلم واهم

تلك التي كانت تتوق الى غرام حالم

والى هوى متلاحم

متناغم

والى نعيم دائم

لا مثلما طالعتني بغرورك المتفاقم

وبشهوة وحشية أحرى ببعض بهائم

وبكبرياء شامخ ، مترفع ، متعاظم

وعللت فيض غنائم

ومواسم

وقطفت غض براعمي

حتى اذا قضيت مني كل جوع آثم

عاملتني كأجيرة ونهرتني بشتائم

وجعلتني أقصوصة وفضحت كل محارمي

متفاخرا بمغانم

وجرائم

من غور صدر ناقم

أخجلتنا يا صاحب الحس الرهيف الناعم

أرخصتنا يا شاعر اللفظ الرقيق الحالم

أرواحنا تفديك ليس لاجل بعض دراهم

مقرونة بتعاظم

وشتائم

حلب — ممدوح مولود

دراسات في النقد الادبي

التجربة ومستقبل القصة

بقلم فيليب توينبي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

○ ◯ ○

ان الكلمتين (تجربة) و (تجريبي) طبقتا على القصة بشيء كثير من الحرية والاعتساف والضيق معا . فالكتاب الذي يطبع مقلوبا على غير انتظام ، او يلون بغير انسجام ، لا يزال يعد في بعض اجزاء اوربا ، تجربة مفيدة فيها الكثير من الاقدام والجراة ، حتى اذا كان محتوى هذا الكتاب مبتذلا تافها . والسبب في هذه البلبلة مزدوج ذو حدين . فمن جهة غدت كلمة (تجريبي) متصلة بتلك القصة التي يبدو عليها ميل لممارسة التجربة في اساليبها ، ومن جهة اخرى فان التجارب الاسلوبية اخذت طريقها الى القبول والاستساغة ، بشرط نجاحها في حقل التطبيق . وهذا يقودنا الى الظن بان القصة التجريبية ظاهرة جديدة ، ومن روادها الاوائل جويس وفرجينيا وولف وكافكا . اما براوست الذي نجحت تجاربه ، في عصرنا اكثر من غيره ، فهو لا يعد من كتاب هذه الطائفة .

والواقع ، ربما يصح لنا ان نقول بان نجاح القاص كلما ازداد اتساعا وشمولا — في مدى قبوله ومسايرته لطريق الرواية اللاحب ، اسرع النسيان الى اذهان الناس فلف بسدوله ما قدمه من نتاج اصيل . واذا كان جويس لا يزال طليعة القاصين ، بالنسبة الينا ، فالسبب في ذلك ، يعود الى ان القليل جدا من اساليبه التي استحدثها ، يمكن استغلالها من قبل خلفائه . وطبيعي ان هذا لا يعني اننا نفضل براوست على جويس ، في مجالي القصة ، ولكنه يدل على ان الاول اكثر خصبا من الثاني . فليس من المعقول ان يبز احد القاصين المتاخرين مؤلف (Finnegan's Wake) او ما فعله كاتب (تشريح السوداوية ؛ او قصص رونالد فربانك ، ذلك بان هذه المؤلفات هي فجوات الامان في خطوط سككنا ، ولولاها لتكسرت هذه الخطوط بسبب تصادمها .

الا ان هذا الامر لا يعني تفوق هذه القصص على غيرها ، ان في الاسلوب او الاصالة ، لان تلك الكتب قامت بدورها ايضا بتوسيع شبكة السكك الحديد . واذا ما نحن امعنا النظر في جدة الاسلوب ، وادركنا فحواه نجده يتلاشى حينما يهضم ، ومع ذلك ، يسعنا ان نعثر على انواع اخرى من الطلاوة والجدة ، فهل ذلك يدفعنا ان نبعد القاصين عن مفهوم التجربة ، بالمعنى الدقيق من الكلمة ؟ . والواقع ان هذه الريبة تفضي بنا سريعا الى الحقيقةالبديهية المخيبة للامال ، المتعلقة بهذا السؤال : هل نجح اي من كتاب القصة القدامى العظام في ابداع ما هو جديد كل الجدة ؟ ولا شك في ان مثل هذا السؤال يقودنا الى نتيجة منطقية لا مفر منها ، ولكنني اعتقد بان التسلسل المنطقي المنتهي الى هذه النتيجة ، محفوف بالاخطار من كل جهة ، لانه يقضي على كل تمايز ، لا لشيء الا لانه يهدف الى تفسير كلمة معينة تفسيرا لفظيا مجردا . ومن هنا يجدر بنا القول بان اي كتاب مهما كان تافه النتاج ، لا بد له من جدة ان في تبديل بعض المفردات او في ترتيبها . ولكن الاحساس الفطري الصادق يعيننا على التأمل في الاختلافات الموجودة بين فيلدنغ ورتشاردسن ، او بين جين اوستن ودكنز او بين توماس هاردي وهنري جيمس . والمعروف ان كل فرد من الطائفتين كان قد قدم الى القراء رؤى جديدة مثيرة عن العالم ، على حين ان الطائفة الثانية كانت تدرك تمام الادراك جدة رؤاها ، اما الطائفة الاولى فلم تكن على مثل هذا القدر من الادراك .

ومع ان هذا التمايز غامض مبهم ، يحتاج الى مناقشة ودراسة ، فنحن مجبرون على اللجوء اليه ، لانه غاية مرجوة وغرض مطلوب . اما كافكافقد كتب قصصابسيطة ، بشكل يسير المأخذ ، ومن هنا ، يمكن قراءة كتبه ، حتى من قبل بعض الصبيان الاذكياء او السوداويين ، باعتبارها قصصا تتحدث عن الجن والخرافات . ونحن ، حين نتفق على عد كافكا كاتبا تجريبيا لا نفعل ذلك بسبب جدة اسلوبه وطلاوته ، بل اننا نذهب هذا المذهب ، لانه اكتشف آفاقا جديدة في مجالي (الرواية) . ثم لنلتفت قليلا الى سنت اوكسبري فنراه يكتشف آفاقا طبيعية جديدة ، وليس هذا الامر من الطرافة في شيء لو لم يكن الكاتب قادرا على رفع الغطاء عن مفردات تناسب مادته الجديدة . اما لورنس ، الذي تثبت دوره التقليدي بفضل جهود كيمبردج فهو لم يكتف بذلك بل رفع علم فكرة جديدة ، بعد ان وجد الوسيلة لتحقيق ذلك . ثم يحط بنا المطاف لدى الانسة اليزابيت باون ، فلنتوجه اليها ، انها تلك الكاتبة التي تقدم الينا الذكاء النسوي في شكل وحساسية جديدين . وكان تمييزنا لا بد له ان يحتل مكانه ، بمحاذاة خط تفكيرنا ، فمن الجلي الواضح ، ان باون ليست قاصة تجريبية ، كما هي الحالة مع كافكا بالذات .

واذا كنا الان في معرض اختبار التجارب الماضية

التي مارسها كتاب القصة الاقدمون ، فمن المفيد النافع ، اذن ان نتتبع آثار هذا البحث ، وان نعود به الى ما قبل ثلاثين سنة ، حين بدأ برسبي لوبوك بدراساته ، ومن المحتمل ان ندرس بتفصيل وتدقيق الاساليب التي تتابعت وترادفت وتلاحقت ، كي نتوصل الى اختبار نقدي لكلمة (التجربة) في مختلف صورها ومدلولاتها . ولكن هذا لا يعني اننا قادرون على ان نحسب حساب المستقبل ونتنبأ به بهذه التعابير التي الفتنا والفناها . فكل نبوة عن الاسلوب الذي سأصطنعه . لا يتعدى طريقتي في كتابة القصص. فطبيعة كل تطور جديد في الاسلوب ، لا يمكن التكهن به الا في حالة ظهوره الى حيز الوجود ، وكل مناقشة عن المستقبل بصيغة المتكلم او الغائب ، او بالتحدث عن فيض الشعور ، وقدرة المؤلف على الوجود في كل مكان ، اقول بان اي مناقشة تنحو هذا المنحى ، لا بد لها ان تكون خالية من اي محتوى .

والواقع ان اختبار الاساليب القديمة لا يجدي نفعا ما لم يكن بواسطة مناقشة العناصر المهمة اكبر الاهمية ، وهي تلك العناصر التي تكمن وراء الاساليب . واذا استثنينا فلوبير وجويس من كتاب القصة في الماضي ، فانهم لم يرفعوا شأن الاسلوب ليكون على صعيد واحد مع ما ندعوه رؤيا ، وادراكا ، وقيمة اخلاقية ونظاما وخيالا وحقيقة . نحن نعلم ان الاسلوب لا ينفصل من هذه العناصر التي تلازمه ، ولكنا — كناقدين — لا بد لنا ان نلم بهذا الامر الماما وافيا بالقصد . ذلك بان عملنا يتطلب منا ان نضع هذه الحدود ، حتى لو حاولنا الاتيان عليها بعد ذلك . ومن هنا فان الكاتب الجدي يفضل النوعية على الكيفية .

واذا ، فلماذا يحمل الكتاب الانكليز على كتابة القصص الجدية ، في يومنا هذا ؟ علينا ان نتجنب في محاولتنا هذه الاجوبة الزائفة المستكلبة والعامة المغرية . فنحن لا يجب ان نفترض ان الكتاب يقومون بما يقومون به من اجل المال او الشهرة ، كما لا يجب ان نقتنع بالقول بان هؤلاء يريدون التعبير عن ذواتهم . واذا لماذا يرغبون في كتابة القصص الان ؟ ومن المؤكد المفروغ منه ان الكتاب يعتقدون اعتقادا جازما بانهم فهموا شيئا ما من احوالنا الحاضرة ، فارادوا التعبير عما فهموه . قد يكون هذا الجواب تافها لاول وهلة ، فالمعروف ان غرض الكتاب الجادين لم يتعد هذا المطلب في دائم الاوقات ، وعلى هذا فليس هناك من جديد في هذا الجواب . اما الشيء الذي اراه جديدا نسبيا في هذا فهو الاصرار على ذكر « احوالنا الحاضرة » . وكل ما يقال عن وقتنا الحالي من مديح او ذم لا يمكن ان يقطع صلتنا بعصرنا الذي نعيش بين احضانه .

اما قصص جين اوستن غير المحدودة بالزمن ، من اضراب (مرتفعات وذرنغ) و « دومنيك » فهي شاذة في كل حين ووقت . فالزمن هو الذي يفعم آفاق القاصين ، وكل محاولة لتجنب ذلك تصبح محاولة غير لائقة ، فيها من التعسف والتصنع ما فيها . ومن هنا ، ربما يصح لنا ان نحسب براوست وجويس وفرجينيا ولف اعظم القاصين المتأخرين القادرين على معالجة (ازمانهم) من غير شوائب تصيبهم او تؤثر في نتاجهم . كان براوست نفسه متأثرا اشد التأثر باحوال عصره ، فبدت العلائم الاجتماعية واضحة على الافكار الرئيسة التي طرقها في كتاباته . ومرة اخرى نحن محملون على الخوض في التمايز لا لانه حقيقة واقعة حسب ، بل لانه امر مؤثر ايضا . ومن هنا يتيسر لنا القول بان كل قاص لا بد له ان يتأثر بالبيئة التي عاش فيها. ومع ذلك فالتباين يبرز من جديد اذا نحن قابلنا دكنز بجين اوستن او زولا بهاردي .

ان هذا الاصرار على واجب الكاتب (القاص) تجاه احوال عصره ، قد كتب عنه الشيء الكثير ، كما ناله التشويه في شتى المناسبات . ومن ذلك ان الماركسيين حاولوا تفسير الواجب بان مضمونه هو ان يعمل الكتاب في حقل معين ، وان يعالجوا مشاكل محددة بلغة مدروسة سلفا ، وتحت تأثير تعاليم معينة . ولا تختلف الحال مع الفلوبيريين (1) الذين اساءوا فهم سيدهم ، وربما هذا ما فعله الماركسيون ايضا . فالفلوبيريون يعتقدون بانهم متى ما انغمروا في عرض عواطفهم الطبيعية ومخاوفهم وآمالهم ، باعتبارهم مخلوقات عصرهم ، غدا نتاجهم لا يفرق في شيء عما يريده الماركسيون .

اما ماينبغي لنا قوله في ظروفنا الحاضرة ، فبلا يتعدى الحقيقة القائلة باننا جميعا على اوثق الصلات من الارتباط ببعضنا ، وهذا امر لم يحدث من قبل قط ، وعلى هذا ، فان الفرد ، مجبر على الانتساب الى المجتمع ، سواء أرغب في ذلك ام لا يرغب ، لان القيود التي تشده بهذا المجتمع من القوة بحيث لم يسبق لها مثيل . فالقنبلة الهيدروجينية هي علامة مخيفة من علامات هذا الاتصال الجديد ، على ما فيها من جوانب ايجابية خيرة . ومن المحتمل ان يعيش بعض الافراد الاغنياء في انكلترا عيشة مترفة بعيدة عن (فيروس) المجتمع ، كما ان هنالك بعض الناس (الانفراديين) الذين اعتزلوا المجتمع ، فهؤلاء وحدهم يحق لهم ان يقتفوا آثار مونتين او فلوبير . ومن المؤكد ان اي شخص يسعه ان يفعل ذلك من غير ان يشعر بما في فعله من مجانبة للطبيعة وفي الوقت نفسه فهو قادر على ادراك ما يضطرب في المجتمع الذي يحاول جاهدا التخلص منه والابتعاد عنه .

وفي عصرنا الحاضر ، يكثر المثقفون الكلام عما يعتور زماننا هذا ، بحيث يندر ان يوازيهم احد في هذا الشأن ، ومع ذلك نرى هؤلاء المثقفين يتباكون على ايامهم الحلوة الماضية . انا لا اقول ان محاولة التخلص من العالم خطأ اخلاقي وهذا ما لا اذهب اليه في موضوع الابتعاد عن اخواننا البشر ، ومع هذا فانا اظن ان الحق لن يجانبني اذا قلت ذلك . وكل ما اريد ذكره لا يتعدى امرا جوهريا . وهو انه لم يعد في المستطاع ان يهرب الكاتب من عالمه من غير الشعور الذاتي بذلك ، ونتيجة ذلك الهروب لا تكون سوى تحجر وتكلس . وفلوبير نفسه الذي تراجع عن موقفه ، قبل مائة سنة ، لم ير بدا من التأثر بمقت البرجوازية ، وهو المقت الذي تجنبه فأدى الى تشويه موهبته .

اما تشويه هذا المطلب فينبثق من نظرية الالتزام السقيمة . وقد لاحظنا بشيء كثير من التقزز تطور الالتزام

---

(1) هم اتباع غوستاف فلوبير ، القاص الفرنسي الشهير ، الذي لمع نجمه بكتاب (مدام بوفاري) والجدير بالذكر ان هذه القصة ترجمت لاول مرة الى العربية بقلم الدكتور محمد مندور ، في سلسلة (كتابي).

في شخص جان بول سارتر . فهو حين رفع علم الالتزام بعد الحرب الاخيرة ، كان مصرا على التفريق بين مبدئه والمبدأ الذي ينادي به اقطاب الحركة اليسارية في العالم ، ولكن موقف سارتر اليوم ، يختلف عن موقف اليساريين في شيء . فما المقصود من الالتزام اذن ؟ من المعلوم ان الالتزام يتطلب من الشخص ان يكون متطرفا في آرائه وافكاره . ومن هنا ، فعلى الكاتب ان ينفث روح البغض في قصصه حين يتحدث عن الذين يخالفونه في الراي ، في الوقت الذي يكيل فيه المديح على الاخرين ، كما ينبغي له ان يكتب باسلوب يفهمه حتى من كان جاهلا جهلا تاما بالتاريخ وتطور القصة . والواقع ان هذه المطاليب مطاليب قتالة ، لانها منذ نشرها ـ قبل ثلاثين او اربعين سنة ـ لم تنتج قصة واحدة ذات قيمة .

فالالتزام اذن امر صعب التحديد ، وبخاصة في حقل تختلف فيه المفاهيم كل هذا الاختلاف الشديد . ومن هنا فلي ان اضرب بعض الامثلة لاتمكن من تيسير المسألة وتوضيحها . وهذا ما يجعلني ان اقول بان براوست وجويس وفربانك وفرجينيا وولف كانوا كتابا غير التزاميين نسبيا بالمعنى الذي اقصده . في حين ان جيد ومورياك ولورنس ومالرو وفوكنر هم التزاميون بما في كلمة (التزام) من عمق . ولكن الجماعة الاولى لا يجب ان نحط من قدرها لهذا السبب بالذات . ذلك بانهم (اعني الجماعة الاولى) كانوا يمثلون القصة في امسها . اما انا فانني اكتب عن يومنا هذا وغدنا القابل . والان ، وفي المستقبل القريب يبدو لي ان ثمة صلة تربط القاص الجدي بانفسنا وجيراننا ومجتمعنا ، وهذا ما لا بد ان يشعر به مثل هذا القاص . فلكي نكتب بالروح التي كتب بها فربانك ، لا بد لنا من الاساءة الادبية ، لاننا سنبتذل .

وكما يرى من القائمة التي عرضتها عن الكتاب الالتزاميين ، يتبين لنا ان الالتزام ، يمكن ان يتضمن وجهات نظر مختلفة ويمكن ابرازه من خلال صور شتى ، وان يعبر عنه في اساليب متباينة متغايرة . واعظم القصص الالتزامية التي ظهرت في عصرنا هي قصة (يوسف واخوته) لتوماس مان ، ولكنها قصة تعالج موضوعا جرى في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . اما مورياك فهو يتحدث عن البرجوازية الاقليمية ، ويكتب عنها باسلوب بعيد عن « روح العصر » المزعوم ، في حين نرى ان اعظم قصة لمالرو تتناول شؤون الفلاحين الصينيين . وهذا ما يحدث لفوكنر عندما يتناول احد موضوعاته من طبقة هي اشد الطبقات انحطاطا في العالم . وهذه المماثلة بين فوكنر وجيد تجعلهما يستعملان اساليب جديدة في قصصهما بينما يصر لورنس ومورياك على الاكتفاء بالاساليب القديمة .

واذن ، فهل ثمة علاقة بين الموضوعين اللذين ناقشتهما ، او بين الاختلافين اللذين حاولت ابرازهما ؟ وبعد هل من صلة بين الالتزام والاهتمام من جهة وبين جدة الرؤيا ، والمادة الموضوعة للبحث والاسلوب من جهة اخرى ؟ واذا ما حكمنا بوجود صلة ما ، فهي لا بد ان تنحدر من عادات تكنيكية وموضوعات اساسية ، على احسن الاستعداد واشد الاهبة للامتزاج المباشر بشؤون العالم واحواله الحاضرة . ومن هنا يمكن ان نقول بان الالتزام يشير الى رغبة الكاتب في اقبال الجمهور على قراءة كتبه وفهمها وبهذه الوسيلة يعين المجتمع على استساغة عواطفه .

وهنا اعتقد بانني مجبر على التفريق بين الاهتمام والالتزام . فالامر الاول لا يقتضي من الكاتب ان يستعمل قصصه من اجل اي غرض معين . وطبيعي ان الكاتب يأمل من نشر كتبه اشياء كثيرة ومنها التأثير في اذهان قرائه وفي مشاعرهم واعتقاداتهم . وهو يرجو ان يريهم شيئا رآه بنفسه ، او فكر فيه او شعر به . وقصده من ذلك تغييرهم على وفق رؤاه التي شاهدها . ولكن مطالبة مثل هؤلاء القراء بالعمل على خلاف ما قرأوه ، لا تعدو كونها نزوة لا تبدو الا على الالتزاميين الغارقين في بحران اهوائهم وعلى هذا ، فان الاهتمام هو موهبة يتميز بها الكاتب ، وهو بخلاف الفائدة الجاهزة التي يتطلع اليها جمهور القراء ، ومع ذلك ففيما اسلفت من القول شيء من التناقض والخشونة الظاهرين . ولهذا السبب بالذات ، فمن السخافة بالنسبة الى الكاتب ان يتظاهر باكثر مما يشعر به في الواقع . ومن هنا لا يجوز ان يتعدى شعوره نطاق طبيعته الانسانية . ولكنني اعتقد بقدرتي على الاستطراد قليلا . فانا اؤمن بان القاص الانكليزي الحديث الذي يهتم باخوانه ومجتمعه ، لا بد له ان يهتم بطرق جديدة ، وافكار حديثة ، ومشاعر طارئة ، وموضوعات طريفة . وبهذه الوسيلة سينضم بعاطفته ومسئوليته ـ الى تقاليد دكنز وجورج اليوت وكونراد .

وقد تظهر هذه التوكيدات متعسفة ، والواقع انها مبنية على الشعور بالكفاءة الشخصية ، والامل الفردي في المستقبل ، اكثر من استنادها الى الشواهد المنبثقة من الوقت الحالي . وفي الحق ان ما يبدو الان يدل على بروز اختلاف بين هذين التقليدين . وغالبا ما يقال لنا ان القاصين الشباب في انكلترا على الاقل ، متفقون على فكرة انتهاء اجل القصة التجريبية . كما ان من الناس من يقول لنا بان معظم القاصين المحدثين يكتبون بروح اسلوب سارتر في قصته (الفتيان) وبذا فهم يتجاوزون روبرت ايلسمير . ومن هنا ، فهم يبدون وكانهم يعبرون عن افكارهم باساليب قديمة فيفقدون شعورهم وهذا ما ذهب اليه الكثيرون ، الا اني لا اعتقد بصواب مذهبهم وارجحية رأيهم ، هذا ، مع العلم بانني استلخصت تفسيري الذي قدمته آنفا ، من مقالة حكيمة جعلت من كنغزلي آميس مثلا للاتجاه المتشابك

اما القاص آميس بالنسبة الي فهو من الكتاب الموهوبين النابضين بالحركة والحيوية ، ممن ديدنهم عرض الصلة بين الاهداف والميزات . وعلى ذلك يسعنا القول بان هذا الكاتب يهتم بموضوعاته ابلغ الاهتمام ، على الرغم من انتفاء الجدة في اسلوبه ، ومع ذلك فهو يطبق ، رؤاه على عالمه الجديد الذي اكتشفه . الا ان القاص تشابهان مور تيمور ، الذي يختلف عن آميس ، في السن والاسلوب ، يضفي على خصومه ضربا جديدا من الرؤى وحللا مستحدثة من المفردات . وهو يهتم بما يكتبه ايسر الاهتمام ، بحيث انه يقتصر على اثارة روح الشفقة ، ولكن كتبه موضوعة في عالم لا محل فيه للمفاضلة بين موضع وموضع وزمان وزمان وعلى ذلك فشخوصه غالبا ما يكونون جماعة من الشباب المتسكعين في باريس في وقت يقارب وقتنا الحاضر . اما

فضل مورتيمور فيكمن في رؤيته الجديدة للعالم ، وفي اكتشافه لبرج عال يتطلع منه الى سلوك الكائنات البشرية ، وهذا ما فعله هنري غرين قبله . فاذا كان آميس اشد لصوقا بموضوعاته ، فهو اقل جدة فيها ، وهذه الحال تنقلب راسا على عقب عند مور تيمور . ولكن هذين الضربين من التطور في القصة الانكليزية لا بد ان ينتهيا الى الاتفاق والانسجام .

ولكي نضرب مثلا لهذا التوافق ينبغي لنا ان نذهب الى امريكا . واحسن مثل للمزج بين الاهتمام بشؤون العالم والطرافة في الموضوع هو قصة (زوان في الذرة) لسالنفر . وهي قصة هزلية بائسة، تتحدث عن احد طلاب المدارس العالية ، من هؤلاء المتهربين ، وفيها يرينا المؤلف شفقته التي يخص بها البطل وما يبديه الاخير من رحمة تجاه اترابه . وفي نهاية القصة يصبح البطل شخصية مدهشة تكاد تكون دوستويفسكية ، كمشكين او اليوشا ، فيحمل صليبه في نيويورك بدلا من ان يطوف في الاقاليم الروسية . وفي الوقت نفسه ، فهذا الكتاب ليس جديدا في اسلوبه حسب ، بل في وجهة نظره ايضا . لم تكن هذه الجدة منصبة على الكتابة بصيغة الشخص الاول ، وسرد الكلام بموجبها ، ولكن الشيء الجديد المدهش استساغة هذه الصيغة وقبولها . ذلك بان لغة البطل رطانة امريكية ، تشبه اللغة التي اصبحت مثار سخرية غاضبة بالنسبة الى هؤلاء الذين يذمون العالم الحديث ويغمزون من قناته ، فليس من غنى ولا من اصالة في الاصطلاحات التي اختارها سالنفر ، كما فعل مارك توين بلهجة اهل المسيسبي او هاردي بلثغة سكان ويسكس . وحين نقرأ هذه القصة ، نعلم علم اليقين بان لغتها تكاد تشرف على الموت ، لان التشويه يبعدها عن الموضوع والابانة .

ومع ذلك ، فسالنفر يستخدم هذه الواسطة من غير شطط ، لعرض افكاره وعواطفه وحكمته اللطيفة علينا . والحق ان (الزوان في الذرة) عمل رائع على الرغم من كل المثبطات . ومما لا شك فيه ان هذا النتاج يعد تحديا للمصاعب ، ومناجزة للاختيار السهل ، وعلى هذا فهو فضل يسدى الى كل قاص حديث . وهذه الميزة تشبه « الرعب » الذي يعرفه لناجان بولهان في قصته (Fleurs de Tarbes) وفي هذه الميزة يتبين لنا موقف الكاتب بالنسبة الى (المادة) التي يعالجها ، وفيها نجد صراع المتصارعين في عنفه ، وهو امر يختلف تمام الاختلاف عن موقف السيدة الجميلة اللاعبة بجواهرها والسيد السعيد السائر باناة .

وهنا اراني متجها الى تحديد دقيق الاسلوب ، وهو ما حذرت نفسي من مغبة التوجه اليه . ولكن الذي اريد ان اذهب اليه لا يتعدى قولي باننا لا نستطيع بعد الان ان نكتب باسلوب جميل كما كان يفعل ماكس بيربوم ، او ترولوب ، او لوغان بيرسال سمث ، او ارنولد بنيت . فكتابة بيربوم الرائقة، الطبيعية، لم تعد تلائمنا ، وذلك لان الجماعات الصالحة المهتمة بجمال الكلام فقدت وجودها واضاعت كيانها . صحيح ان الاحاديث الطيبة الحارة لا تزال على اطراف السنة الناس وبخاصة الجماعة التي تربطهم صلة اجتماعية ، ولكن شكل هذه الاحاديث لم يعد جميلا ولا حلو الايقاع .

ومن الوضوح بمكان ان اللغة الادبية التي تفقد صلتها باللغة الدارجة على الالسن ، تصبح بسرعة (قوالب ميتة) يستحيل عليها الحياة . صحيح ان لغة بيربوم الكتابية لم تكن اللغة نفسها التي استعملها في احاديثه مع اصدقائه ولكنها كانت ذات علاقة بها ، كعلاقة المنطاد في الهواء ، بالمنطاد على الارض ، اما الان فاننا لم نعد نملك اي منطاد على الارض معنا . ومن جهة ثانية ، فان اسلوب ترولوب وبنيت السهل المقبول لم يعد هو ايضا قابلا للحياة معنا ، لان هذا يقتضي كلاما مهذبا ذا طلاوة وحيوية ليكون الاساس المتين للغة الادبية . قد يكون هذا النوع من الكلام موجودا ولكنه آخذ بالابتذال والاندثار ، حتى يعسر على احسن الكتاب احتذاؤه والنسج على منواله . وهذه هي المسألة التي ينساها النقاد حين يصرون على القول بان الاسلوب الجيد هو الاسلوب الواضح ، وبان خير ما تقوله في النثر ينبغي ان يكون بين القصد جلي المراد . ولكن الوضوح ـ بالمعنى الحديث ـ ينتهي بنا حتما الى الابتذال في القول والابتعاد عن التعبير عما في خوالجنا .

وبعد فان القاص المهتم بمهمته في يومنا هذا لا يسعه ان يكتب بوضوح ، كما يعسر عليه ان يكون ذا اسلوب براق لامع. ذلك بانني لا اعرف مصيره ، وما سينتهي اليه ، ومع ذلك فانا اظن انني اتلمس طريقي من خلال هذه المعضلة . وهذه المسألة بالذات هي التي تقرر موقف القاص الانكليزي اليوم وفي المستقبل القريب . ومن هنا ، فهو يناضل مكافحا وسط تقاليد منهارة ، وفي سبل غير مطروقة ، وموضوعات متغايرة دائما وابدا . فكل معركة يثيرها كتاب حديث تقتضي اسلحة جديدة ، لساحة القتال الجديدة .

والحق ان القاص الحديث يستند ـ في كفاحه ـ الى امثلة رائعة ، ذلك بان الثلاثين سنة الاولى من هذا القرن كانت من اخصب السنين في تاريخ القصة القصيرة برمته. ولكن الربع الاخير من القرن غير مجتمع القاص ولغته ، ومناخه العاطفي والعقلي . في حين اضطر ـ كانسان مخلوق ـ الى الاتصال الوثيق بمجتمعه ، ولكنه ، ككاتب حمل على اعتزال الناس اكثر فأكثر . فلم يعد ثمة موضوع واضح ، ولا اسلوب جلي ، وعلى هذا اصبحت الافكار المثمرة الواضحة غير ذات جدوى .

واليوم على القاص الجديد ان يتخذ كل قرار بنفسه، وهذا الامر هو على خلاف بين لدى معظم القاصين الماضيين ومن هنا فالاغراء يتطلب من الكائن البشري ان يلوذ بالعزلة الاختيارية ، لينافس عزلة الكاتب الاجبارية . ولكني قلت سابقا ان هذا لن يحدث الا بتشويه المخلوق الانساني وبالتالي تشويه الكاتب نفسه . فالعيش في عزلة اليوم ، اي في اعتلاء عاطفي ، اصبح عملا غير طبيعي اكثر مما كان من قبل . فالكتابة عن العزلة اذن امر محال ، لان محاولة كتابة القصة الجديدة تقتضي اكتشافا ذاتيا ، كما لم يكن الحال قبل وقتنا هذا . وعلى ذلك ، فان المستقبل موحش ومثير على حد سواء .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

ذكريات القاهرة

*

مواكب الحياة والكفاح والعلى وذكريات الخالدين فيك تجتلى
يا موطن الابطال يا مدينة الالى صانوك كعبة لمجدهم وموئلا
ما زلت للدنيا منارا باهر السنى
ودمت للشرق المجيد مشرق المنى

تألقت سماؤك الغراء بالهدى وارضك العذراء بالارواح تفتدى
نمضي عليك لا نهاب صولة الردى او ننثني عن عزمنا في قهر من عدا
انا لك الحماة يا مهد البطوله
وجندك الاحرار في ظل الفضيله

اين الطغاة الجائرون ؟ اين شملهم ؟ أودى الغرور والضلال والدجى بهم
قدشتتت حشودهم والشعب في القمم يشيد العلياء مثلما بنى الهرم
والمصلحون والهداة فيك خلدوا
والصادقون العهد في حماك مجدوا

منائر الجهاد كالاعلام سامقات ذكرى صلاح الدين والعهود مشرقات
وهذه الوفود ساعيات شيقات للجامعات تنشد الايات خالدات
تضمهم على ثراك الطاهر الامين
عزائم توحدت على مدى السنين

عزائم قد ارهفتها حدة السلاح وسددت مرامها مرارة الجراح
فمزقت غلائل الدجى عن الصباح واشرقت حرية الاوطان بالكفاح
وعدت تحملين للسلام مشعلا
يهدي الشعوب في طريقها الى العلا

مغناك مغنى الحب والاحلام والمنى وفي رباك تلتقي الظلال بالسنى
خميلة قدسية القطوف والجنى غناك شاديها يحيي بعث مجدنا
وموكب الجمال في الاصيل والغروب
يسري على «الكرنيش» راقص الخطى طروب

والامسيات الحالمات فيك آسره قيثارها النسيم والقمراء شاعره
كأنها في صمتها ترتيل ساحره من عهد رمسيس وجنده العباقره
تمثاله المهيب في الميدان شاهد
بأن مجد مصر في الزمان خالد

عاصمة الشرق العريق اي ذكريات اثرت بالفؤاد بين حاضر وآت
يا قلب افريقية يا مشرق الحياة فدى لك الارواح والقلوب خافقات
تختلف الازمان والاجيال والعهود
وشعبك الابي صاعد الى الخلود

القاهرة — حسن فتح الباب

قصة لسومرست موم

سيد العارفين

ترجمة حسن السعران

○ ○ ○

لست ادري لم كرهت ماكس كلاده قبل معرفته . كنت يومئذ مسافرا من سان فرانسيسكو الى يوكهاما . وكانت جميع الخطوط البحرية مزدحمة كل الازدحام . فالحرب لم تمض على نهايتها غير ايام معدودة . ولم يكن ثمة امل في حصول المرء على غرفة بمفرده بالباخرة . ولهذا وجدتني سعيدا اذ حظيت بغرفة لا يشاركني فيها غير شخص واحد . ولكن ما ان وقع بصري على حقائب هذا الشخص حتى امتعضت من مجرد النظر اليها . كانت حقائبه تعلوها بطاقات سفر كثيرة ، وكانت بعض ادوات زينته قد رصت بشكل ظاهر . وبعضها يحمل اسمه منقوشا بحروف من ذهب في بشاعة صارخة .

تركت الغرفة في طريقي الى قاعة التدخين . ولم اكد اهم بالجلوس حتى وجدته امامي يقدم نفسه قائلا: « انا مستر كلاده » . ثم جلس .

قلت : نحن نشترك معا في غرفة واحدة ، انت رفيقي اذن !

قال : الواقع انها مسألة حظ ، فالمرء لا يعرف غالبا من يكون شريكه!

واخذت اعبث باصابعي لاهيا بورق اللعب الذي امامي ، وسرعان ما قلت مستأذنا والغضب يفعم قلبي انني ساذهب الى غرفة الطعام لاحجز لنفسي محلا .

فاخبرني مستر كلاده : لقد حجزت لك مكانا . رأيت ان نشترك معا في مائدة واحدة ما دمنا نتقاسم غرفة واحدة .

وكرهت مستر كلاده .

وما كنت اخطو خطوة واحدة على ظهر الباخرة الا وهو يفرض نفسه علي فرضا ، ويلتزم مصاحبتي كرها وغصبا . ولم يشعر قط انني زاهد فيه وفي صحبته . والحق انه كان سريع الاختلاط بالناس . فلم تمر ثلاثة ايام حتى تعرف بالمسافرين جميعا ، واشترك في نشاط اهل الباخرة من اوله الى اخره . وتدخل في كل شيء . فلم يترك لعبة ولم يتخلف عن حفلة .

كان قذى للعيون في كل وقت ! كان شخصا غير مرغوب فيه ، ومغضوب عليه من المسافرين جميعا وقد سميناه ساخرين « سيد العارفين » . وكنا نردد تلك التسمية على مسمع منه ، ومع هذا كان يتقبلها على انها مدح وثناء .

وكنا ونحن جلوس في غرفة الطعام نترك له الحبل على غاربه ، فلا نحفل لما يقول او نكترث للذي يزعم الا رجلا واحدا بيننا يدعى «رامسي» كان يقف له بالمرصاد ، يسفه من آرائه القوية او حججه الدامغة . وكانت المجادلات تدور بينهما في خشونة قاسية وتهكم عنيف .

وكان رامسي عائدا من نيويورك الى مقر عمله باحدى السفارات الاميركية . وقد عاد وبصحبته زوجته التي كان قد تركها وحدها تقضي عاما كاملا في بلدتنا وبين ذويها . وكانت زوجته شابة جذابة مرهفة حلوة الحديث. ولم اكن لاحفل بها لو لم تكن متواضعة . وهذه صفة قلما كنت تجدها وتتئد في بنات جنسها . في الحق كانت سيدة متواضعة على الرغم من جمالها الاخاذ وما كان هذا التواضع البادي على محياها الا زهرة تزين ثوبا انيقا .

وفي ذات امسية ــ ونحن نتناول العشاء ــ انزلق الحديث بيننا مصادفة الى موضوع الجواهر . وكانت الصحف تفيض في تلك الايام بذكر الجواهر الاصطناعية التي برع في صياغتها واتقانها اهل اليابان . وكان احد الحاضرين يدلل على انها ستقلل من شأن اللالىء الطبيعية . فما كان من السيد كلاده الا ان انبرى متحمسا كما هي عادته واخذ يسرد علينا سيلا من معلوماته عن الجواهر . وعلى الرغم من ان رامسي لا يدري عن الجواهر شيئا، الا انه ما كان ليدع اية فرصة تفوته للسخرية من السيد كلاده او الحط من شأنه .

ومضى كلاده يتحدث قائلا : انني اعرف تماما ما اقول ، فهذه صناعتي وانا ذاهب الى اليابان لكي احيط باسرار هذه الصناعة الجديدة . انني اشتغل في تجارة الجواهر ، واكبر ظني ان الذي لا اعرفه عنها لا يستحق المعرفة !

واخذ السيد كلاده يتلفت حواليه في زهو وخيلاء ثم قال : انهم لم يتوصلوا بعد الى صناعة جوهرة يستعصي على خبير مثلي ان يفرق بينها وبين الجوهرة الاصيلة بمجرد النظر اليها .

واندفع الى زوجة رامسي مشيرا بيده الى عقد يزين جيدها . ووجه اليها الحديث قائلا : ثقي يا سيدتي ان عقدك هذا لن يفقد قرشا واحدا من قيمته ، مهما برعوا في التزييف والتقليد !

واحمر وجه الزوجة وامتلا حياء ، فامسكت بطرف العقد واخفته بين طيات ثوبها . وانتهز زوجها الفرصة فتقدم نحوها ولفت اليه جميع الانظار وقال : انني لم اشتر شخصيا هذا العقد ، ومع ذلك فانه يهمني ان اعرف قيمته يا مستر كلاده ؟

فأجابه كلاده بقوله : ان سعره التجاري حوالي ٣ الاف جنيه ، ولكنه قد يباع في محال المجوهرات الكبرى بضعف هذا القدر .

فضحك رامسي ضحكة ساخرة وقال هازئا : لعله يدهشك ان تعرف ان زوجتي ابتاعته يوم غادرنا نيويورك لقاء سبعة جنيهات فقط .

ــ يا للعجب انه ليس عقدا حرا اصيلا فحسب بل وانه فريد في نوعه وحجمه ..

ــ هل تراهن على ذلك ؟ انني اراهنك بمائة دولار على انه تقليد .

ــ اتفقنا ، اراهن على ذلك .

فقالت زوجة رامسي في صوت خافت لزوجها والابتسامة تعلو شفتيها

اوه ، ولماذا تراهن على ما تعرفه يا آلمر ؟

فأجابها زوجها قائلا : ولم لا ؟ وقد سنحت امامي فرصة الربح اليسير ، انني اكون غبيا اذارفضت

فقالت الزوجة : ولكن بماذاتحكمون ليس هناك الا كلمتي ضد كلمة السيد كلاده .

فقال السيد كلاده : دعيني القي نظرة عليه ، واذا كان زائفا فسأتحقق من ذلك سريعا ، وعلى كل حال فخسارة مائة دولار هينة علي !

فقال رامسي لزوجته ، هيا اعطيه العقد يا عزيزتي لكي يمعن النظر ويفحصه كما يشاء .

وترددت مسز رامسي لحظة ثم وضعت انامها على قفل العقد وقالت: لا اظنني استطيع فتحه ان السيد كلاده سياخذ بقولي ولا شك .

ووجدتني اشعر شعورا غريبا بان حدثا تعسا وشيك الوقوع . وجمدت الكلمات في حلقي فلم انبس ببنت شفة .

ونهض رامسي وقال : دعيني اساعدك على فكه يا عزيزتي . ثم ناول العقد السيد كلاده . وسرعان ما اخرج كلاده عدسة مكبرة من جيبه واخذ يمتحن الجواهر بدقةواهتمام، وشاعت في وجهه ابتسامة الظفر . واعاد العقد الى صاحبته ، وكان على وشك اعلان النتيجة .

وفجأة لمح وجه السيدة رامسي. كان شاحبا باهتا حتى ليبدو كانها ستقع مغشيا عليها من الاغماء. وكانت تحملق بعينين واسعتين مذعورتين وتستميله في رجاء واضح ، عجبت كيف لم يره زوجها.

ووقف السيد كلاده مشدوها واحمر وجهه خجلا . وكنت تستطيع ان تلمح الجهد الذي يحاول السيطرة به على نفسه قبل أن يقول :

لقد اخطأت ، الجواهر زائفة . انها تقليد رائع للغاية . ولكنني ادركت ذلك في التو بمجرد فحص العقد من خلال عدستي ، وسبعة جنيهات سعر مناسب لها .

واخرج من جيبه ورقة بمائة دولار قدمها الى السيد رامسي دون انيفوه بكلمة .

ولكني لاحظت ان اصابعه كانت ترتعش .

فقال رامسي وهو يتناول الورقة المالية : هذا درس ينفعك ، فلا تكن شديد الثقة بنفسك يا صديقي .

وشاعت القصة بين جميع ركاب الباخرة ، كما تشيع القصص دائما مما حطم كبرياء السيد كلاده في تلك الليلة . وكانت دعابة لطيفة ان يوقع رامسي في هذه الورطة « سيد العارفين » اما السيدة رامسي فقد انسحبت الى غرفتها بحجة صداع الم بها .

وفي صباح الغد نهضت من نومي مبكرا ، واخذت في حلاقة ذقني . وكان كلاده مستلقيا فوق فراشه ينعم بتدخين سيجارة . وفجأة سمعت صوتا خافتا يقترب من الغرفة ورأيت رسالة تلقى من تحت الباب . فأسرعت بفتح الباب ولكنني لم اجد احدا : فتناولت الرسالة ووجدتها تحمل اسم ماكس كلاده ، وقد كتب الاسم بحروف منفصلة ، فناولته اياها . ولما فض الظرف وجد به ورقة مالية بمائة دولار ولا شيء اخر . ونظر الي واحمر وجهه ، ثم مزق الظرف شر تمزيق وناولني اياه ورجاني ان القي به الى اليم . ففعلت ، ثم نظرت اليه مبتسما ، فقال :

ــ ليس من احد يحب الظهور امام الناس بمظهر الغباء .

فسألته : وهل كانت الجواهر اصيلة اذن ؟

فأجابني : لو ان لي زوجة شابة جميلة ، فانني لا اتركها تقيم في نيويورك سنة كاملة وحدها ، واعيش بعيدا عنها في كوبا .

وفي تلك اللحظة وجدتني لا اكره السيد كلاده ، « سيد العارفين » .

حسن السعران



اراء وحكم

ㅇ O ㅇ

تمنينا الرق

كفى بك عاراً ايها العصر اننا — غدونا نرى الرقَّ القديم مُحببا
نعاني كفاحاً للكفافِ وربما — تعذر حتى يصبح الموتُ مأربا
وقد يُجرم المحتاج كي يدفع الاذى — اذا لم يجدْ غير الجريمة مركبا

ماذا نصدق

ليس صدقاً كلُّ ما نقرأه — ليس صدقاً كلُّ ما نسمعُه
فنّدِ القولَ وما تقرأه — فيجيزَ العقلُ ما يقنعه
وسوى هذا ضلال مفسدٌ — نكِبَ الكونُ به اجمعُه

العقل الصغير

على قدرِ عقلِ المرء تأتي همومهُ — وهمُّ ذوي العقل القليل قليلُ

آثار الفتى

بئس الفتى ان مرَّ في الدنيا ولم — يترك له أثراً يُفيد ويُعجبُ
واجلُّ اعمال الفتى الايثارُ في — دنيا تناوىء اهلها وتعذب
ان كان نفع المرء محبوساً له — فهو الانانيُّ الكريه المُجتنب
لا عاش من يمسي ويُصبح متخماً — والجارُ يرزح في الشقاء ويسغب

الحياة اوهام وآمال

ان الحياة لاوهام وآمالُ — وهي الشباب وصفو البال والمالُ
ان حزتها كلها او بعضها نعمت — لك الحياةُ وبالنعماء تختالُ
هيهات هيهات ان تحظى بمعظمها — فاقصرْ مناك ولا تخدعنك آمالُ

مصر ـ عزبة النخل — فريد حبيش

مكتبة الاديب



١ ـ قشـور ولبـاب

للدكتور زكي نجيب محمود ـ ٢٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو بالقاهرة

●

أوثر الكتابة عن اصدقائي لاني اجدني معهم مرة جديدة . والدكتور زكي نجيب محمود صديق لي قديم ، عرفت مذهبه في الادب والفلسفة ، وعرف مذهبي في الادب والفن . اصفه لقراءُ « الاديب » . فهو غير مرض نحيف الجسم واقرب الى الطول فيه . هادىءٌ مطمئن ، يبدو الهدوء على ادبه ، والاطمئنان على فلسفته ، وان يكن ذا انتفاضة بين سكونين ، وثورة بين هدوءين . لقد نسف بناء الفلسفة العامة وهي التي يدعونها فلسفة ما وراء الطبيعة « الميتافيزيقا » ، واقام صرحا لها من جديد . وفي الادب حمل منائر في ظلمات من ليالي الادب . وهو في ادبه جماعة ، وفي فلسفته رهط . ولا اؤخر على قارئي معرفة سنه ، فالكاتب جاوز الاربعين من عمره .

لقد ابان في كتابه الجديد (قشور ولباب) عن مذهبه في الادب، فهو عنده ذو شطرين ، واحد في صفاء الادب ومزاجه بالنفس ، وانعكاس صور الاديب عليه . والشطر الثاني في ان تكون آثار الاديب فذة ينفرد هو فيها ، وان يكون الاديب متفردا لا يشاركه في فرديته كائن في الوجود.

اما شطر مذهبه الاول ، فاقره عليه لان الادب الذي لا يعبر صاحبه فيه عن نفسه ، ادب منقوص . وما اردت بالتعبير عن النفس الا ما يعتلج في الخاطر من الحالات النفسية ، داخل التصور ، فيكون قلم الكاتب ولسان الشاعر وسيلة للتعبير عما يعتري النفس من نوازع في الفكر والحس والتأمل . اما التفرد فهو تحنث . ومنذا الذي استطاع ان يتفرد في الحياة التي تمزجنا مزجا بالاشخاص والاشياء حتى تكاد تضيع ذواتنا فيها .

ومن هنا تظهر سيطرة الفلسفة على ادب الدكتور زكي نجيب محمود ، فهو يبتغي للادب ما عند الفلسفة من التجرد . وهو يؤثر ان ينفرد الشاعر فيكون كائنا وحده ، منفردا بخصائص وحالات ومواقف لا يشاركه فيها غيره . وعلى هذا المذهب وجب ان نوجد شعراء وكتابا ، كل واحد منهم لا يشبه الاخر في شيء . وما يطلبه الكاتب في الادب ، لا تستطيع الحياة تحقيقه . ويتجلى ان الكاتب الذي هدم ما وراءالطبيعة في الفلسفة ، اراد ان يوجد ما وراء الطبيعة في الادب .

ثم يبدأ المؤلف كتابه بموضوع في الشعر والفاظه كتبه نقلا عن « وليم وردزورث » في مقدمته لديوانه المسمى « الحكايات الغنائية المنظومة » الذي نشر سنة ١٨٠٠ . وقد اراد الكاتب العربي ان يطلع ناشىء الادب في البلاد العربية على نظرات الشاعر الغربي الذي وضع بين ايدي قرائه في القرن التاسع عشر ، خططا للشعر تنفع الدارسين ، وخاصة المحدثين المولعين بالفن .

وكم احب ان يقرأ هذا الفصل الناشئون في الادب ، ليرسموا لانفسهم خطة السير قبل السفرة البعيدة ، فان ما ارى من هتك لتراثنا للفظي والفني ، وما اجد من بوادر ادب خائر سيلقى كثيرا من الاشواك في طريق الفن العربي القادم .

لقد كتب « بوالو » منظومة (الفن الشعري) وقلد بها الشاعر الروماني (هوراس) في منظومة له عن الفن فالقى ظلال نصائحه الشعرية على العصور التي اتت بعده ، حتى اتى فيرلين فهب هبته الكبرى ، وكان هادما بانيا ، انه اراد ان يحقق البلاغة ولكنه اجاد في تقويم الشعر وانطلاقه ، فغفر البلغاء ذنبه اليهم . ومقدمة « الشعر والفاظه » في كتاب « قشور ولباب » مماثلة لمنهج بوالو في الشعر والادب ، لكن واضعها (وردزورث) فصل في الفن واتساق البيان ، وفي حب النقاء للالفاظ والبعد عن الشطط في الاسلوب . والى هذا قصد المؤلف في نقله لهذه المقدمة ، ففيها تظهر الصفات الخاصة بالقواعد التي بين الشعر والنثر . واجمل ما في هذه التوصيات الشعرية ان يحسن الشاعر لقرائه فلا يسيء اليهم ويؤذيهم ، ولو كان يقول شعره من اجل نفسه ...

لقد شارك الدكتور زكي نجيب محمود في حركة النقد المعاصر ، وهو يعد احد النقدة المعاصرين انه ذو نقد ماتع يمني الادباء ولا يزعجهم عن فنهم ، وهو يتلمس الملامح الجميلة في الآثار التي ينقدها ، كما يمر مرور الكرام على المعالم القبيحة . ونقده مستمد من خلقه وطبعه وشعوره . لقد حدثته كثيرا ، فلم اجده ند ولاحاد ، ووجدت في نقده طوابع مرشد وصفاة الهداة . انه لا يعظ منقوديه ولكن يسددهم ، ولا يكسر ولكن يقوم. انظر الى فصله الذيكتبهفيهذا الكتاب عن « النقد الادبي بين الذوق والعقل » فهو ينقد فيه الدكتور « محمد مندور » . ما اجمل ما اتفق ! فمندور عرفته هادئا مطمئنا مثل ناقده . وهو نفسه ناقد هادىء . وباد هدوؤه في مجلسه وكلامه . وكلاهما مثل طائرين ينقدان الحب فينفيان رديئه عن جيده . وبعض النقاد غربان وليسوا بطيور غردة ، وهم يحفرون الكتب بالمناقير السود .

الدكتور زكي نجيب محمود ينقدالدكتورمحمدمندور في كتابه (النقد المنهجي عند العرب) وكان يدير الاول على الثاني طاقات ورد من افواف نقده ، والورد لا يخلو من شوك . وسار البحث بين اعجاب وجدل . وقد استطاع ناقد الناقد ان يستصفي روحه الدراسية ، ويرى نضج ذوقه ، واتساق منهجه ، حين اخذ مندور يدخل بينالمتخاصمين الاول في شان المتنبي وعبقريته ، فيفصل فيما فصل فيه القاضي الجرجاني في « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وما صنعه الامدي في الموازنة بين الطائيين .

وما زعمت ان ناقدا يسكت لناقد ، فقد اثبت المؤلف في كتابه رد الدكتور مندور عليه ـ وهذا فضل منه وسعة في حكمته ـ لكنه لم يسكت هو ايضا على الرد ـ وقد يكون هذا ضيقا في نفسه وحرجا ـ فرد على الرد حتى امتع القارىء بجدال ، ولكنه هادىء ، وحوار جميل حول موضوعية النقد وشكله فيما تناولا من الكلام وما تداولا من النقد المنهجي واصوله عند العرب ، اولئك الذين افنوا اعمارهم في تفهمالشعر والنثر القديم ، وصنعوا لنا تراثا باقيا يمتليء بالنفائس ، حتى اتى على الاعقاب في عصرنا نقاد افذاذ لا يقلون عن اولئك فهما لروح الادب والفن وقيم اللفظ والمعنى ، فاتاحوا لقرائهم ان يروا صور الماضين خافقة « حية » فيهم .

حين كان يكتب الدكتور زكي نجيب محمود فواتحه في مجلة (الثقافة) المصرية وكان هو يرأس تحريرها اواخر عهد الاستاذ احمد امين يرحمه الله ، كنت اقول له :

ـ ما اراك تكتب افتتاحيات ، وانما انت تضع كتبا لقابل .

وكان يأخذه العجب لما ابصر . وصح ما كنت اقول ، فان المؤلف

كان من اعرف الكاتبين في فن المقالة . وكان في تلك الفترة وليست ببعيدة ، جماعة من الادباء يتفنون الكتاب في غرض واحد ، ولا يرغبون في فن المقالة الواحدة . اما المؤلف فكان يحبب اليهم الكتاب في مجموع من المقالات ، وقد اخرج كتبا في مقالات اشتات وبلغ من روعة فنه فيها ان الف بينها بنظام وسرد محكم حتى بدت وكأنها كتاب في موضوع مؤلف او واحد .

وظهرت في كتبه الادبية معارض للفكر والفن والادب ، تقف في معرضه فترى نموذجات من هذه المنح الانسانية الثلاث . ولو انه جرب فن القصة ، وهو حتى الان لم يجربه ، لكان يؤثر القصص الصغار الملونة الجميلة في الصور والاشكال ، على القصة الطويلة . كذلك كان فنه متنوعا مثل الفصول الاربعة ، ولست انسى ان التنويع يذهب السأم ، ويضفي على القارىء انسا . ومثل هذا المذهب في فن الكتابة ذهب شيخ الادباء ابو عثمان الجاحظ .

اما الثلث الاخير من الكتاب ففي شؤون الفلسفة ، التي يأكل منها المؤلف خبزه ، وقد وقفت عند موضوع « الشك واليقين » في كتابه ، وعجبت كيف ادار افكاره حول ديكارت صاحب الشك المؤدي الى اليقين ولم يذكر سابقه الى البحث ، صاحبنا الجاحظ ، وهو الذي عقد للشك واليقين مقولات حتى كان يقول : (لم يكن يقين قط حتى كان شكا) .

وبعد ، فان عنوان الكتاب ، قشور ولباب . وقد احب المؤلف ـ كما أرى ـ في هذه التسمية الذهاب مع الفاكهة في مطالعها ، فهي تكون ذوات قشر ولب ، ومنها (الصبارة) ذوات القشور الشائكة واللباب الحلو المريء . ومنها العسر كجوز الهند . لكني ـ ولست اجامل ـ لم ار في كتاب الدكتور زكي نجيب محمود ، ما يشبه ذلك القشر ، وانما كان كتابه مثل تفاحة لبنانية ناضجة ، قشرها احمر عاطر ، ولبابها ذوب شهي معسول .

٢ ـ تاريـخ شيـلي

تأليف اسماعيل فالديس فرغارا ـ ترجمة السيدة ماري يني عطا الله ـ ٤٥٠ صفحة ـ طبع دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت

●

حين وهبت السماء للارض هذا الاسم (ماري يني) ، كان للاساطير الاغريقية يد في الهبة والموهوب. كانت ربة الحكمة «مينيرفا» وعلى رأسها ناج العقل ، وبيدها صولجان البيان ، ترصد تلك المولودة .وضرب الدهر بالسنين بين ربة الاساطير ، وبين ماري ، حتى استكملت شبابها واتسق لها قلم ، ولاح بيان ، فاذا مجلتها (مينيرفا) تطلع للوجود وعلى غلافها صورة لاخت الاساطير . ولقد احتلت مجلة مينيرفا اللبنانية اعدادها الشهرية ومجلداتها السنوية مكانتها المرموقة بين مجلات العالم العربي الحديث ، الذي يخطو لينال مقامه الكريم بين الامم المتحضرة .

وماري يني ، فيها نفحة من نحو بلادي ، وبلد اخر احبه وافديه ، فقرينها « ابراهيم عطا الله » من سورية وهي من لبنان ، ولقد عاشت الاديبة الكبيرة « ماري يني عطاالله » زهوة عمر الادب في لبنان ودار الهجرة الاميركية ، فكانت من رسل المعرفة النسائية المبكرة في العالم العربي .

اما الكتاب الذي نهضت بترجمته من اللغة الاسبانية ، فقد وضعه مؤرخ اعطى امته من روحه ودمه وعقله اجمل هدية في الاثر الباقي . لقد ارخ بداوة (شيلي) منذ كان الهنود اهليها ، يوم خفقت على رؤوسهم اجنحة النسور ، ولمعت في ايديهم الحراب ، وملات البيد والنجاد اصواتهم الحماسية في غاراتهم المتخطفة ، وهم على اظهر الخيول السلاهب ، حيث كانوا يعيشون احرارا على ارض لم تمسسها اقدام المستعمرين ، يحيون في ظلال حياة قبلية واعتقاد ديني ، وتنسم للحرية يسودهم السلام والوئام .

ولقد دمرت عليهم وفود المستعمرين ، فازعجتهم عن سلامهم ، وحملتهم ، وهم اهل النجدة والبأس ، ان يخوضوا الحرب مع الفاتحين ، فكانت الحرب سجالا . انهم ليحمون ذمارهم حفاظا على الكرامة واتقاء للمذلة . والمستعمر يعمل جيوشه وسلاحه لينال ارضا ومتجرا رابحا وراء البحار الشريدة .

وكانت غواشي الاستعمار هي الرابحة في المعارك يومذاك ، فتكسرت رماح الهنود ، وتصدع جمعهم ، ثم الانهم الدهر الذي يلين الحديد . فاذا شيلي تندفع باهليها في تطور وتجديد ، وتجارة وعمران ، مع تداول الزمان ، دون ان تنام على الضيم ، وقد استطاعت حين هبت هبتها الكبرى ان تنبذ الاستعمار لتحظى بالاستقلال .

واقبلت على تلك الربوع الندية جموع من الشرق تواقة للمال والمكاسب الشريفة ، فنزلت بارضها وفود من لبنان والشام وجدت في الشيليين كرم الوفادة ، وحسن الجوار ، ونعمة الدار فدرت عليها المنائم بالمال الموفور .

وقد اطلع هذ االكتاب صفحات غرا في مجد الامة الشيلية وفي حضارتها المعاصرة منسجمة حتى ايامنا ، وبدا سجلا مطولا لامة دفعت ثمن الحرية غاليا . وطرقت بابها بيد مخضبة بالدم ، وخلد فيه مؤلفه سير العاملين والرجالات والقادة والحكام الذين اسهموا في بناء مجد الامة .

اما الترجمة الفاضلة التي نقلت الى لغة العرب هذا الكتاب باسلوبها السمح فقد حداها اليه طبع جميل ، وهو الاعتراف بالجميل ، اذ ملا عطفيها ما عرفته في ربوع شيلي من تاخي العربي بالمواطن ، حتى كان ثمة الوطن الثاني للعربي وراء البحار . وذاك من سجايا السيدة المثلى ماري يني عطاالله التي راح نصير المراة الاستاذ جرجي نقولا باز يذكر مآثرها في فاتحة هذا الاثر ، وما كان لها من اعمال جسام في اشاعة الادب ورعاية المجتمع في الربوع الاميركية .

اما خاتمة كلامي فمقدمة الكاتب الجليل الاستاذ « نظير زيتون » الذي كتب فصلا في قطعة رائعة ، عرف فيه بالاديبة وكتابها تعريف النسيم بالرياض ، وهو الذي عرف العالمين ، وكتب بالقلمين .

دمشـق — زكـي المحاسـني

غيـوم ظامئـة

لوديع ديب ـ مجموعة شعرية ـ ٨٠ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

●

مع تباشير نيسان هل على المكتبة العربية ديوان الشاعر وديع ديب « غيوم ظامئة » . وهذا الديوان هو بالحقيقة مجموعة لوحات فنية انسانية صور الشاعر فيها نفسه كما صور غيره من الذين يضجون حوله متعثرين باثقال فقرهم وبؤسهم . فاخاله ينبري لتوه يصور تصويرا خاطفا ما يشاهد وما يحس . يبدو جليا ان مقطوعاته نظمت في الشارع

او في مطعم فيصل ، قرب الجامعة ، دون ان يعيرها الوقت الكافي ليعمل قلمه ثانية في صياغتها ، واني له ذلك وهو معلم مدرسة يقضي كل وقته في تحضير الدروس وتصليح الفروض . واعتقد ان مشكلة التفرغ للشعر والادب هي مشكلة معظم الادباء في البلاد العربية . وعليه جاءت مقطوعاته عفو الخاطر بسيطة لا ابهام فيها ولا تكلف ان في الخلق او الصياغة حتى ولا طول يبعث الى السأم كالحديث الممل وقد تكون هذه بعض المآخذ التي يتذرع بها الشعراء المحدثون الا انها لا تنقص من قدر الديوان ، كونه قبضات من الجمال او كونها مقطوعات انسانية تشير الى اخطر مشاكلنا الاجتماعية في بدء نهضتنا وحياتنا الاستقلالية . صحيح انه لا يتعمق في التفاصيل ولا يذهب بعيدا في مجاهل النفس من موضوعاته الا انه يبدع في التصوير والايحاء ويترك الباقي للخيال الخصب . ولا شك ان مطالع الديوان يقف على عنصر الثورة المتغلغل في معظم القصائد تغلغل النور في العين . ذلك النور الذي يضطرم ولا يروع ، كما ويلمس محبة جريحة وعين بصيرة ترى ولكن ليس في اليد حيلة .

واما ما يصوره الشاعر عن نفسه وحياته فهو يصور قلقه الدائم ووحشته المريرة وحياته الساكنة الهادئة التي ملها فلا امراة حنون تهدهد الامه وتطيب احلامه ولا سقف يرف بالمنى ولا بيت يضج بالصغار فراغ رهيب مكشر في اعماقه وحياة يعكرها السكون . فاسمعه في اولى قصائده « سنونو » يقول :

اني سئمت العيش في ظل يعكره السكون
طيري فسقفي لم يزل رحبا وحوضي فيه طين
شيدي الذي تهوين من عش تقر به العيون
فغدا تزقزق فيه افراخ لها صوت حنون
فيرف سقفي بالمنى وترف بالامل الجفون
غني فيا للطين بالمنقار ذوبه الحنين

وفي قصيدة « شراع » يختمها قائلا :

لتجر الريح ما شاءت فاني
شددت بكل عاصفة شراعي

واما في قصيدة « بعث » التي نظمها على اثر وفاة والدته ، في هذه القصيدة هو مشكك حائر في سر هذه الحياة يقول في اخرها :

رواية عمر احكم الدهر نسجها
وسيان عمر المرء في المهد واللحد
فيا رب عفوا ان يضل بي الهوى
فانت سكبت الشك يا رب في قلبي

ويبلغ الذروة من الانشاد في قصيدة « امي » التي نظمها على اثر حلم رأى فيه والدته تسأله عن عافيته وهي من ارق القصائد واسماها عاطفة يبدأها بقوله :

ذكرتك بلسما يشفي جراحي
وريشا ناعما يكسو جناحي

ويختمها بقوله :

ولولا طيفك الغالي لضاقت
بي الدنيا على رحب البطاح

واما ثورة شاعرنا فتبدو في كل من قصيدة « خادم » « بائع البسكوت » « عارية » « البناء الشريد » وغيرها :
ففي قصيدة « خادم » يقول :

قانع بالعيش راض بالمكاره
ما تشكي الناس يوما من جواره
انما دنياه ضاقت بعدما
كثر الشاكون في ارجاء داره

وهكذا الى ان يختمها بنداء الى رواد المطاعم اللجوجين :

فترفق اذ تراه عاثرا
واذا انصفت خفف من عثاره
رب صحن فر من راحته
حين لاحت فيه اطياف صفاره

وفي « بائع البسكوت » يقول :

يا بائع البسكوت ما طعمه
هلا كفاك العيش يا بائع
يا جائعا والزاد في كفه
شبيه شعب خانه الطالع
بالله لا تغضب على موطن
ما فيه الا الشارد الضائع
حكامه لاهون عن امره
وكلهم في عرشه طامع

هذه بعض نماذج خاطفة من الديوان ، قصائد زاخرة بجمال التعبير وموسيقى عذبة تترقرق في كل وزن وقافية وروح نبيلة متالمة تتغلغل في كل مقطوعة . ترى الا تكفي جميع هذه العناصر ان تجتمع في الديوان لتجعل منه شعرا يستحق كل اعجاب وتقدير ؟

يعقوب حوراني
الجامعة الاميركية ببيروت

محمد

للدكتور علي شلق ـ ملحمة شعرية ـ ٧٧ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

●

يقول المستشرق الالماني فرنو في كتابه « يقظة العالم الاسلامي » ان الشرقيين عندماتحيطبهم المشاكل وتعترضهم المصاعب يلجأون الى الدين لانقاذهم مما هم فيه . وهذا قول فيه كثير من الحقيقة على ان يحسن فهمه . فالمستشرق المذكور لا يعني انهم يحلون مشاكلهم ويتغلبون على مصاعبهم بالصلاة وتلاوة الاوراد ، ولكنهم يلتفتون الى الدين ليستمدوا منه دستورا يسيرون على هداه ويؤسسوا تحت لوائه رابطة تجمع شملهم وتوحد قواهم ، وليست الحركات الدينية ، كالصوفية في ايران والسنوسية في ليبيا ، والتيجانية في المغرب ، والمهدية في السودان ، والاخوان المسلمين في يومنا هذا ، الا امثلة على ما ذهب اليه المستشرق الالماني .

وقد جاء الرسول الاعظم محمد في عصر كانت كل قبيلة فيه امة ، فجعل من ذلك المجتمع المتنافر وحدة ثابتة ، واحل المحبة والتآزر محل الشقاق والتنافر . وكانت معجزته العظمى في ان توصل في مدى عشرين سنة الى ما قدر له علماء الاجتماع ثلاثمئة سنة ، توصل الى خلق امة متماسكة لا تزال وحدتها راهنة ثابتة طوال الف واربعمئة سنة رغم بعد الديار واختلاف الامصار ، ورغم دسائس الدساسين واحابيل المستعمرين

واليوم ، ونحن نرى ثعابين الاستعمار تحيط بهذه الامة من كل جانب ، والمؤامرات تحاك سرا وعلانية ، ومعاول الهدم تتساقط على جدار القومية العربية من الداخل والخارج ، لا نرى عجبا في ان يلتفت شبابنا المثقف الى ذلك الانسان المعجزة ، الى المنشىء الاكبر الذي حورب في كل شيء ليتحول عن عقيدته فلم يتزعزع ، بل ظل مندفعا كالاعصار يجرف الجهل والعداوات حتى انهارت الخصوم وتحطمت اشلاء على قدميه وخرج من المعمعة بدين الهي ودستور مثالي ظلت طوال قرون خافقة اعلامها بين اسوار الصين وبحر الظلمات الى محمد .

وهذا اديبنا الكبير الدكتور علي شلق يطلع علينا بقصيدة في كتاب يحمل عنوان « محمد » ارسلها في الناس تمجيدا لعبقرية معلم لا يحتاج الى تمجيد ولكن الذكرى تنفع المؤمنين كما جاء في الكتاب الكريم . واني لاكبر الدكتور شلق خريج الجامعات الباريسية واغبطه على شاعريته الفذة وايمانه العميق وتفكيره السديد ، فهو لم يؤخذ بما في الغرب من حضارة زائفة ومدنية نخرة ، ولم يرتد شعوبيا كافرا بأمته مستهزئا بحضارتها كاولئك الذين يعودون من فرنسا لا يحملون سوى ما تعلموه من مواخير موتمارتر والحي اللاتيني ، بل تراءت له في ذلك السراب الوهاج تلك المدنية العربية التي انارت الدنيا من ندوات بغداد ومعاهد الاندلس ، مستمدة من وحي محمد نورا هاديا محييا . اجل لم يؤخذ الدكتور شلق بالسراب الخادع بل التفت الى حيث يجب ان يلتفت ، الى مبعث النور ، الى الصحراء العربية التي تهيب بالكون قائلة :

من ، هنا ، من هنا الضياء انا الصحراء ، ثدياي حكمة ورجاء
كلها اظلم الوجود توالت ... من ضلوعي اشعة سمحاء

ولم تكن الجاهلية بنظرة تلك الفترة المظلمة في التاريخ العربي ، بل هي فترة اعداد وتهيئة لعصر مقبل ، انها كما يقول الدكتور شلق :

اي اثم ؟ ما الجاهلية عار ... فهي ابقى على الزمان واخلد
تربة انبتت محمد والاسـلام في جوها العتيق المجد
أورقت فالنجوم ازرارها الغد ... راء والدهر ظلها وشذاها
سجدت عندها الحضارات والتمت شعاعا لدى عباب سناها
عندما قال كل حرف مهيب ... انا منها شرارة ذهبية

وما ان من الله عليها بالقائد الحكيم والربان الماهر حتى نفضت عنها كل ما علق عليها من غبار القرون المظلمة وانبعثت :

امة لمها محمد للانسان ... تبني به غدا ذهبيا
هز منها طليعة فهي زحف ... يمنح الكون رفده العربيا

نقشت بالحوافر السمر ترحا ... ما صدور النجود والوديان
ترسم الارض ، ليس حد سوى حدي ، فتعنو جبابر التيجان

وسارت تنقل الخطى المسرعة في فجاج الارض تهدم باطلا وتبني حقا ، انها خطى الفاتحين الالهيين الذين لا يتركون وراءهم دمارا وخرابا وفقرا واستعبادا كما يفعل قراصنة العصر الحديث من دعاة تمدين الشعوب ، ولكنها خطى تمرع وتخصب ، وتنير وتهدي .

امرعت كل خطوة جدولا اسنى وهزت على الدجى الانوارا

ولا يعدو الدكتور شلق الحقيقة حين يقول :

نحن صفنا الانسان معنى اله ... ونسجنا الحياة فيح جنان
واتي الاخرون بالغاب يحيا ... في حواشي الضمير والوجدان

فقد فتحنا الدنيا لنبني في كل ركن معهدا وفي كل زاوية مكتبة ، لا لنستخرج ذهبا ونستولي على خيرات الغير ثم نملا الدنيا بالدعاوات والاكاذيب لنستر حقيقة ما لبثت ان برزت على لسان غوستاف لوبون حين قال : لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب .

اما الناحية الشعرية في القصيدة فرائعة ، وحسبي ان اشير الى تلك الابيات التي وصف بها الدكتور شلق البعث الجديد الذي تعدى تأثيره الانسان الى الحيوان والجماد :

قال رمل على مسامع رمل: ... جدة في الخيام ، في السمار
اي زهو على المضارب ملحو ... ن غريق في رنة الاشعار
فاستجابت جنادب خفرات ... هزها ضج صاهلات مريده
جيرتي تلكم العروبة في زحف لتبني بالحق دنيا جديده

وها ان التاريخ اليوم يدعونا لنعيد بناء هذه الدنيا ، فبعد ان عادت البشرية بقيمها واخلاقها الى الوراء اخذت تتلفت الى منقذ جديد ، وليس علينا الا ان نعود الى احتلال مكاننا المختار في ركب الطليعة المصلحة المجددة ، « فنحن اليوم ـ كما يقول الدكتور شلق في مقدمة كتابه ـ تجاه الدنيا ، نقول لها ، بانفتاح القلب ، وانعتاق الروح ، وهش المشاعر : لا تبتئسي ، ها قد عدنا ... »

بهيج شعبان

سيكولوجية المرأة

الدكتور زكريا ابراهيم ـ سلسلة الثقافة السيكولوجية ـ ١٧١ صفحة ـ دار مصر للطباعة

●

كنا قد قدمنا للقارىء ثلاثة فصول من هذا الكتاب القيم ، وختمنا التقديم بالعهد اننا سنواصل تقديم ونقد ما تبقى من الكتاب في جزء قادم من « الاديب » . وها اننا نبر بالوعد الذي وعدنا .. فلقد حاولنا في السطور التالية اتمام المهمة التي وضعنا على انفسنا ، ولعل محاولتنا هذه ستوفق .

كان الفصل الاخير من الفصول التي قدمنا : « الفتاة في مرحلة المراهقة » . وفي رأيي ان هذا الفصل اهم فصول الكتاب واخطرها نظرا لانه يبحث اخطر فترة تمر فيها المراة ، فالمعروف ان المراهقة هي قنطرة الطفولة الى الانوثة المكتملة مثلما هي معبر الطفولة الى الرجولة لدى الذكور . ومن هنا تتجلى مقدرة هذه الفترة في تحديد وتقرير مصير

المرأة والرجل ، فكما تسهم خبرات الطفولة في بناء المراهقة (٢) فكذلك يسهم بل يتحكم رصيد المراهقة العنيف والعملاق فاعلية وحيوية في تقرير مصير ما تبقى من العمر والطاقة والخبرات والحيوية .

ولاجل ذلك كان على الدكتور زكريا ان يسهم في التوجيه الاجتماعي البناء لهذه الفترة من حياة المرأة ، لا ان يستعرض خبراتها وظواهرها مجرد استعراض مقرون ببعض الالتفاتات القيمة .. ههنـا تعملـق دراسات الاستاذ سلامه موسى وتنفجر علما وعقلا موجهين ، فلقد بحث الاستاذ سلامه ذلك ببعض التفصيل الطيب في كتابة « المرأة .. ليست لعبة الرجل » وفي بحوثه المتفرقة في « عقلي وعقلك » و « محاولات سيكولوجية » و « دراسات سيكولوجية » ... المهم ان فتاتنا المراهقة يجب ان تحظى بصداقتنا وعطفنا وبرقابتنا الواعية الحازمة في الوقت ذاته . ذلك لان اعصارها المدوي تمردات وتناقضات و « حبا » لا موجه ، انما هو وليد ما تمر به من ازمة في الفيض الهادر من طاقتها واعصابها وفسيولوجيتها عموما ، وليس هو بأي حال من الاحوال «عملا هداما » او نشاطا خبيثا « شيطانيا » .. ولا حاجة ان نقول ان مراهقتنا من دون هذه الرقابة الصديقة العطوفة تنحدر حتما الى الضلال والى الاخطاء المتراكمة عبر الفشل الدراسي والاجتماعي والعاطفي والعملي.. والتي تقود بتوجيه من المجتمع ومن بعض فئاته على الخصوص، الى الهاوية

كما ان مؤلفنا الاخ جانب الحقيقة الموضوعية في خاتمة الفصل حيث قال :

« .. ولعل هذا هو السبب في ان المرأة سرعان ما تنسحب من المجتمع ، فلا تعود تحيا وجودها الخاص باعتبارها ذاتا توجد في «الخارج» وتعمل مع الاخرين بل تشرع في اتخاذ موقف «الاخر» L'Autre الذي يعرض نفسه على الرجل ، ويضع نفسه تحت انظار الرجل ويعمد الى « التمثيل » حتى يجتذب الرجل ، ويصبح مجرد « موضوع » يحكم عليه الرجل ! »

فاين هذا من الحقيقة التي نلمسها دائما في المراهقة .. من انها « تشرع » في تمثل « ذاتها » لا في تمثل « الاخر » ... ومن انها تحيا انانيتها ، هنا .. وخصوصا في الشرق العربي ــ المتاخر ــ بشكل اكثر محسوسية من حياتها الاخرين . اما القول انها تعمد « الى التمثيل » حتى تجتذب الرجل فهذا شكل اخر من تنفس الذات الطاغي في فسيولوجيتها وسيكولوجيتها عموما . واما خضوعها للرجل ، هنـا ، ولمواقفه واحكامه وسيطرته ، فلا يعني ، في محصلة النقاش ، سوى تصاديها وتكيفها ، بالتالي ، مع الموقف والعالم المفروض والموجود سلفا امامها ..

والان ، فاننا مع «المرأة في حياتها الزوجية » ــ وهو الفصل الرابع كما اسلفنا ــ وفي هذا نفترض مع المؤلف ان مراهقتنا ، بعد كثير من الحب الخائب و « المغامرات المقتبسة من الخارج » لدى البعض ، واعراض الحمق الانثوي الارعن المتقلب، بسوء او حسن نية، بين «الحب الفراشي» والحب العاهر والحب السادي او المازوشي.. ، ان مراهقتنا «المسكينة» هذه قد تزوجت ، وقد حققت حلمها الازلي .. واذن فهي زوجة .. وهنا فان سيكولوجية المرأة الزوجة تختلف نسبيا عن سيكولوجيتها مراهقة.

نحن مع المؤلف الاخ في تأثير مبدأ « المساومة » و « المقايضة » و « الصفقة التجارية » وتاثيره الشعوري واللاشعوري على الزوجة في مستقبل وواقع علاقاتها الزوجية والعائلية . واذا كانت الاسرة تعتمد على الزواج الموفق (٣) ولا اقول السعيد ، في الحفاظ على توازنهـا وبنائيتها ، فان الاسرة مدعوة ، بالتالي ، ان تنغم وان تموضع كثيرا من الخبرات والتعاونات بل وحتى ببعض الوان « الخيبة » الزوجيـة . والمؤلف ، هنا ، يتحدد كثيرا « بالنطاق الضيق » الذي افترضه لنفسه منذ البداية ، ولذلك فاننا لا نجد لديه الا لمحات وخطفات غنية في بعض ابعادها بالحقيقة .

لقد اشار المؤلف الى نظام وحدانية الزواج باعتباره النظام الافضل والامثل للاسرة الانسانية . وناقش المؤلف ــ خطفا ــ بعض مفاهيم سيمون دي بوفوار الوجودية فوفق فيما ناقش توفيقا نهنؤه عليه : « حقا ان الزواج شيء اكثر من مجرد « رابطة جنسية » وسواء اكانت هذه الحملات هي وليدة عقدة « الذكورة » ، ام كانت مجرد تعبير عن رغبة الكثيرات في التحرر من تبعات الزوج ، ام كانت مجرد تقرير لحقيقة واقعية هي سأم المرأة من الحياة المنزلية ، فان من المؤكد في نظرنا ان « الزواج » ليس نظاما اجتماعيا فاشلا ، كما تزعم سيمون دي بوفوار . ولسنا ندري كيف تزعم هذه الكاتبة ان « الزواج » يقضي على شخصية المرأة ، ويحيلها الى مجرد كائن تافه عديم الاهمية ، بينما هي تعترف بان اكتمال نمو المرأة الجسمي والنفسي لا يتم الا بالامومة . اما الزعم بان الزواج يقتل الحب (٤) ، وان من الواجب ان نسمح للمرأة بان تفصل بين حياتهـا الزوجية وحياتها الجنسية ، فهذا قول اقل ما يقال فيه انه يهدم نظام الاسرة من اساسه ، وانه يغلب مصلحة الفرد على مصلحة النوع . ولسنا نزعم ان المرأة هي مجرد خادمة للنوع ، ولكننا نعتقد انه قد يكون من الخطا ان نضحي بالطفل على مذبح الحرية الجنسية النسوية .. وحين يقول ــ وكل انسان معه يقول ــ : « والا فكيف جاز لسيمون دي بوفوار ان تقول ان الزوجة تريد ان تشارك زوجها حياته الزوجية ، وان تشترك معه في خلق عش سعيد ، وتربية اولاد صالحين ، ولكنها في الوقت نفسه تريد ان تتذوق ضروبا اخرى من العناق .. » ههنا تتأنسن كلمات المؤلف العلمية باتم ابعاد التانسن .. انه ، هنا ، الانسان يحارب الظلام والموت والغابة .

ولا شك ان الزواج شركة حياتية موفقة ان تناغم الزوجان افكارا

(١) راجع : الاديب اغسطس ١٠٥٧ ــ مكتبة الاديب ص ٥٢

(٢) لعلي استطيع تقديم دراستي عن « المراهقة في الاقطار المتأخرة» الى مجلة الاديب .. قريبا .

(٣) لقد بحثنا ذلك بتفصيل في دراستنا « المرأة بين الانثوية والانسانية » .

(٤) في رأينا ان هذا « المبدأ » في الحياة والزواج هو شر انتاجات ترسانات الفوضى .. الفوضى الغابية جوهرا والبشرية مظهرا .

واستجابات وحبا وعقلا وعاطفة . وما دام هذا الزواج – المثالي ، والخيالي – لا يتحقق الا بالقدر الاضال فان حديثنا عنه سيكون مجرد حلم .. وهنا يمر بنا المؤلف سريعا ولكن بضربات معلم على اهم ما يثيره الزواج من مواضيع ومشاكل . والحق ان الزواج لدينا مشكلة ومعضلة بقدر ما يشكل المجتمع ذاته وتتعقد مفاهيمه ونظراته .

لقد وصلنا الان الفصلين الخامس والسادس وهما يبحثان المراة « في دور الامومة » و « في سن اليأس » . وهنا فاننا لا نملك الا ان نشد على يدي مؤلفنا لما في دراسته – عبر هذين الفصلين – من زخم هدار للحقيقة العلمية مصبوبة في النسخ الادبي المتفلسف . يعالج الدكتور هنا – فيما يعالج – العقم واثر العامل النفسي فيه – وهذه التفاتة غير مسبوقة – ويعرج على الامومة بارجاعها العاطفية وعلى تجربة الحمل وثنائياتها ، والجنين ، والاجهاض ، وسيكولوجية المراة المرضع . ولا حاجة ان نقول ان :

والام مدرسة اذا اعددتها   اعددت شعبا طيب الاعراق

كما يقول الشاعر العربي اما « سن الياس » فكان يمكن ان يكون اكثر واقعية ودقة وانسانية لو سمي « سن الحكمة » كما يقول سلامه موسى ومع ذلك فان سيكولوجية المراة – شيخة عاشت طيبها الموضوعي في دراسة مؤلفنا المركزة ، بشكل نغبطه عليه .

وليس لنا في الختام الا ان نقول مع المؤلف في الخاتمة : « وننظر الى المراة على انها انسان قبل ان تكون انثى » فالحق ان هذا هو محور كل دراسات الباحثين ، وهو بعض معطيات كتابنا القيم الذي نقدنا ، والذي نحاول ان ندرسه تفصيلا ، بتصحيح اخوي بناء عبر دراستنا الماثلة للطبع : « المراة بين الانثوية والانسانية » .

كلمة واحدة .. لتقتن كل اخت عربية « سيكولوجية المراة » لعلها تستطيع ان تهضم الحكمة الخالدة : « اعرف نفسك ! »

بغداد   **جليل كمال الدين**

الشعر العربي في المهجر : امريكا الشمالية

للدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم – ٢٩٢ صفحة
منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ببيروت

●

اهتم الباحثون والادباء في الاونة الاخيرة بدراسة الشعر العربي في المهجر ، وقد كان لبعض هذه الدراسات الادبية صدى بعيد في المحافل الجامعية والندوات الادبية ، فمن مؤيد لقيمة هذا الشعر ومن متحامل عليه ، ناكر لتأثيراته في الادب الحديث . غير ان اكثر هذه الدراسات انصبت على المظاهر دون الجواهر ، واهملت النواحي الفنية الخالصة ، تلك الطريقة المثلى والكفيلة بمعرفة اهمية الشعر المهجري ، من حيث الصياغة والاتجاه الفني والثراء الروحي .. ومهما يكن من امر هذه الدراسات وتفاوتها بالقيمة والنجح ، فان المنصفين من النقاد والباحثين ، يحفظون لهذا الشعر الجديد اهميته البالغة وتأثيره العميق في تيار الشعر الحديث ، ونهوضه كحركة عميقة سعت الى غرس قواعد ثورة روحية وفنية ، تميزت بها مقطوعات هؤلاء الغرباء الاذكياء ، الذين حملوا لواء التجارة والادب في المهاجر ، فأتيح لهم ان يعانقوا النعيم والحرية حينا ، ويتقلبوا في نار الشقاء والخيبة احيانا كثيرة ..

والحق ان الشعر المهجري قمين بالدراسة والاهتمام الزائد، وبخاصة دراسته على نحو تحليلي فني ، وهذا هو بالذات ، ما حدا بالمؤلفين الفاضلين احسان عباس ومحمد يوسف نجم الى العناية به ، والتوافر على كشفه . قال المؤلفان في مقدمة الكتاب انهما حاولا دراسة « نتاج هذه المدرسة الشعرية الاصيلة – التي تعتبر اقوى مدرسة في شعرنا الحديث تمسكا بالقاعدة الفكرية وتمثلا للمذهب الفني – دراسة تقوم على الاستبطان والاستقراء وتحليل النموذج من الداخل ، لننفذ منه الى القاعدة » واحسب ان هذه الطريقة الجديدة اذا وافاها النجاح والاستواء فانها ستكون نافذة نقدية مقبولة للنفاذ الى معادن الشعر وتفسير الادب وتذوقه

والكتاب يتناول الشعر المهجري في امريكا الشمالية ، وقد انصب البحث في الفصل الاول من الكتاب على دراسة احوال لبنان في القرن التاسع عشر ، احواله الاقتصادية والسياسية ، وهو عرض موفق يشير الى نتيجتين هامتين الاولى : بيان اثر السياسة الاقطاعية والتحكمية في ظهور طبقة برجوازية مستضعفة من صغار الملاك والفلاحين ، وكيف ان الطبقة المثقفة التي نشئت في مدارس التبشير ارتبطت مصالحها بمصالح الطبقة الانفة الذكر ، فكان ادبها تعبيرا عن البرجوازية اللبنانية الناشئة وما يصحبها من ميلاد الفردية والمنافسة والتنكر للمثل القديمة من النواحي الدينية والاجتماعية . وثانيتها : ان ادب هؤلاء المجددين تميز بلون رومانطيقي ، ظهر نتيجة لعوامل لا تختلف عن العوامل التي ادت الى ظهور المدرسة الرومانطيقية في اوربا .

وبمعنى اخر ان هؤلاء المجددين الذين نشأوا في عهد التحرر الفكري وتفتح شخصية الفرد اللبناني ، وتدهور السياسة والاقتصاد ، ملت نفوسهم البقاء في سفوح لبنان فقصدوا المهاجر يلفهم اليأس الرومانطيقي ، وخلقوا فيها حركة ادبية جديدة ، في مصر حيث المدرسة السورية المتمصرة وفي البيئة الامريكية التي أثمرت هذا الشعر الرومانطيقي ، الذي هو عصارة شعرية لروحانية الشرق ونوازع الاغتراب والام الوحدة .. فدراسة الاحوال اللبنانية في القرن التاسع عشر كانت نقطة الانطلاق الى دراسة هذه العناوين الكبيرة والتي تشمل بحث الامور الاتية : الثورة على الثنائية – عودة الثنائية – الغاب – الانسان – التجدد والعدم – الحنين والهرب .

والملاحظ ان قضية الثنائية ، من خير وشر ، وعقل وقلب ، ونفس وجسد ، ومسألة الرجوع الى الغاب ، تلك اليوتوبيا التي يتحقق فيها الخلود او صورة المطلق ، اقول ان هذه المسائل الفلسفية هي التي ملكت قلوب شعراء المهجر الشمالي ، وشغلت منهم النفس والخيال . لذلك كان من الصدق والعمل الفني الكريم ان يتناول المؤلفان تفسير هذه الاغراض بدقة وشمول وتحليل قصائد شعراء المهجر عن طريق ملاحظة العلاقة والتأثير فيما بينهم ، ثم مواكبة نموهم النفسي ، ومعالجة الاثر الذي تركته الثنائية في نتاجهم وحياتهم .. وقضية الانسان ، واضطرابه في مسارب التجدد والعدم ، واصطراعه مع رياح الحنين والحدب ، هي الاخرى من المعاني التي نبتت بشراهة في الشعر المهجري.

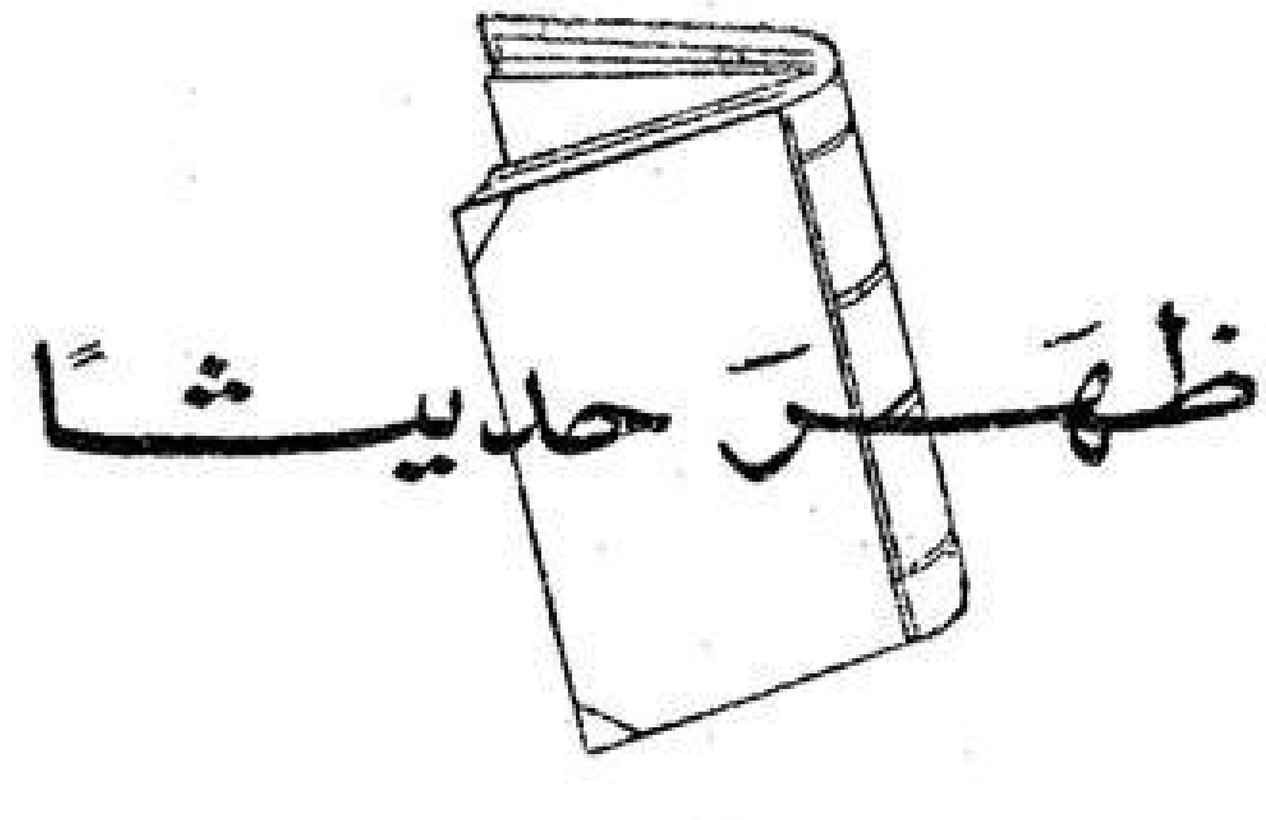
وحين حاول المهجريون القضاء على الثنائية وارتموا في احضان الغاب، فانهم حاولوا التخلص من المواضعات والتقاليد .. ولكن الدين – بثوبه المسيحي – كان يمثل خلقا سويا في الغاب . فعلى المحبة يقوم دينهم الذي عليه نشأوا . وقد اثبت الغاب انه شيء مثالي ، وعجز رائدهم جبران عن تحقيقه ، فعاد الى النفس ، الى الانسان ، ذلك الذي كان يؤلهه اولا ثم ازدراه بعد ذلك . وعلى امراس الانسان اذن تقطعت اقلام الشعراء المهجريين ، فكان ان حملت قصة الانسان احدهم ، وهو ابو ماضي ، الى نفض الرومانطيقية ، والتعرف الى الذات الداخلية ، فوجدها منبع الحقيقة ثم قضى على ذلك بشماتته من مصير الانسان والتهكم منه. ولكن الاهتمام باحوال النفس انجبت النزعة الزهدية ، وروح التصوف ، المشرب بالحنين الى الطفولة والوطن ، حتى ان هذا الشوق العارم الى الغاب ، او الى نار ارم ، يمكن ان يكون اساسه العميق هو الحنين الذي يشد المهاجر الى وطنه ويملك عليه اقطار نفسه .. فتلك سمة نلمسها بوضوح في مواضع كثيرة من شعرهم .

ثم ينتقل المؤلفان بعد دراسة هذه الاغراض الشعرية الى الحديث عن الشعراء في الباب الثاني من الكتاب ، ويتناول الحديث عن ابي ماضي ، ميخائيل نعيمة ، نسيب عريضة ، ندره حداد ، رشيد أيوب .
وهذا القسم من الكتاب لا يختلف بكثير عن خطوط القسم الاول . وانما هو اصداء للاغراض الاولى التي ذكرت مسبقا . غير ان البحث هنا يكتسب سعة من حيث التمثيل ومقارنة الشواهد . وهنا يساير المؤلفان نمو الشعراء النفسي من خلال دراسة دوواوينهم ومراحل حياتهم الفنية دون ذكر التواريخ المطولة والارقام والاحصاءات . بل ان التحليل يظهر على اتمه وبخاصة تحليل اثار ابي ماضي ، فقد استنزفت دراسة هذا الشاعر صفحات اكثر من الشعراء الباقين . ولعل هذا راجع الى نواحي التدرج في اهمية الشعراء .

على ان ذلك لا يمنعنا من ذكر بعض الملاحظ حول امور اهملها المؤلفان عن عمد او ايشار للسلامة . ونشير هنا بوجه خاص الى كلامهما عن قصيدة (الطين) لابي ماضي . فقد عرفنا ان قصيدة الطين كما ذكر الاستاذ روكس العزيزي مستقاة فكرة وجوهرا من شاعر بدوي اسمه على الرميثي . وقد جرت مناقشات حول هذا الموضوع على صفحات الاديب الغراء ، ساق فيها العزيزي شواهد وادلة على صدق دعواه ، وما دام الامر كذلك فيتوجب على المؤلفين ان يتحققا من صحة هذا الراي ، فيأخذا به أو ينصرفا عنه . اما الوقوف بين بين فهو طريقة لامبالية للتخلص من التبعات الادبية ، وقولهما (ان كلا الشاعرين حتى ولو اتفقا في اللفظ انما يعبر عن روح فلسفية عميقة في نظرة امته الى العلاقات الاجتماعية بين الناس) ـ لا يضيف الى القضية شيئا جديدا .

ومرة اخرى نحمد للمؤلفين الكريمين هذا البحث النقدي الجديد، ونرجولصداقتهما الروحية والذوقية ان تثمر المزيد من العطاء الادبي الشهي .

العراق ـ البصرة — عبد الرحمن علي



ظهر حديثاً

- التربية في المرحلة الثانوية في الاقطار العربية ـ الحلقة الدراسية الثالثة لدراسة المشكلات التربوية في البلدان العربية ـ يحتوي هذا الكتاب على تقارير هذه الحلقة المنعقدة في الجامعة الامريكية ببيروت من ٤ الى ١٧ اغسطس ١٩٥٦ لدراسة التربية في المرحلة الثانوية ومناقشتها والتوصيات التي نجمت عنها . وقد عنيت دائرة التربية في الجامعة الامريكية التي يراسها الاستاذ حبيب امين كوراني بجمع هذه المواد ونشرها قصد تعميم الفائدة منها ـ ٢٢٥ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الكتاب ـ لبنان .
- الفواغي ـ مجموعة شعرية ـ للامير صقر بن سلطان القاسمي امير الشارقة وتوابعها ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ اللوحات بريشة ناظم الجعفري ـ الخط والزخارف بريشة محمد ناجي ـ المطبعة العمومية بدمشق
- بين عالمين ـ الجزء الاول ـ تأليف عبد اللطيف اليونس نائب صافيتا بالمجلس السوري ـ ٢٠٢ صفحة ـ مطبعة الجمهورية بدمشق .
- العالم العربي ـ تأليف الدكتورة نجلا عز الدين ـ ترجمة محمد عوض ابراهيم ومحمد دويك والدكتور محمد يوسف نجم وبرهان الدين الدجاني ـ مع مقدمة بقلم الدكتور وليم ارنست هوكنج ـ وتصدير بقلم حسن جلال العروسي المحامي ـ ٥٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه [؟] ـ لم يذكر اسم المطبعة .
- مبادئ من باريس ـ مجموعة قصص ـ تأليف ممدوح مواود ـ ١٠٨ صفحة ـ مطبعة الثقافة بحلب .
- حقيقة اخوان الصفاء وخلان الوفاء ـ تأليف عارف تامر ـ ٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب الثالث من سلسلة نصوص ودروس ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .
- فارس غرناطه وقصص اخرى ـ تأليف محمد المجذوب ـ طبعة ثانية ـ ١٢٤ صفحة ـ مطبعة الكشاف باللاذقية سورية .
- مدارس المقاصد ـ البيان السنوي [١٩٥٧ـ١٩٥٨] لمدارس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مع عدة صور ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .
- صوت من الجزائر ـ شعر ـ لكاظم محمد حسين ـ ٣٦ صفحة ـ مطبعة الشباب ببغداد .
- أزمة الشرق الاوسط ـ تاليف غاي ونت وبيتر غالفوركوريسي ـ ترجمة الراصد العربي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع فصول ببيروت .
- الاغاريد ـ ديوان شعر باللغة العامية ـ لشاكر سليمان صاحب مجلة السلوى التي تصدر في نيويورك ـ مع مقدمة بقلم ابراهيم سويد ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق فاخر ـ مطبعة خروب التجارية بديترويت مشيغن بنيويورك .
- ادب المرتضى ، من سيرته وآثاره ـ تأليف الدكتور عبد الرزاق محي الدين ـ رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه في الاداب من جامعة القاهرة ـ ٣٠٥ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة المعارف ببغداد .
- الاوراق الملونة ـ مجموعة قصص ـ تاليف جاسم محمد الجوى ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد .
- مم وزين ـ تحفة الشاعر الكردي الكبير احمد الخاني ـ ترجمها بتصرف محمد سعيد رمضان البوطى ـ ١٧٢ صفحة ـ مطبعة الترقي بدمشق .
- المحفوظات المدرسية للصفوف الابتدائية ـ اختيار عبد الحميد البكر مدير معارف لواء البصرة ورزوق فرج رزوق استاذ الادب العربي في دار المعلمين الابتدائية بالبصرة بالعراق ـ ٨٠ صفحة ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .
- الارشاد الزراعي ـ تأليف لنكولن دافيد كيلسي وكانن تشايلز هيرن ـ ترجمة محمد محمد العلم ـ مراجعة مصطفى الفار ـ ٣١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .
- رياح الدروب ـ شعر ـ لراضي مهدي السعيد ـ لوحة الغلاف بريشة غازي السعودي ـ ١٣٦ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .
- رسائل التعليقات ـ الطبعة الثانية ـ لمعروف الرصافي ـ مع مقدمة لنعمان ماهر الكنعاني ـ ٢٤٧ صفحة ـ قام بنشرها عبد صالح ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

هذا العام ١٩٥٧ قامت ثلاث طائرات من طراز (ب-٥٢) تابعة لسلاح الجو الاميركي برحلة حول الارض اتمتها في اقل من يومين اذ قطعت المسافة في ٤٥ ساعة و١٩ دقيقة دون توقف .

وبين هذين الرقمين القياسيين يضربهما الطيران في خلال ٣٣ سنة يستطيع المرء ان يتتبع جليا مراحل التطوير والتحسين التي ادخلت تباعا على وسائل الطيران وهي تحسينات مهما بدا عليها من مجازفة ومخاطرات فكل منها قد ساهم في تقدم الطيران . بحيث اصبح السفر جوا حول الارض او الى مسافات بعيدة امرا عاديا بالنسبة لشركات الطيران التجاري ولاصحاب الاعمال .

واذا ما دقق المرء مليا في التصاميم الفنية التي يضعها مهندسو شركات الطيران للمستقبل الطالع لرأى بينها ما يدهش حقا فالمسافرون الذين يطيرون شرقا بسرعة الف ميل في الساعة أي بسرعة دوران الارض على نفسها ، يرون الشمس كانها ثابتة بمحلها في الفضاء لا تتحرك وتبدو لهم في شروقها وغروبها مرتين في النهار .

فنبؤات الروائي الفرنسي جول فيرن الذي وضع عام ١٨٧٢ روايته « حول الارض في ٨٠ يوما » ، نراها تتحقق اليوم في ثمانين ساعة بدلا من ٨٠ يوما ولا شك انه قبل غروب شمس هذا القرن سيتمكن الانسان من الطواف حول الارض في ثمانين دقيقة .

عودة زبلين

●

قد تعود مناطيد زبلين الى الظهور لو تحققت امال المشتغلين بالطيران كما عبروا عنها اخيرا في فريد ركسهافن في المانيا . وهذه المشروعات تعززها الحقائق والارقام فاول ما يبشر بتحقيق هذا الامل هو ان اجزاء من مؤسسة زبلين قد نجت من اضرار الحرب العالمية الثانية ولهذا فان المال موجود ولو انه قد لا يكفي لاعادة بناء سفن طائرة لاستعمالها في عبور المحيط .

ومع ذلك فان المهتمين بالشروع يأملون ان يوفقوا الى جمع مبلغ كبير من المال يكفي لبناء منطاد جديد وذلك اذا تمكنوا من اقناع الناس بان السفر في المناطيد عبر المحيطات قد يكون اوفر راحة من السفر بالطائرات النفاثة .

ويمكن ان تلخص المزايا التي يمكن للمسافر بالمنطاد ان يحصل عليها في عـدة اشياء ، ذكرها ماكس بروس وهو القائد الاسبق لاخر منطاد زبلين المعروف باسم « هندنبرج » وهي :

ان المسافر بواسطة المنطاد يمكن ان يتمتع براحة ورفاهية اكثر من افخر انواع الطائرات النفاثة . وذلك لان كل مسافر ستكون له غرفة خاصة وسيكون الفراغ الذي يخصص للراكب في المنطاد اكثر اتساعا بمعدل ١٥ ضعفا من الفراغ الذي يخصص للراكب في الطائرة وذلك لان راكب الطائرة يخصص له متران مكعبان في حين ان راكب المنطاد يخصص له ٣٠ مترا مكعبا .

وسيكون في المنطاد حجرة طعام واسعة لها نوافذ مما يسمح للمسافرين بان يتمتعوا بمنظر فريد للجهات التي يمرون فيها .

وكذلك في المنطاد لا يسمع المسافرون ضجيج الالات كما يحدث في الطائرات وخاصة النفاثة منها .

ومع ذلك يعترف انصار المنطاد انهم لا يمكن ان يباروا الطائرة في سرعتها بسبب وزن المنطاد الكبير الذي يزيد على وزن الهواء ولكنهم يقولون انهم يريدون ان يقوموا بخدمة هؤلاء الذين لا يحبون السرعة الكبيرة التي تنقلهم بها الطائرة ، بل يريدون ان يتمتعوا برحلة بطيئة لطيفة في الجو .

ويذكر القراء ان منطاد زبلين قد استغرق في رحلته من المانيا الى ريودوجانيرو في البرازيل ٧٢ ساعة . وكان المنطاد يقلل من سرعته في كثير من الجهات حتى يسمح لركابه بان يتمتعوا بالمناظر الطبيعية الجميلة في بعض الجهات المشهورة .

يقول انصار المنطاد انه اسلم طريقة من طرق السفر في الجو وذلك بشرط ان تستعمل فيه محركات ديزل وان يطير بواسطة غاز الهليوم .

وقد كان الخطأ السابق الذي حدث في منطاد هندنبرج هو استعمال غاز الهيدروجين السهل الاشتعال في محاولة اقلاعه من مطار ليكهرست منذ ١٩ عاما . وكانت نتيجة ذلك ان انفجر المنطاد وسبب كارثة كبيرة اذ مات ٣٣ شخصا .

وباستثناء هذه الحادثة الوحيدة لم يحدث لاي راكب من ركاب مناطيد زبلين أي حادث خطير من أي نوع .

ان تكاليف بناء المنطاد صغيرة ، بل هي اقل بكثير من تكاليف بناء الطائرة النفاثة . كما ان عملية البناء لا تحتاج الى اجراءات معقدة على الارض مثل الطائرات الاخرى .

ومن اجل هذه الاسباب كلها يسعى انصار المناطيد الى اعادة استعمالها .

في كلمات ...

● صرح الدكتور تو لي لو عضو لجنة الابحاث بمعهد السرطان الاهلي بوشنطن بانه وجد ان ثلاثة عقاقير من مبيدات الجراثيم قد نجحت اكثر من سواها في الوصول الى الاورام السرطانية . وقال ان المبيدات نفسها لن تشفي من السرطان ولكن المأمول ان تستخدم كحوامل لنقل العقاقير الشافية الاخرى . واوضح انه لا بد من اجراء البحوث الكثيرة قبل محاولة معالجة السرطان بهذه الطريقة .

● اعلن في لندن المسؤول عن اجراء التجارب العلاجية ضد مرض السرطان ان ثمة علاجا يجري اختباره بعد ٣٠ سنة من الابحاث اخذ يعطي استجابة اساسية افضل مما كان متوقعا .

ويعالج الاطباء الان في مستشفى سانت توماس بلندن مرض السرطان بالاشعة المجهولة المنبعثة من قنبلة كوبالت في اسطوانة فولاذية كثيفة مملوءة بالاوكسجين المضغوط . وتنوي خمسة مراكز اميركية تبنى هذه الطريقة للمعالجة .

● اعلن علماء كنديون بانهم توصلوا للحصول على جراثيم واقية ضد مفعول لقاح النباتات الخيمية المسبب الاساسي لرشح الكبد . وقد استخرجت هذه الجراثيم من مصل دم حيوانات ادمجت قبل ذلك مع اللقاح المذكور .

● يأمل علماء جامعة كاليفورنيا في الحصول سريعا على كميات كافية من هورمون يدعى « سوماتو تروبين » يستخرج من الغدد النخاعية للحيتان لاستخدامه في علاج السرطان واضطرابات النمو في الجسم البشري وغيرها من اضطرابات التمثيل الغذائي .

● كانت لورا مكدونلد وهي طفلة في الشهر العشرين من عمرها محكوم عليها بالموت بسبب اصابتها بسرطان حاد في الدم . وقد فشلت كل انواع العقاقير في علاجها واخيرا جرب الاطباء نوعا جديدا من العلاج عليها اذ عرضوا جسمها كله لاشعة اكس فترة طويلة للقضاء على نخاع العظام الذي كان يخلق كرات دم شاذة ، ثم اخذوا ٤٠ سنتيمترا من السائل النخاعي من شقيقة الطفلة التوأم وحقنوها به في مجرى الدم .

وغادرت لورا المستشفى في حالة طيبة بعد ان عاد دمها الى حالته العادية تقريبا واختفت علامات سرطان الدم منه ومع ذلك فان الاطباء يرفضون التنبؤ بالمدى الذي قد يستمره هذا التحسن .

● صرح الجراح الدكتور ادغار برمان ، من بلطيمور امام كلية الجراحين الدولية انابدال قلب معطوب بقلب سليم قد يصبح ضمننطاق الاشياء الممكنة . فقد اعلن انه قام معاثنين من معاونيه بعملية نقل القلب من كلب الى اخر . وقال انه قام بعزل القلب ثم بنقله الى كلب اخر وان ذلك القلب شرع ينبض من تلقاء نفسه كما امن عملية الدورة الدموية مدة ساعتين . واضاف الدكتور برمان انهذه العملية تعد تقدما كبيرا نحو امكانية ابدال القلب المعطوب بقلب سليم عند الانسان .

● اعلن راديو بكين انه يجري الان اختبار قلب من البلاستيك صنع في شانغهاي على الحيوانات واوضح الراديو ان هذا القلب تمكن حين استخدم في كلب من المحافظة على الدورة الدموية مدة ٢٠ دقيقة وقد اجريت ست تجارب من هذا النوع منذ شهر اغسطس

● اكتشف العلماء نوعا جديدا من الهرمونات الصناعية يدعى « تريدو ثيروتين » ثبت ان اثره فعال في علاج حالات الغدد النكفية المتضخمة بدلا من اجراء عملية جراحية لذلك.

● أعلن احد اطباء الجراحة اليابانيين وهو الدكتور تيفوشي انه من الممكن تجميد الدماغ اثناء اجراء بعض العمليات الجراحيةالخاصة بالقلب مدة تبلغ ضعف المدة التي يجمد فيها الدم في جسم الانسان اثناء العملياتالجراحية التي تجري له .

● تمكن عالم امريكي يدعى ستيفن هوفارت من اعادة الحياة الى عدد من الفئران فيمعمله بعد ان توقف قلبها عن العمل ٩٠ دقيقة . وقد كشف العالم عن هذه المحاولة امامالجمعية الفسيولوجية الامريكية وقال : ان هناكطريقة يستطيع بها خفض درجات مئوية تقريبا حتى يتوقف القلب تماما وتبدأ بعد ذلك عمليةاخرى لرفع درجة الحرارة قليلا تجعل القلب ينبض مرة اخرى .

● صرحت طبيبة من رومانيا في مؤتمردولي لفن المعالجة الطبية بان استخدام عقار النوفوكايين في معالجة المتقدمين في السن اسفر عن نتائج طيبة واضافت الدكتورة اسلان من بوخارست تقول ان تجاربها التي اجرتها في معالجة اكثر من ٥٢٠٠ شخصبعقار النوفاكيين اثبتت ان بعض اعراضالشيخوخة كالضعف العام او الضمور والشيب تختفيبعد استعمال هذا العقار لمدة تتراوح بين سنة واحدة وثلاث سنوات ..

● جاء في تقرير لعلماء النفس في جامعة ماكجيل ان استخدام بعض العقاقير المنومة التي يدوم اثرها حتى ثلاثين يوما نجح في تحسين حالة كثيرين من المرضى المصابين باضطرابات عقلية ممن فشلت معهم وسائل العلاج الاخرى .

● قام ثلاثة من الجراحين بمستشفى بوسطن بعملية تطعيم كلية املا في انقاذحياة فتاة في الرابعة عشرة من العمر تعطلتكليتاها عن القيام بوظيفتهما وقد اخذ « المطعوم » من كلية شقيقة الفتاة السليمة بعد ان اصرتهذه على اعطاء احدى كليتيها لاختها ويبدوانالعملية نجحت نجاحا تاما وان الاختين توأمين في حالة طيبة . لكنه اوضح في المستشفىحيث اجريت العملية انه ينبغي الانتظار مدة ٧٢ ساعة للحكم بصورة اكيدة على قيام الكلية المطعمة بوظيفتها .

● بات من الممكن الان تجفيف العيون المستأصلة من الموتى وحفظها لامد طويل . وكان على الاطباء القيام بعملية نقل العين من الميت الى المريض في غضون ٧٢ ساعة على

الاكثر وقد تعاون العلماء مع مركز ابحاث جراحة العيون في مستشفى والتر ريد العسكري باستنباط هذه الطريقة الجديدة لتجفيف القرنية وحفظها في محلول الفليسرين

● اعلنت وزارة الصحة الكورية ان حوادث شلل الاطفال تتزايد في كوريا الجنوبية بشكل يبعث على الهلع وانها تسعى جاهدة الان لوقف الانتشار الواسع لهذا المرض .

● تبدا قريبا في جنوب افريقيا تجارب على مصل جديد للوقاية من شلل الاطفال يمكن اخذه عن طريق الفم ويكفل للانسان حصانته مدى الحياة من هذا الوباء الخطير . وقد تم اعداد المصل الجديد في المعامل الامريكية ويختلف عن الانواع المستعملة الان في انه ينتج عن فيروسات حية غير مؤذية بدلا من الفيروسات الميتة والمصل الجديد ارخص كثيرا في انتاجه من مصل سولك واسهل في طريقة استخدامه فضلا عن سرعة مفعوله .

● اكتشف الدكتور البرت ادم وهو طبيب بلجيكي طريقة لعلاج شلل الاطفال بواسطة جهاز الكتروني يشفى الشلل في ساعات بشرط ان يبدأ العلاج بعد ٤٨ ساعة من الاصابة

● يحاول اثنان من العلماء الاميركيين خلق كائن حيّ في انبوبة اختبار صرح احدهما انه سوف يمكن لهذا الجيل ان يرى خلق الحياة في المختبر يجري العالمان تجاربهما على الكائنات الاولية التي لا ترى الا بالميكرسكوب ولكن تدب فيها الحياة . واذا نجح هذان العالمان وهما ميللر وكالفين في تحقيق هذه التجربة فسوف يتمكن العلماء من معرفة كيف بدات الدنيا وقد نفى العالمان انهما يحاولان خلق ولد او بنت في انبوبة وقالا ان ذلك سابق لاوانه .

ويبدو ان العلماء الروس يقومون ايضا بتجارب مماثلة وقد صرح الدكتور اوبارين وهو عالم روسي ، انه احرز بعض التقدم في التجارب التي يجريها في المختبر لمحاولة خلق كائن حي .

● صرح الدكتور جون كيشلر احد علماء النفس الاميركيين في شيكاجو ان ٩٠ في المائة من الاميركيات مصابات بالبرود الجنسي وان ٤٠ في المائة من الرجال مصابون بالعقم . وقال الدكتور ان الاعلانات التجارية التي تعتمد على صور الفتيات العاريات هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الاميركي . وحذر الدكتور كيشلر من الروايات التي يظهر ابطالها مصابين بالشذوذ وقال ان هذا يؤثر الى درجة مخيفة على تفكير الرجل العادي ويربي له كثيرا من العقد النفسية عن قدرته الجنسية .

● تبين بالاختبار ان عقار الكلوروكين Chloroquine الموصوف ضد الملاريا ينفع في ٧٠ في المائة من الحالات ضد مرض النقرس او داء المفاصل وقد كشف عن ذلك التجارب العملية التي قام بها فريق من العلماء الكنديين والاميركيين والرومانيين والعقار الجديد يعمل بصورة مغايرة تماما لعمل الكورتيزون هذا العقار الذي يعتمد عليه الاطباء اليوم في معالجتهم للمرضى المصابين بداء النقرس . وقد ظهر لهذا الفريق من العلماء ان الكلوروكين يؤثر على سير المرض في الجسم بكامله . فهو يعكس الكورتيزون لا يؤثر مباشرة على الورم الذي يسببه داء المفاصل وبعد بضعة اشهر من استعماله في الجسم يحول دون تهيج الالم في المفاصل هذا الالم الذي يسببه المرض نفسه بينما تاثير الكورتيزون على نوبة الالم هو تاثير موقت يخفف الالم عند اخذ جرعة الا انه لا يحول دون ظهوره من جديد .

● اعلن خبراء الطب في بريطانيا اكتشاف مصل جديد للوقاية من الانفلونزا الاسيوية اجريت اختبارات ناجحة للمصل الجديد على ١٢٠ من رجال الجيش والطيران البريطاني . قال الدكتور هميل ويت رئيس معهد ابحاث الفيروسات ان المصل الجديد سيباع للجمهور خلال شهر .

● يدرس وزيرا الصحة والصناعة في مصر مشروع مصنع روسي ضخم لانتاج البنسلين والستربتوميسين يكفي حاجة مصر كلها ، وتستطيع ان تصدر منه للدول العربية وسيكون سعر البنسلين والستربتوميسين نصف سعرهما الحالي وهو من ارقى الانواع العالمية وسيقوم بتمويل المشروع الاتحاد العربي للهندسة الذي سبق ان تعاقد على مصانع روسية للالات الدقيقة في مصر .

● يؤكد اكثر اطباء الولادة ان حالات الاجهاد الجثماني والانفعالات الشديدة التي تعانيها الامهات خلال مدة الحمل هي المسئولة عن اغلب حالات التاخر العقلي لدى الاطفال .

● كتب احد اطباء الاسنان الاميركيين مقالا في « صحة اليوم » قال فيه ان « المصاصة » التي تستخدم لاسكات الاطفال اثناء فترة الرضاعة تعتبر اقل ضررا من مص الطفل لاصبعه .

● في نبا من الرباط ان الحاج محمد المقربي « رئيس المخزن » المغربي أي رئيس الوزارة السابقة قد توفي عن ١١٦ سنة وكان اكبر معمر في العالم العربي وقد تولى المقربي رئاسة المخزن مدة ٧٠ سنة في عهد خمسة سلاطين الى ان اقصاه الملك الحالي محمد بن يوسف عند عودته من المنفى سنة ١٩٥٥ بسبب تعاونه مع بن عرفه وقد دخل المقربي الوظيفة في سن السادسة عشر وتراس وفدا مغربيا الى بلاط الامبراطور نابليون الثالث سنة ١٨٦٨ .

وكان يقول انه منذ اكثر من نصف قرن يعيش في حمية كاملة على غذاء بسيط مؤلف من الحمضيات والحليب وشاي النعناع .

● استنبطت ادارة قدماء المحاربين الاميركيين اداة طبية ذرية جديدة الغرض منها قياس وتعريف الذرات المتاثرة بالاشعاعات الذرية في جسم الانسان ويتوقع الاطباء ان يكون للاختراع الجديد المسمى عداد الاشعاعات الجسمانية المتاثرة بالذرة اثر فعال في الجهود التي يبذلونها لمعرفة اسرار بعض الامراض وسيستخدمون الجهاز العداد لتسجيل الاشعاعات الكامنة بصورة طبيعية في جسم الانسان الصحيح ومقارنتها بالاشعاعات الكائنة في جسم الانسان العليل . ويأمل الاطباء ان تمكنهم هذه المقارنات من اكتشاف حقائق جديدة عن مصدر بعض الامراض المعينة وطبيعتها وخصائصها .

● رفع الدكتور ريد دنفمان احد الاساتذة التابعين لمدرسة الطب في كلية مشيغن تقريرا

لجمعية الجراحين الإميركيين المعنيين بجراحة التجميل يصف تبسيط استخدام الفوصفور المشع لقياس عمق الجروح المسببة عن الحرائق فالدكتور دنغمان يرى انه لكي يستطيع الطب ان يعالج معالجة صحيحة الجروح المتولدة عن الحرائق يجب ان يعرف الطبيب مدى عمق الجرح قبل ان يصف له العلاج الوافي ولهذا يعمد الطب لحقن الجسم حول الجرح بجرعة من الفوصفور المشع فتكشف العدادات مدى تغلغل الفوصفور في الجرح والمعروف ان اشعة الفوصفور تختلف باختلاف عمق الجرح في الجسم حسبما يكون من الدرجة الاولى او الثانية او الثالثة .

● يحاول العلماء العاملون في مختبرات جامعة كاليفورنيا استخدام الكربون المشع في استنباط نوع جديد من مبيدات الحشرات الفتاكة . وهم يجربون هذا النوع من النظائر المشعة في الصراصير التي تكثر في المنازل والبيوت فيتتبعون بيسر مظاهر سريان الكربون في جسم الحشرة حتى اذا ما جاءت مغايرة لمظاهرها في الحيوانات الثدية اتخذوا منها وسيلة لصنع مبيدات فعالة جديدة تقضي على الحشرات المنزلية دون ان تلحق أي اذى بالاهلين .

● تنبأ احد العلماء الامريكيين بان الاشعاع الناتج من التجارب الذرية سوف يؤدي الى وفاة حوالي مائة الف شخص في العالم خلال الثلاثين سنة القادمة وقال العالم كذلك ان عوامل الوراثة في الانسان سوف تصاب بضرر كبير من هذا الاشعاع وان هذا سيؤدي الى عواقب وخيمة .

وقد ادلى الدكتور هرمان مولر استاذ علم الحيوان في جامعة انديانا بهذه التصريحات الى الصحفيين في لوس انجيلوس بعد عودته من المؤتمر العلمي الذي عقدته جامعة ستانفورد

وقال الدكتور هرمان : ان مرض سرطان الدم الذي تسببه هذه الاشعاعات سوف يؤدي بارواح الكثيرين وان الضرر الذي سوف تصاب به عوامل الوراثة سوف يؤدي الى كثرة عدد الوفيات في الاجيال القادمة .

● قال العالم الامريكي حامل جائزة نوبل في الكيمياء لاينوس بولنغ ان الزعماء السياسيين الذين يأمرون بتجربة الاسلحة النووية يعلمون ان الوف الاشخاص يموتون مقابل كل قنبلة يجري تفجيرها .

● اصدرت الحكومة الامريكية دليلا يوضح الاخطار الذرية وطرق الوقاية منها ويقع الكتاب في ٥٧٩ صفحة ولاول مرة يزيح هذا الكتاب الستار عن القوة المدمرة للقنبلة الذرية المسماة « الذروة » Top وقد اجرى تفجيرها سرا في صحراء نيفادا ويقول الدليل : ان «الذروة» تندفع الى عمق ٦٠. مترا تحت الارض في دائرة قطرها ٤٥. مترا وعندئذ ينطلق ما يقرب من عشرة ملايين طن من الصخور والرمال الارضية الى ارتفاع كيلو ونصف كيلو متر في الجو ليسقط مرة ثانية بشكل امطار مريعة تقضي على كل شيء .

● طلبت تشيكوسلوفاكيا من الامم المتحدة ادراج دراسة اثار الاشعاعات الذرية في جدول اعمال الجمعية العامة .

● صرح الدكتور سيجموند فريتز احد خبراء الاشعة الشمسية في مكتب الارصاد الامريكي بان الغبار الذري الناتج عن الانفجارات الذرية لا يؤثر على المواصلات اللاسلكية ذات الموجة القصيرة وقال الدكتور فريتز انه لا يعتقد ان هناك علاقة بين الانفجارات الذرية واضطراب المواصلات اللاسلكية .

● استانفت روسيا تجاربها الذرية بتفجير قنبلة نووية قوية جدا وصفت بانها سلاح روسي جبار وقد صرح بذلك رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميركية لويس ستراوس وقال ان روسيا قد استانفت تجاربها الذرية في سيبيريا وان تفجيرا قويا جدا قد جرى في ٢٢ اغسطس .

وتقوم الولايات المتحدة هي الاخرى بسلسلة من التجارب في صحراء نيفادا وقد فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الثالثة عشرة بعد ساعة من تفجير الروس قنبلتهم ويبلغ عدد القنابل التي فجرها الاميركيون في نيفادا حتى ٢٣ اغسطس ٥٨ قنبلة .

● اذاعت وزارة التموين البريطانية في ١٤ سبتمبر انه تم تفجير سلاح ذري بريطاني بنجاح من برج في مارالنغا جنوبي استراليا .

● تبدأ بريطانيا في اوائل العام المقبل في تفجير عدد من القنابل الهيدروجينية في المحيط الهادي سيشاهد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا هذه التجارب الجديدة .

● قرعت لجنة سويسرية ناقوس الخطر اذ اعلنت ان تفجير القنابل الذرية جعل الامطار في سويسرا مشبعة بالاشعاعات الذرية ، لدرجة يمكن ان تصبح معها خطرة على مر الزمن .

وذكر تقرير اللجنة الخاصة ان الاشعاعات الذرية في الهواء والماء وان كانت قد ازدادت خلال الاشهر القليلة الماضية لم تبلغ الحد الذي يمكن ان تثير معه القلق غير ان نسبة الاشعاع الذري في الامطار ازدادت اخيرا الى درجة لا يمكن معها ان تعتبر بعد الان غير مؤذية خصوصا اذا استعملت مياه الامطار للشرب لعدة سنين .

وتدرس السلطات السويسرية الان الوسائل الممكنة لتخفيف نسبة الاشعاعات الذرية في المياه المجموعة داخل الصهاريج واعلنت اللجنة انها ستدرس ايضا نسبة الاشعاع في التربة وفي الحليب في سويسرا .

● اعلن الباندبت نهرو رئيس الحكومة الهندية في البرلمان ان امطارا محتوية على الاشعاع الذري هطلت في كشمير في الاسبوع الثاني من شهر يونيو الماضي .

وقال ان نسبة الاشعاع الذري في الامطار التي هطلت في ذلك الاسبوع كانت اكثر من النسبة العادية باربعين ضعفا .

وان هذه النسبة هي اقل بكثير من النسبة التي تشكل خطرا على حياة الانسان وليس من المحتمل ان يكون لها اي تأثير ضار في الصحة العامة

● صرح العالم الروسي الكبير دكتور بيلوسوف بان عدة مئات من العلماء السوفييت وجهوا نداء الى الحكومة الروسية منذ شهر ، يناشدونها فيه وقف جميع التجارب الذرية والهيدروجينية في الاتحاد السوفياتي .

واضاف الدكتور بيلوسوف ان العلماء الروس لم يتلقوا ردا على التماسهم الذي نشرته الصحف الروسية ولكن الحكومة الروسية سبق ان اعلنت انها تتفق مع العلماء في الراي

القائل بخطورة هذه التجارب . واعترف بيلوسوف بانه هناك قلة من العلماء في روسيا كما يوجد في امريكا ـ يعتقدون ان التجارب الذرية لم تبلغ مرحلة الخطورة .

● عين فاسيلي سيمينوف اميليانوف عضو الاكاديمية السوفياتية للعلوم رئيسا لمجلس الطاقة الذرية في الاتحاد السوفياتي بعد ان ظل هذا المنصب شاغرا منذ شهر يوليوالماضي عندما عين المسيو سلافسكي الرئيس السابق لمجلس الطاقة الذرية وزيرا للهندسة .

● اعلن في الولايات المتحدة ان الغواصة الاميركية الذرية الخامسة « سارغو » ستنزل الى البحر في ١٠ اكتوبر الحالي والمعروف ان الغواصات الاربع الاخرى هي : نوتيلوس وسي وولف وسكيت وسوردفيش .

● صرح الادميرال ريكوفر مخترع الغواصة الذرية الامريكية بان هذه الغواصة ستكون بمثابة قاعدةتحت الماءعندمايتم تزويدهابالقذائف

● ابلغ معهد العلوم الوطني في وشنطن العلماء في العالم بان الولايات المتحدة ستقوم في ١٨ سبتمبر بتفجير قنبلة ذرية تحت الارض في صحراء نيفادا وطلب اليهم انيعاونوه بتسجيل الاهتزازات التي سيحدثها هذا الانفجار . وقد اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية مسبقا موعد وتاريخ ومكان الانفجار وقوته وذلك للمساعدة في الابحاث العلمية الرامية الى الحصول على المزيد من المعرفة عن طبيعة تكوين الطبقات الارضية .

وقد صرح ناطق باسم المعهد المذكور انهذه التجربة العالمية هي نتيجة طلب تقدم بهالعالم الرياضي الاسترالي الدكتور بولن في تورونتو بكندا اثناء اجتماع العلماء الجيوفيزيين .

هذا وان اكثر المعلومات لدى الانسان عن جوف الارض هي نتيجة قياس قوة واتجاه الاهتزازات التي تحدثها الهزات والزلازل . ولكن الزلازل والهزات الارضية لا تعطي انذارا مسبقا للعلماء كي يجهزوا ادواتهم الحساسة. فهزة ارضية اصطناعية تأتي في وقت معين ستؤدي بلا شك الى جمع معلومات علمية هامة اثناء السنة الجيوفيزية

اما قوة الانفجار الذي سيحدث فتعادل ثلاثة الاف طن من الديناميت وسيحدث الانفجار في غرفة واقعة في اخر نفق طوله ٦.٩ امتار . وتقع الغرفة على عمق ٢٤٤ مترا داخل الجبل

[طبع هذا الخبر قبل اجراء التجربة بخمسة ايام وسننشر في العدد القادم التفاصيل التي ستذاع ـ الاديب].

● اعلنت البحرية الاميركية انها ستباشر العمل قريبا لصنع اول حاملة طائرات تسير بقوة الذرة وقالت مصادر البحرية ان هذه الحاملة سيكون في امكانها الابحار عدةسنوات دون ان تزود بالوقود وتبلغ حمولة هذهالباخرة الكبيرة ٨٠ الف طن وسوف ينتهي العمل من صنعها عام ١٩٦١ .

● افتتح في لندن معرض للاجهزة والمعدات الهندسية يشترك فيه ٥٠٠ مصنع وفيجملة المعروضات محرك ذري لناقلات النفطالضخمة صنع على طراز الفرن الذري في محطة كالدر هول التي هي اول محطة تنتج الكهرباء من الذرة على صعيد تجاري والتي تنتج هذهالطاقة منذ ما يقارب من عام لزيادة مؤن البلاد وسد حاجاتها الى المادة الكهربائية .

● اذاعت وكالة «تاس» السوفياتية ما يلي: طبقا لبرنامج اعمال الابحاث العلميةاجريت في الاتحاد السوفياتي تجارب ناجحة لقذيفة موجهة بعيدة المدى وكذلك لتفجيرات نووية وحرارية نووية . وجرى في الاونة الاخيرة اطلاق قذيفة موجهة متعددة القطع وبعيدة المدى. لقد جرتتجارب القذيفةبنجاحواكدت هذه التجارب كل التأكيد دقة الحسابات والبناء المختار وقد حصل اطلاق هذه القذيفة من على ارتفاع شديد لا سابق له مطلقا . وقد سقطت القذيفة في النقطة المحددة بعدما قطعتمسافةهائلة في برهة قصيرةمن الزمن .

وتدل النتائج الحاصلة على انه من الممكن اطلاق القذائف الى اية بقعة من الكرةالارضية وحل مسألة انشاء قذائف موجهة بعيدة المدى مكن من بلوغ المناطق البعيدة دون اللجوء الى الطيران الستراتيجي المتبع حاليا بوسائل الطائرات الحديثة .

● اعلن في وشنطن نبأ صنع عجلة من المطاط الاصطناعي القوي الذي يتلاءم مع اقسى متطلبات الجيش . وقد تم صنع هذه العجلات بعد ثلاث سنوات من الابحاث قامت بها شركة بنسلفانيا لصنع عجلات المطاطوشركة اسو الهندسية . ومن المنتظران يحصل الجيش على توفيرات كبيرة من جراء استعمال هذا النوع الجديد من العجلات الذي لا يضر به التخزين لمدد طويلة كما يحصل للانواع الاخرى من العجلات . وقد صنع العجل الجديد من مادة تسمى « بوتيل » وهي نوع من المطاط الاصطناعي التخرج من غازات مصافي البترول.

● اعلن المسؤولون في شركة « اطلس للقوس » بان الشركة وافقت على بناء مصنع كيماوي جديد لا يحتاج الى اي مصدر خارجي للمحروقات بعد ان يبدأ في العمل وسيقوم هذا المصنع الذي سيبنى في ولاية ميسوري بانتاج حامض التسريك ونيترات الامونياك وستحول كميات الحرارة الناتجة عن احتراق الامونيا (غاز النشادر) وهو قسم من عملية انتاج النترات الى الاجزاء الاخرى من المصنع التي تحتاج للحرارة من اجل سير بقية التفاعلات الكيمائية .

● تستعمل الة الحفر التوربينية في حفر ابار البترول والغاز التي يبلغ عمقها احيانا ٥ او ٦ كيلومترات وقد استلزم اختراع هذه الالة عشرات السنين من العمل والابحاث . وكان المهندس م. كابيلوشنيكوف اول من فكر باستخدام توربين في العمل تحت الارض ، واول من استخدمها بالفعل في باكوعام ١٩٢٢ ولكن الة الحفر التوربينية الحديثة تختلف عن تلك التي استعملت عام ١٩٢٢ ففي عام ١٩٣٤ صنع فريق من المهندسين السوفياتيين الة حفر جديدة وكان عدد التوربينات يزداد في محورها عاما بعد عام . اذ كان عددها فيالبدء ٦ ثم ٨ ثم ٢٥ واخيرا مئة وارتفع هذا العدد في الات الحفر التوربينية السوفياتية الحديثة الى ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ وتعمل هذه الالات السوفياتية اليوم في الحقول البترولية بالصين والهند وتشكوسلوفاكيا ورومانيا. وقداشترى العديد من شركات الولايات المتحدة الاميركية والجمهورية الاتحادية الالمانية اجازة صنعها من الاتحاد السوفياتي .

● علم في واشنطن انه قد تمت اولتجربة في التاريخ لنقل البريد في الصواريخالموجهة وقد قطع الصاروخ الموجه مسافة ١٢٠٠ ميلا حاملا رسالة عسكرية على علو عدة مئات من الاميال وقطعت المسافة في مدة خاطفة لم يصرح عنها وبعد ان وصلت الرسالة الى غايتهاحمل الصاروخ الرسالة الجوابية وعاد الىقاعدته.

● تمكن مصنع كورننغ للزجاج في اميركا من صنع طائفة من المصنوعات الزجاجيةتفوق الفولاذ نفسه صلابة فللصحون مثلا التيتصنع من المادة الجديدة طاقة على الاحتمال تزيد ١٥ ضعفا على طاقة الصحون الزجاجيةالمألوفة ويرى خبراء المصنع ان هذا الاختراع سيحدث ثورة في الوسائل التكنية التي تعتمدهاصناعة الزجاج وفي الامكان تكييف المادة الجديدة لصنع احجام واشكال مختلفة من المصنوعات الزجاجية بالوسائل العادية . وبعض هذه المصنوعات الجديدة قادرة على تحمل درجة عالية من الحرارة تبلغ ١٣٠٠ درجة فهرنهايت (٧٠٤ درجات سنتيفراد).

● استطاع بعض علماء جامعة كولومبيا الاميركية بالتعاون مع ادارة الابحاث بسلاح الطيران الوصول الى طريقة لتحسين عمل اجهزة الرادار ومضاعفة اثرها مئات المرات ، مع توسيع المدى الذي تعمل فيه اضعافامضاعفة

أنباء العالم في شهر

١٤ أغسطس ١٩٥٧ ـ اصدرت وزارة خارجية مسقط بلاغا قالت فيه ان ثورة طالب بن علي شقيق امام عمان السابق انتهت وجميع البلدان الرئيسية هادئة •

ـ اصدرت السفارة الامريكية في دمشق بيانا كذبت فيه الاتهامات التي وجهتها الحكومة السورية في بيانها الى الحكومة الامريكية بانها دبرت مؤامرة لقلب الحكم القائم في سوريا.

ـ في الانتخابات العامة التي جرت في غويانا البريطانية ، فاز حزب الشعب التقدمي اليساري باكثرية المقاعد •

١٥ ـ طلبت عشر دول عربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الامن الدولي لبحث الاعتداء البريطاني على عمان .

ـ اعلنت حكومة الولايات المتحدة الحكومة السورية ان السفير السوري الدكتور فريد زين الدين والسكرتير الثاني في السفارة السورية غير مرغوب فيهما . وان السفير الامريكي في سوريا جيمس موسى الصفير الموجود حاليا في امريكا لن يعود الى سوريا.

ـ قدم اللواء توفيق نظام الدين رئيس الاركان العامة للجيش السوري استقالته .

١٦ ـ بدأ جلاء القوات البريطانية عن اراضي سلطنة عمان تنفيذا لقرار الحكومة البريطانية .

ـ جرت حركة تبديلات واقالات وتعيينات واسعة النطاق بين ضباط الجيش السوري والدرك والشرطة والامن وقد عين العقيد عفيف البزري رئيسا للاركان العامة ورفع الى رتبة لواء .

ـ رفض الاتحاد السوفياتي مشروع « الاجواء المكشوفة » الغربي لمراقبة التسلح واتهم المندوب الروسي زورين الدول الغربية بانها تماطل في المحادثات منذ خمسة شهور لانها لا ترغب في نزع السلاح .

١٧ ـ وصل قسطنطين كرامنليس رئيس وزراء اليونان الى القاهرة في زيارة رسمية

١٨ ـ الف الاستاذ سامي الصلح الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ وصل السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى القاهرة فجاة .

١٩ ـ قدمت الاردن شكوى الى مجلس الامن وطلبت عقد جلسة خاصة للنظر في الاعتداء الاسرائيلي على المنطقة في جبل المكبر بالقدس.

٢٠ ـ رفض مجلس الامن النظر في الشكوى العربية على بريطانيا لتدخلها في الثورة في امامة عمان .

٢١ ـ وافقت الحكومة الفرنسية على تبادل بضائع تجارية مع مصر بقيمة ٣٠٠ مليون دولار وينص الاتفاق على تصدير القمح لمصر مقابل الحصول على القطن .

٢٢ ـ عرضت الحالة في سوريا على مجلس الامن الامريكي الداخلي برئاسة الرئيس ايزنهاور • وقطع المستر ماكميلان رئيس الحكومة البريطانية اجازته وعاد الى لندن للبحث بتطورات الحالة في سوريا .

ـ وصل الملك حسين عاهل الاردن الى تركيا

ـ دعت الحكومة المجرية الجمعية العامة للامم المتحدة الى رفض تقرير اللجنة الخماسية الدولية عن حوادث المجر باعتباره تدخلا في شؤون المجر الداخلية •

٢٣ ـ اعلن راديو موسكو ان الاتحاد السوفياتي يريد بمساعداته وخبرائه ان يعزز اقتصاد سوريا ويحفظها من الغرب ومؤامراته•

ـ اعلنت حكومة سنغفورة انها اكتشفت مؤامرة شيوعية لاحداث ثورة مسلحة في البلاد وقد اعتقلت ٣٠ شخصا من الشيوعيين .

ـ صرح رئيس لجنة الطاقة الذرية الامريكية ان روسيا استانفت تجاربها الذرية في سيبريا بتفجير قنبلة نووية قوية جدا وصفت بانها سلاح روسي جبار .

ـ فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الثالثة عشرة في سلسلة التجارب الذرية في صحراء نيفادا بعد ساعة من تفجير الروس قنبلتهم . وبلغ عدد القنابل التي فجرها الامريكيون في نيفادا حتى الان ٥٨ قنبلة .

٢٤ ـ اكد صبري العسلي رئيس الحكومة السورية ان سياسة الحكومة الخارجية ثابتة وهي الحفاظ على استقلال البلاد وعدم الانحياز لاية دولة شرقية كانت او غربية وتطبيق خطة الحياد الايجابي .

ـ بدات في استانبول محادثات سياسية بين الملك فيصل والملك حسين وجلال بايار رئيس الجمهورية التركية بشان الحالة في سوريا . وقد وصل لوي هندرسون خبير وزارة الخارجية الامريكية في شؤون الشرق الاوسط الى استانبول مبعوثا خاصا لاجراء محادثات مع دول حلف بغداد بخصوص الوضع في سوريا .

٢٥ ـ عاد السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى دمشق بعد ان اجرى محادثات مع الرئيس جمال عبد الناصر .

٢٦ ـ اصدرت المفوضية اليمنية في روما بلاغا يعلن مهاجمة القوات البريطانية لليمن

٢٧ ـ اعلن الاتحاد السوفياتي في بيان رسمي نبأ تحقيق صاروخ يستطيع عبر القارات ويضرب اي نقطة في العالم وقد شغل الاوساط السياسية والعسكرية العالمية هذا النبأ الخطير .

٢٨ ـ وصل الى بيروت المستر لوي هندرسون وكيل الخارجية الامريكية قادما من تركيا وبدأ محادثاته مع المسؤولين حول الوضع في سوريا خاصة والشرق الاوسط عامة .

٢٩ ـ رفض الاتحاد السوفياتي المشروع الغربي لانتهاج برنامج محدود لنزع السلاح على اعتبار انه لا يتضمن اية قيمة كبرى .

٣٠ ـ دعت حكومة اليمن الولايات المتحدة الامريكية الى استخدام وساطتها ومطالبة بريطانيا بالتوقف عن قصف المواقع اليمنية

٣١ ـ اصبحت الملايو دولة مستقلة ذات سيادة داخل الكومنولث وبذلك انتهى الحكم البريطاني فيها بعدما استمر ١٧٠ سنة .

ـ وقع الملك محمد الخامس عاهل المغرب ميثاقا جديدا لمدينة طنجة (الدولية سابقا) التي اعيدت عليها السيادة المغربية التامة وقد نص الميثاق على تمتع طنجة بامتيازات اقتصادية خاصة .

ـ اذاعت وكالة تاس ان مولوتوف قد عين سفيرا للسوفيات في منغوليا الخارجية •

اول سبتمبر ١٩٥٧ ـ تم تنصيب السير توانكو عبد الرحمن البالغ من العمر ٦٢ سنة ملكا على دولة الملايو وهو اول ملك منتخب في تاريخ العالم وكان الملك الجديد حاكما مدنيا على الملايو مدة ٢٧ سنة •

ـ سلمت السلطات الايطالية جثة بنيتو موسوليني الى قرينته الدونا راشيل واحتفل بدفنه احتفالا كبيرا في بلدة بريدابيو حيث ولد الدوتشي •

٣ ـ اعلن بيان مصري سوري مشترك ان البلدين وقعا اتفاق وحدة اقتصادية بينهما .

٤ ـ وصل سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية الى بلغراد في زيارة رسمية ليوغسلافيا •

ـ وصل هندرسون مبعوث الخارجية الامريكية الى نيويورك عائدا من جولته الاستطلاعية في الشرق الاوسط .

٥ ـ وافق مجلس الامن على قبول دولة اتحاد الملايو في عضوية الامم المتحدة .

٦ ـ توقفت محادثات نزع السلاح بين الغرب والشرق التي تجري في لندن وفشلت الدول الاعضاء في التوصل الى اتفاق بشان

معاهدة لنزع السلاح الجزئي .

٧ – وصل فجأة الى بيروت الملك سعود بطريقه الى المانيا للمعالجة وقد جرت محادثات هامة بينه وبين رئيس الجمهورية اللبنانية .

– اصدر الرئيس ايزنهاور بيانا عن الشرق الاوسط جاء فيه ان تكدس الاسلحة السوفياتية في سوريا لا تبرره حاجات دفاعية وان لبنان والاردن والعراق تشعر بقلق شديد وقال البيان نامل بالا تهاجم سوريا جاراتها وانه تقرر الاسراع بارسال شحنات الاسلحة الدفاعية الى الدول الاربع جارات سوريا .

٨ – صرح الرئيس جمال عبد الناصر ان مصر ستؤيد سوريا دون تحفظ او شرط وستضع جميع مواردها وامكانياتها لنصرتها .

٩ – صرح السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية بان الظروف المحيطة بسوريا حاليا حرجة واتهم الاستعمار والصهيونية بالكيد لسورية وبتبييت امر لها .

– قالت البرافدا السوفياتية الرسمية ان الغربيين يعدون العدة لحرب جديدة ستكون هذه المرة امريكية وستوجه ضد سوريا .

– حذرت وزارة الخارجية الامريكية روسيا بانه ليس من الحكمة ان تسيء فهم تصميم امريكا على صد كل عمل هدام او عدوان ممكن الوقوع بايحاء من الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط .

– وصلت الى عمان ثماني طائرات امريكية كبيرة تحمل شحنة الاسلحة الامريكية للاردن

١٠ – وصل فلاديسلاف غومولكا زعيم الحزب الشيوعي البولوني ورئيس الوزراء جوزف سيرانكوفيتش الى بلغراد لاجراء محادثات مع الرئيس اليوغسلافي المارشال تيتو .

١١ – وصل الى القاهرة اللواء عفيف البزري رئيس اركان الجيش السوري والعقيد عبد الحميد السراج رئيس المكتب الثاني وقابلا الرئيس عبد الناصر فور وصولهما .

١٢ – بدأت في الحبشة اول انتخابات عامة على الاسس الانتخابية المعروفة في العالم وذلك لانتخاب مجلس نيابي جديد وستشترك النساء في الانتخابات التي تستمر عملية الاقتراع فيها شهرا كاملا .

– عاد الملك حسين الى الاردن بعد زيارته لتركيا واسبانيا .

١٣ – انعقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة لاستئناف مناقشاتها حول قضية المجر والتصويت على مشروع القرار الذي قدمته ٣٧ دولة والذي يقضي بشجب الاضطهاد السوفياتي للثورة المجرية في الخريف الماضي.

– اتهم الرئيس ابو رقيبة الحكومة الفرنسية بشن حرب اعصاب على تونس منذ استقلالها واشار الى الفرق بين موقف بريطانيا من الهند بعد استقلالها وموقف فرنسا من تونس فقال ان موقف فرنسا غريب .

– قررت ادارة المعلومات الخارجية الامريكية وقف تمويل جميع المشاريع الصناعية الاستثمارية في العالم الا في ظروف استثنائية والغاية في هذه الخطوة زيادة مساهمة راس المال الامريكي الفردي في بعض المشاريع ذات الصفة الاستثمارية .

١٤ – كلفت الحكومة الايطالية وزير الخارجية جيوزيبي بيللا ان يقوم بمسعى لتخفيف حدة التوتر في الشرق الاوسط .

– اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة باكثرية ستين صوتا ضد عشرة اصوات وامتناع عشرة قرارا بادانة روسيا لتدخلها في المجر .

– عاد الملك فيصل الى بغداد بعد زيارته الى تركيا .

– اعتبرت تركيا رسالة بولغانين الانذارية التي وجهها اليها اداة دعاية كما اذاعت الحكومة اليونانية بيانا تقول فيه انها لا تسمح لاية دولة بتهديدها ولا تقبل التوصيات من احد وذلك ردا ايضا على انذار بولغانين لليونان.

– اخرجت تركيا ملحقين بحريين روسيين من انقرة بتهمة التجسس .

١٦ – صدر بلاغ مشترك عن المحادثات التي اجراها الوفد البولوني برئاسة غومولكا مع المارشال تيتو في فرصوفيا وذكر البلاغ ان الموقف الدولي قد تحسن وان الموقف في الشرق الاوسط يشكل خطرا على السلام العالمي وايد البيان سياسة الاتحاد السوفياتي الخاصة بالمانيا .

– فاز الحزب المسيحي الديمقراطي وهو حزب المستشار كونراد اديناور فوزا ساحقا في الانتخابات النيابية التي جرت امس في المانيا الغربية .

١٧ – قام الجيش السيامي بانقلاب فاحتل العاصمة بانكوك واعلن الاحكام العرفية وقد هرب رئيس الحكومة وتسلم الجنرال ساريت ناتارات الحكم العسكري .

١٨ – طلبت تونس من الولايات المتحدة تزويدها بالسلاح لتتمكن من الدفاع عن نفسها ضد هجمات الحدود التي تقوم بها القوات الفرنسية من الجزائر .

١٩ – اذاع الجانبان السوري والسوفياتي للمباحثات الاقتصادية التي بدأت بدمشق بلاغا مشتركا يعلن اقرار برنامج العمل لخبراء الجانبين .

– نصح المارشال تيتو رئيس جمهورية يوغسلافيا الزعماء الغربيين بالتخلي عن سوء الظن بالزعماء السوفيات .

– خطب جون فوستر داليس وزير الخارجية الامريكية امام هيئة الامم ودعا المنظمة الى التدخل في الشرق الاوسط قائلا ان الاسلحة الروسية الى سوريا تشكل خطرا عسكريا متزايدا بالنسبة الى تركيا .

٢٠ – خطب اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتية في هيئة الامم فهاجم امريكا بشدة واتهمها بالضغط على سوريا واثارة العرب على بعضهم والسعي لتحويل الشرق الى صندوق بارود .

– وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على ادراج قضية الجزائر وقضية قبرص في جدول اعمال الدورة .

٢١ – وصلت قطع حربية سوفياتية الى ميناء اللاذقية في زيارة لسورية .

– قطع الجيش السوري المواصلات ليلا على طريق دمشق حلب وحمص واللاذقية الى حين اشعار اخر وقال البيان العسكري ان ذلك فرض لمناسبة قيام الجيش بتحركات ومناورات عامة .

– توفي الملك هاكون السابع عاهل النروج وقد نودي بابنه الامير اولاف ملكا باسم اولاف الخامس .

٢٢ – استقبل الرئيس ايزنهاور الامير فيصل ولي عهد المملكة العربية السعودية بحضور ناظر الخارجية الامريكية المستر داليس وتناول البحث الموقف في الشرق الاوسط والقضية السورية بصورة خاصة .

٢٤ – صرح الامير فيصل آل سعود بانه يعتقد بان سوريا لا تشكل خطرا في الشرق الاوسط وقال ان الموقف في سوريا قد صورته الصحافة بانه خطر جدا ولكنني اعرف العكس .

– وجهت الدول الغربية الثلاث اتهاما الى الاتحاد السوفياتي باثارة القلاقل في الشرق الاوسط بشحنة كميات وفيرة من الاسلحة الى المنطقة وبشن حملة دعاية قوية تهدف الى تقسيم الدول العربية على بعضها البعض وذلك بمذكرات مماثلة رفضت فيها امريكا وبريطانيا وفرنسا الاقتراح السوفياتي القاضي باصدار بيان من جانب الدول الكبرى يحرم استخدام القوة المسلحة في المنطقة .

– وصل الى بيروت علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية ، قادما من اسطنبول في طريقه الى بغداد وقد جرت محادثات بينه وبين المسؤلين في لبنان .

٢٥ – وصل الى دمشق الملك سعود في طريق عودته الى العربية السعودية وقد جرى له استقبال حافل .

مطبعة الشراع
بيروت – الحازمية